

أُنثَى النَّارِ

(أَنْ تَتَفَحَّمِ النَّفْسُ فَوْرَ إِحْرَاقِ حَامِلِهَا)

رواية

لـ نهى الشاذلي

طبعة ٢٠١٧

الشاذلي، نهى

أنثى النار: رواية/ نهى الشاذلي – -. الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج
الإعلامي، ٢٠١٦ .

٣٣٦ ص، ٢٠ سم

تدمك: ١ ٤٥٠ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

أُنشَى النَارَ

(أَن تَتَفَحَّمِ النَّفْسُ فَوْرَ إِحْرَاقِ حَامِلِهَا)

رواية

لـ نهى الشاذلي



رئيس مجلس الإدارة
سرمانى ٢٠٢٣ ع ٢٣٣٣ سرا

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة
ع ٢٣٣٣ ع ٢٣٣٣ سرا

الناشر
ع ٢٣٣٣ ع ٢٣٣٣ سرا

نوران المصرى

رقم الايداع

٢٠١٦/١٥٢٩٤

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٤٥٠-١

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : أنثى النار

المؤلف : نهى الشاذلي

الغلاف : ريم السخاوى

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٤٦٥٨٥٠ - ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

تنويه

هناك، في أماكن كثيرة في العالم، بعيداً عنكم وبالقرب منكم،
تعشن إناث النار.. إنهن يتنفسن، وقلوبهن تتبض الآن! لذلك.. الكاتبة
غير مسئولة عن أي تشابه بين أحداث الرواية وشخصياتها، وبين
الواقع ومن يعيش فيه، حيث إن الكاتبة استوحى شخصية أنثى النار
من طبيعة الأنفس البشرية الحقيقية، أما الأحداث فهي من وحي
خيالها..

obeikandi.com

إهداء..

إلى النساء أجمعين

إلى الثرثارات ذوات الألسنة التي لا تكفّ عن الكلام

وإلى الصامتات المُتألمت بهدوء

إلى القبيحات جميلات الروح،

والخبِيثات منهن

و

إلى الجميلات قبيحات الأنفس

والطيبات منهن

و

إلى الأنفس المستعرة من الداخل دون أن تُظهِر لهيبها للناس

أهديكن روايتي

الحطب يتراكم بعضه فوق بعض

شعلة نار واحدة كفيلة بإحراقه، ومن ثم إحراق كل من يقترب منه

ليت الحطاب يعلم!

(١)

بعدها رحلت الشمس، تاركة ذبول من أشعتها الذهبية لتصبغ السماء بجمرة خجلة، لا صريحة ولا مختزلة، وكأنها تودع الناس ولكن بغرور! «ذاهبة أنا، ونوري لاحقني، حتى تعيشوا في ظلام دامس بعد الأفل»، كانت (جدوة) وأمها (راجية) يغسلان صحون الغداء بعد أن فرغتا منه وامتلات معدتهما عن آخرهما، لقد اعتادتنا الحديث معاً في ذلك الوقت.. لا، هما في الحقيقة اعتادتنا الحديث معاً في كل الأوقات، طالما أنهن يعشن، لا تكف ألسنتهن عن الحركة، سواء كانت تلك الحركة لتقليب الطعام، أو لتقليب الكلام عن الغائبين، فيجعلان الباطل حقاً، والحق باطلاً.

كانت جدوة تغمس الإسفنجة في مسحوق غسل الصحون بيدٍ، بينما تمسك بآنية ملطخة ببقايا صلصة الطماطم المحروقة باليدِ الأخرى، كانت تمسك الآنية بقوة، وتعصر الإسفنجة بقسوة وهي تحكي لأمها عما حدث ليلة أمس بينها وبين البنات في سهرتهن الأسبوعية في طنطا، حيث بيت العائلة الكبير.. كانت تحاول ألا تلاحظ أمها ذلك الغضب غير المبرر الذي تشعر به، وربما تساءلت بينها وبين نفسها عن سبب غضبها من الأساس، ولم تجد إجابة مقنعة.. هكذا أقنعت نفسها في أقل من ثانية دون أن تشعر، أما الحقيقة أنها تعرف

سبب غضبها جيداً، ولكنها تخفيه بين ثنايا عقلها الباطن وتحيطه بأسلاك شائكة وأسوار عالية كي لا يستطيع التسرّب إلى وعيها!

فتحت راجية الثلاجة وأخرجت كيساً بلاستيكيّاً أسوداً، به عناقيد عنب طازجة. أفرغت الكيس في مصفاة كبيرة وأمرت جذوة أن تترك ما في يدها وتغسل العنب أولاً. ولكن جذوة لم تنتبه، وأخذها الانهماك في تنظيف الآنية، بينما كان عقلها مشغولاً تماماً بشيء آخر.

— رزان تحب؟ لا أصدق نفسي! رزان البريئة المتدينة العفيفة تحب؟ وتحب من؟ شاب بائس فقير يلعب الكرة حافى القدمين في الشارع؟ أو تعلمين يا أمي؟ لو رأيته لنفرت منه اشمئزاً، لا أعلم كيف أحبته، ولكني واثقة أنه لا يبادلها نفس الشعور.

قالت راجية رافعة حاجبيها، وعلى ثغرها ابتسامة من ظفر بصيد ثمين:

— روزا هي من قالت لك ذلك؟ قالت أنها تحب هذا الشاب؟

تركت جذوة الإسفنجة وفتحت صنبور المياه لتنتقل إلى مرحلة الشطف أخيراً، عاقدة حاجبيها في محاولة منها لفهم شيء لا تستوعبه.

— نعم، إنه ابن الجيران، يقع بيته في الشارع المجاور بجانب السنترال، ترينه دائماً يصول ويجول في الأزقة والحارات مع بضعة شباب منحرفين ليل نهار، تخيلي! كنت أظنها بريئة، مُترَفعة عن الحُب، وأعقل من أن تكون مراهقة ساذجة، لكنني اكتشفت الآن أن براءتها مجرد غطاء تستر به نزواتها الطائشة، لا أحد كبير على المراهقة، حتى وإن كان عجوزاً خرف، تجدينه يراهم بحماقة برغم سنّه وتجاعيد وجهه الغائرة!

صفت الآنية من المياه جيداً ثم وضعتها في مكانها في ضلفة المطبخ واستدارت لتكمل الحديث مع أمها بعدما أعجبها تقمص دور الحكيمة التي تقول دُرراً، والفقيرة العاملة بأمور الحياة:

— لو علمت خالتي بالقصة سوف تخجل جداً منّا، خالتي تثق بابنتها جداً، ولو عرفت أنها تحب شاباً تافهاً مثل ابن الجيران سوف تحمرّ وجنتاها خجلاً ولن تستطيع أن تتطرق بحرف واحد معي بعد ذلك! لن تستطيع أن تعلق على ضيق ملابسي أو فجاجة زينتي مرة أخرى؛ لأن ابنتها فعلت من الأمور ما يُشين سمعتها، ولا يمكنها أن تتهم الآخرين بعد ذلك بفعل ما يوصم اسم العائلة بالعار.

قالت راجية عابسة وهي منهمكة في تقطيع ثمرات التفاح كل ثمرة أربعة أرباع:

___ آه، آه.. معك حق، (صالحة) أختي الصغرى، نعم، ولكنها دائماً تعيش في دور الأمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر وكأنها تكبرني بعشرين عاماً، ويصدف- من وجهة نظرها- أنها دائماً على معروف، ونحن دائماً على منكر! في حين أنها لا تفقه شيئاً من الأساس.

تركت راجية السكين بعدما فرغت من تقطيع التفاح ونظرت لجذوة، فتغيرت ملامحها فجأة من ملامح عابسة ولكن هادئة، إلى ملامح شرسة ومجنونة في آن واحد، وكأنها رأت جريمة قتل تُرتكب أمامها.. صرخت فجأة في وجه جذوة وقالت:

___ جودي! ألم تغسلي العنب بعد؟ ألم أقل لك اتركي كل ما في يديك واغسله أولاً؟ أتجاهلين كلامي أيتها الغبية؟ لن تفلحي في زواج..

ارتبكت جذوة قليلاً، ولكنها لم تفرع، فقد اعتادت على غضب أمها المفاجئ من أشياء تستحق الغضب، وأشياء أخرى هيئة لا تستحق! ولكنها راجية.. تلك المرأة المجنونة متقلبة المزاج التي لا تستطيع أن تكظم غيظها أو تكبت فرحتها.

___ حسناً حسناً، لم أنتبه.. سوف أغسله حالاً

قالتها جذوة متلعثمة بينما استمرت راجية في الصراخ..

___ بعد ماذا؟ بعدما فرغتُ من تقطيع التفاح؟ كان لا بد أن تجهز الفاكهة في وقت واحد، هل أكل التفاح أولاً وبعدها أشبع أبدأ في أكل العنب؟ هل أنت غبية؟

ظهر على وجه جدوة علامات اللامبالاة.. اللا إحساس، ولكنها في الحقيقة كانت تغلي من الداخل، لطالما أجادت لعبة تزوير مشاعرها، تُظهر لك ابتسامة عريضة، وتخفي عنك ناراً تستعر، إنها لم ترتكب جرمًا! ماذا يعني لو لم تغسل العنب؟ ما الذي يستحق كل هذا الصراخ والغضب والإهانة؟ ماذا لو أكلت أمها التفاح أولاً؟ ماذا لو لم تأكل عنبًا بالمرّة؟ ما المشكلة؟ لطالما تساءلت عن سبب المشكلة بينها وبين أمها.. مشكلة أزلية باطنة ذات تفاصيل معقدة لا يتصارعان ولا يتكلمان عنها، وربما لن يفعلوا أبدًا!

خطفت راجية صحن التفاح من على طاولة المطبخ خطفًا، مُعبرة بذلك عن استيائها الشديد، وخرجت قاصدة غرفة المعيشة، رامية لجدوة نظرة نارية مرعبة قبل أن تخفي تمامًا من أمام عينيها.

فتحت جدوة صنبور المياه وأخذت تغسل العنب بضمير، حتى أنها هرست الكثير من الحبات بين يديها وهي شاردة في الحائط المقابل تفكر في الإهانة التي تلقتها الآن، وإهانات أخرى كثيرة لم تنسها للحظة واحدة!

ذات يوم، صفعتها أمها على وجهها أمام مُحِبِّ وفتنة وذكاء،
إخوتها؛ لأنها غطت في نوم عميق ولم تستيقظ لتتظف المنزل وتجلي
الصحون، تذكّرت أيضاً يوم ضربتها أمها ضرباً مبرحاً أمام رزان
ومهيضة، بنات خالاتها؛ لأنها استخدمت أحمر شفاه يخصّ أمها من
دون إذن، لن تتسى نظرات الشفقة في أعين بنات خالتها، ولن تتسى
نظرات الشماتة في أعين إخوتها.. لا.. لن تتسى أبداً كل الإهانات
التي تعرضت لها، سوف تتذكر الوهن والألم طالما أنها حيّة تتنفس.
في مساء يوم ما، سوف تلقن كل من أهانوها درساً لا يُنسى!

انتبهت فجأة من شرودها وأغلقت المياه المنهمرة على حبات
العنب، ثم وضعته في صحن كبير وخرجت من المطبخ قاصدة غرفة
المعيشة. وضعت الصحن على الكومود المجاور لسرير أمها، والتي
كانت تضحك بهستيرية على مسلسل كوميدي، كانت هذه طبيعتها،
تغضب فجأة وتضحك فجأة بدون أية مقدمات!

حاولت جذوة أن تتناسى المشاحنة التي حدثت منذ قليل، مؤقتاً،
عندما وجدت أن أمها قد نسيتها بالفعل.. ازدردت ريقها وقالت:

— لم أقص عليك بقية الأحداث التي وقعت بالأمس يا أمي،
إن مهیضة لا تزال تُصِرُّ على علاقتها مع مالك، إنها تحبه أكثر من
كرامتها، تخيلي ذلك!

___ لا تتلفظي باسم (مهیضة) هذا أمامي مرة أخرى، ابنة خالتك اسمها (ماهي)، لا أدري إذا كان أبوها معتوهاً كي يصمم على تسميتها باسم يحمل كل الضعف والانكسار. وصمها بقلة الحيلة والضعف وتركها تواجه الحياة بجناحها المكسور.

قاطعتها جذوة في تعنت وتحدٍ:

___ على الأقل أفضل من جذوة! أين كان عقلكم عندما أسميتموني بهذا الاسم اللعين؟

عقدت راجية حاجبها وقالت بحدة:

___ يا بنت، تكلمي معي بأدب، احمدي الله أني أسميتك جذوة، ولم أتهور وأسميك قبيحة، أو غبية، انظري إلى نفسك في المرآة كي تعلمين أن اسمك كثيراً عليك، أنفك كبير وشعرك أجعد وجسمك ممتلئ وفوق كل هذه العيوب، قليلة الأدب.

امتعضت جذوة، ووقف الكلام على لسانها عاجزاً عن تعدي فتحة الفم والانطلاق في الهواء، لم تستطع أن تدفعه للخارج على هيئة جملة مفهومة تدافع بها عن نفسها. وقبل أن تتجح في التفوه بكلمة، دخلت (فتنة)، شقيقتها الكبرى، وبكر العائلة، المعروفة بجمالها الأوروبي الأخاذ، وطول قامتها بالنسبة لأخواتها قصار القامة، وبهاء طلعتها، وبياض بشرتها كما لو خرجت كساحرة بهية من جبال الثلج

إلى عالم رماديّ لا يليق بجمالها، كانت تعرف جيداً أنها جميلة،
وكانت تتباهى بذلك.

دخلت مُلطفةً للجو الذي تعكر منذ لحظة واحدة.

كانت مبتهجة، وعلى شفيتها ابتسامة واسعة، وجهت كلامها إلى
جدوة فقالت:

— جودي يا حبيبتي، لم كل هذا التهكم؟ اسمك معناه جميل،
جدوة أي شعلة، شعلة من النار! سوف يُفتن به زوجك المستقبلي، فمن
من الرجال لا يتمنى أن يتزوج أنثى مشاعرها مشتعلة مثلك؟
ثم ذيلت جملتها بضحكة خليعة اشتهرت بها.. وأردفت:

— صحيح، ماذا فعلت في سهرة أمس؟

سارعت جدوة بالإجابة:

— فاتك الكثير يا فتنة، رزان تحب شاباً تافهاً، فقير جداً
وملابسه رثة، ابن الجيران في الشارع المجاور، ومهيضة ما زالت على
عنادها وعلاقتها بمالك مستمرة، تقول أنها تحبه ولن تتركه رغماً
عن أنوفنا جميعاً!

— أيعقلُ هذا؟ روزا تحب؟ سوف يقتلها أبوها لو علم بذلك،
وهل تقابلا؟ أقصد هي وحبيبها هذا؟ وما اسمه؟ وماذا يعمل؟ و...
قاطعتها جدوة ضاحكة:

___ مهلاً مهلاً.. كل هذه أسئلة؟

ثم أردفت ضاحكة ساخرة:

___ في الحقيقة يا فتنة هانم، روزا نفسها لا تعرف اسم حبيبها

حتى هذه اللحظة.

ألا تصدقيني؟ معك حق، حتى أنا لا أصدق أن ثمة فتاة على

وجه الأرض يمكنها أن تحب شاباً لا تعرف اسمه، ولا تعرف سنّه، ولا

تعرف أي شيء عنه!

قالت راجية في استمتاع جلي:

___ اتركها تحب من تشاء، في النهاية أنتن في سن المراهقة، ومن

الطبيعي أن تشعرن بمشاعر كاذبة تجاه أي شاب يقابلكن في الطريق،

أو حتى في البقالة.

قالت جذوة مُعترضة وقد شعرت بالإهانة:

___ هل نحن فتايات مراهقات، وفتنة هي العاقلة الحكيمة بيننا؟

أوليس فتنة هانم مراهقة أيضاً برغم أنها بلغت سن الرشد؟ وإلا بم

تسمي إصرارها على الزواج من لؤي؟

تجاهلت راجية الكلام وكأنه لا يعينها في شيء، بينما امتعضت

فتنة وردت بحدة:

___ قولي أنك حاقدة عليّ لأنني وجدت من يبادلني الحب، أما أنت فلن تتعدى قصص حبك النظر من النافذة على المارة، تتمنين كل يوم آلاف المرات أن يحبك أحدهم، ولكنها مجرد أمنيات تتطاير في الهواء، لن يُحبك أحد لأنك قبيحة بغيضة المنظر، لا تملكين جمالي، وتفتقدين الأنوثة، ربما إذا رآك أحدهم ما عرف أنك أنثى! تظللين تنادين على الشباب بعينيك في صمت مؤلم، تشحذين منهم نظرة واحدة بإعجاب، هذه النظرة لا تأتي أبداً، ولن تأتي.

فتنة عرفت كيف توجع أختها، ولكن جذوة تعرف أيضاً كيف ترد لها الوجود بوجع أكبر، وبتلك الموهبة التي احترفتها، رسمت على وجهها ابتسامة باردة جداً، تحمل في طياتها نيراناً حارقة متوعدة:

___ أنا ما زلت صغيرة، لم يتعد عمري السابعة عشر، ولم أصبح عانساً بعد.. مثلك أيتها العانس التي قارب عمرها على الثلاثين.

كانا سوف يحاربان بعضهما بسيوف العار وأسهم الغلّ حتى الصباح، لولا تدخل والدتهما في الوقت المناسب لتنتهي المعركة:

___ جودي، فتنة، اخرسا، لقد آلمني رأسي من مشحانتكما المستمرة.. جودي، خذي الأطباق المتسخة واغسليها، هيا، وفي المرة القادمة، لا تستقو على العنب، لقد صار كالمربى بين يديك.

أخذت جذوة الأطباق قاصدة المطبخ، وابتسامة الانتصار قد لاحت على وجهها، مصوبة إياها لفتنة حتى تأكدت أنها تلقتها بنجاح، في اللحظة التي ارتطم كتفها الأيسر بكتف ذكاء الأيمن، أختها الوسطى، وهي على عتبة باب الغرفة.. مضت كلتاهما في طريقها وكأن شيئاً لم يحدث، خرجت جذوة ودخلت ذكاء ببطاء، لا لشيء إلا لأنها كانت تشعر بالألم والإعياء، كانت متأففة، شاحبة، ومتعبة، تمددت على السرير المقابل للتلفاز، بجوار والدتها، ممسكة ببطنها متأوّهة، قالت وقد بدا صوتها واهناً:

___ أكره تلك الآلام الشهرية اللعينة، أرجوك يا أمي، أريد مسكناً قوياً، الألم سوف يقتلني.

لم تحوّل راجية نظرها عن التلفاز، ولكنها قالت بعد أن بدأت في قرمشة بعض المكسرات مُحدثة ضجّة أثناء المضغ:

___ فتنة، أين المسكن الذي استخدمته قبل يومين؟ اعطه لأختك.

قالت فتنة وهي تنظر في جوالها:

___ كانت آخر حبة، ارسلي جودي لتشتريه.

بينما كانت ذكاء تتألم في صمت، وراجية تقرمش المكسرات وتتابع المسلسل الكوميدي، التمتعت عينا فتنة فجأة، وابتسمت في سعادة

حقيقية، نظرت حولها لكي تتأكد أن أحداً لم ير تلك الالبتسامة، حاولت أن تداريها كي لا تلحظها أمها وذكاء، وأخذت تقرأ الرسالة التي أرسلها لها لؤي، للمرة الخامسة دون أن تملّ: «حبيبتي، سوف أنتظرك غداً بعد صلاة المغرب مباشرة، في مقهى إيطاليانو، تحججي بأية حجة، الأعدار ممنوعة، توحشتك كثيراً يا حب عمري، أحبك».



ارتدت غطاء الرأس بطريقة عشوائية لم تمنع خصلة شعرها المصبوغة باللون العسلي من الظهور، لم تضع «ماكياج» كعادتها لأنها لن تذهب إلا للصيدلية القريبة من المنزل لتشتري لأختها حبات المسكن، وبعدها سوف تعود إلى المنزل سريعاً دون أن يراها أحد من معارفها بحالتها هذه، لم يستغرق الوقت أكثر من دقيقتين حتى وجدت نفسها داخل الصيدلية، في البداية لم تجد محمد الذي يقف عادة في الصيدلية، مطّت رقبتها قليلاً في محاولة منها للنظر بداخل الغرفة التي في الزاوية، ارتبكت فجأة حينما فُتح باب الغرفة وخرج منها شاب وسيم لم تره هنا من قبل، ندمت كثيراً أنها لم تنزل من المنزل بكامل أناقتها، قالت متلعثمة:

___ كنت أريد أن أبتاع شيئاً ما، أين محمد؟

نظر لها مسعود مبتسماً وقال:

___ محمد لن يأتي بعد اليوم، لقد جئت مكانه، يمكنك أن تطلبي
مني ما تريدين وسوف أحضره لك، لا تقلقي فأنا صيدلي ولست
مجرد صبي يبيع الأدوية؛ لذلك لا تقلقي.

قالت وهي تحاول أن تخفي حجم أنفها بيدها، لاعنة نفسها لأنها
لم تتجمل وتضع بعض المساحيق التجميلية قبل أن تأتي:

___ لا لا أبداً، ولكن هل حدث له مكروه؟ لماذا ذهب؟

___ في الحقيقة أنا لا أعرف محمد ولا أعرف إلا أن صاحب
الصيدلية استبدله بي لحاجتي إلى العمل ولظروف محمد التي لا
علم لي بها، إذا كان وجودي يزعجك يمكنك أن تشتكيني لصاحب
الصيدلية.

قالها مازحاً وهو يحاول أن يفتح حواراً بينه وبينها، وهي لم تتردد
في أن تطيل الحوار قليلاً وتبتسم كثيراً.. كانت مرتبكة جداً، لا تعلم
لماذا جذبها ذلك الشاب؟ هل لأنه وسيم؟ أم لأنه لم يحتقر قبورها
بنظراته؟ بل كان بشوشاً مبتسماً طوال الوقت.. لا تعرف إلا أنها
مستمعة بالحديث معه الآن.

___ حسناً يا ...

___ مسعود، اسمي مسعود.

___ حسناً يا مسعود، أريد شريط سبازمو لو سمحت.

استدار مسعود لبحث في الأدوية الموجودة بالخزانة على الدواء حتى وجده، تلعثت جذوة وارتبكت وفتحت حقيبتها بسرعة كي تبحث عن النقود، تاركة يده ممدودة لها بالدواء دون أن تأخذه من فرط ارتباكها.

قال لها بابتسامة تكاد أن تشق وجهه بعد أن شعر بإحراجها:

___ لا عليك، إذا لم تتوفر معك نقود الآن يمكنك أن تدفعي المرة القادمة يا ...

وجدت النقود وأغلقت حقيبتها ثم نظرت إليه مبتسمة:
___ جودي.

___ ما أجمل اسمك! هل هذا اسمك الحقيقي؟

قالت ضاحكة بغنج:

___ لا، إنهم يدللونني بهذا الاسم، أما اسمي الحقيقي فهو جذوة.

حينما وجدها متجاوبة معه في مزاحه ولم تنزعج من جرأته
سألها:

___ تلك المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الاسم، ترى ما معناه؟

نظرت له بعينين جريئتين وابتسمت نصف ابتسامة ثم جاوبت:

— جذوة أي شعلة نار، احذر أن تحرقك.

قال وقد شعر بأنها تبادله مشاعر الإعجاب ذاتها:

— كم أتوق إلى الخلود في جهنم!

ابتسمت وأخذت الدواء وتجنبت النظر في عينيه، كأنها لم تسمع ما قاله للتو، واستدارت لكي تخرج من الصيدلية قبل أن يوقفها ويناديها باسمها لأول مرة:

— جذوة، أريد أن أقول لك شيئاً قبل أن تذهبي.

استدارت جذوة وقالت في عجب:

— ماذا تريد؟!

— أنتِ بالتأكيد تعلمين معنى اسمي، ولكنك لا تعلمين أنني عرفت الآن فقط ما الحكمة أن يكون اسمي مسعود.

ابتسمت بدلال مبالغ فيه، وخرجت من الصيدلية دون أن ترد، ولكن قلبها كان يرقص بخفة وينشد الترانيم.

لم تزل الابتسامة من على وجهها لمدة ساعة كاملة بعد أن خرجت من الصيدلية.

obeikandi.com

(٢)

لحق الشفق الأحمر بشمسه حتى اختفى تماماً، فغتمت المحروسة
إلا من ضوءٍ أبيضٍ لاح من بعيد على استحياء، لن يستطيع القمر أن
ينير الأرض كما تفعل الشمس مهما حاول؛ لأنه لا يقوى إلا أن يستمد
بقايا نور منها! كذلك نحن.. نستمد أفراحنا وأوجاعنا من أناس هم
لنا كل شيء، هم الألم ذاته، وهم السكين الذي فتح الجرح النازف،
لكننا لا نقوى إلا على الالتصاق بهم راجين منهم الأمان، شاحذين
منهم الاستقرار، نخاف إذا ابتعدنا عنهم أن يصبح الكون غابة وعممة،
نخاف أن نواجه آلاماً أعمق، وأهوالاً غير متوقعة إذا تركناهم وذهبنا.

في الظلمة التي لم يستطع القمر إنارتها، وفي أحد شوارع ٦
أكتوبر المكتظة بمحلات البقالة، وأفران الخبز، كان قلبها قنديلاً
منيراً، يمكنه أن ينير الكون كله، لا الأرض فقط! كان قلبها مدموجاً
بأنغام أغنية عبد الحليم «أهواك.. وأتمنى لو أنساك..» وقفت على
أطراف أصابعها في خفة، وأخذت تدور وتدور مغمضة عينيها «وأنسى
روحي وياك، وإن ضاعت يبقى فداك.. لو تتساني!»

نعم، كان يمكن لقلبها أن ينير الكون، لولا أنها حبسته بداخل
صدرها ومنعته من القفز للخارج كي لا يفضح أمرها، كانت مغموسة
بالحب، وكان الحب كالسحر، يلمع عينيها، وينعكس على يديها

وشعرها ووجنتيها بضيء فضي خفيف، لم تكن تتنفس أكسجيناً، وهي ترقص كباليرينا في حديقة خضراء واسعة مليئة بالورود الملونة، بل كانت تتنفس العشق ذاته. «وأنساك.. وأتاريني بنسى جفاك، وأشتاق لعذابي معاك، وألقى دموعي فكراك.. أرجع ثاني!» بالطبع هي لم تكن في الحديقة الخضراء، هي كانت في غرفتها، وغرفتها لم تكن وردية ولا حمراء، بل إن السرير بني خشبي، وخزانة الملابس كذلك، والمكتب بنفس اللون أعلاه المسجل واللاب توب الخاص بها، على الأرض بنطالاً ملقى بجانب الخزانة بإهمال، والكومود المجاور للسرير مليء بأوراق دروس الثانوية العامة في غير نظام، وبعض الأقلام الملونة، وعلبة زبادي فارغة وملعقة متسخة. ولكنها لم تر كل ذلك، لم تر إلا الحديقة الخضراء والورود الملونة، وشيئاً آخر. كانت تمد يديها أمامها أثناء الرقص وكأنها تمسك بشخص ما، هي تراه ولا نراه نحن، كانت ترقص مع حبيبها مجهول الاسم! كانت تحضن الهواء وتدور وتدور.. «في لقاءك، الدنيا تجيني معاك، ورضاها يبقى رضاك، وساعتها يهون في هواك.. طول حرمانى».

وفي اللحظة التي دندن فيها عبدالحليم قائلاً: «وألاقيك مشغول وشاغلني بيك» فتحت صالحة، والدتها، الباب فجأة من دون قصد، فوقع قلبها، القنديل المنير، مكسوراً على الأرض من فرط الفزع، حتى عتم الكون أمام عينيها وارتعبت.

___ مالك يا روزا بسم الله؟ لماذا خفتِ هكذا؟

قالت رزان في ارتباك شديد، وكأن والدتها رأت الشخص الذي كانت ترقص معه في غرفتها الآن:

___ لماذا تفتحين الباب بهذه القوة الرهيبة يا أمي؟ كاد الباب أن ينكسر! أَرعبتيني..

___ مممممم، حسناً، حسناً، هيا أغلقي المسجل والنور ونامي الآن، سوف نذهب إلى السوق في الصباح الباكر، طالما أنك نويتِ الغياب من المدرسة، لا أريد أن أتعذب وأنا أحاول إيقاظك.

أغلقت صالحة الباب وراءها بعد أن تأكّدت أن رزان تتأهب للنوم، وذهبت قاصدة غرفة المعيشة، حيث زوجها محمد جالس على الأرض، ساند ظهره على الأريكة المقابلة لجهاز التلفاز، وقد جلس يرتشف من فنجان القهوة باستمتاع، مُنصتاً لحديث ساخن بين اثنتين من السياسيين في برنامج «توك شو» مُعاد.

نظرت إلى الجلباب الذي يرتديه باستحغار وقالت:

___ لِمَ ترتدي هذا الجلباب؟ هل نحن في عصر أمينة وسي السيد؟

أشار محمد لها بيده أن «اصمتي» ورفع صوت التلفاز أكثر كي يسمع دون أن تفوته كلمة واحدة من الحوار السياسي الدائر بين الضيفين المحتدين، والمذيع اللئيم الذي يحاول أن يُسخن الحلقة قدر المستطاع، غضبت صالحة من تجاهل زوجها لها فقالت:

— أريد أن أتكلم معك، أشعر بالملل.

قال بضيق جليّ:

— صه، أريد أن أسمع يا صالحة أرجوك.

تأففت صالحة محتجة وهي تعلم أن احتجاجها لن يغير شيئاً، فقررت أن تخلد إلى النوم. النوم سوف يأكل الساعات ويلتهم المساء حتى تطلع الشمس بيوم جديد، لعلها غداً تجد السعادة المنتظرة تطرق باب المنزل! ولعلّ الملل غداً يحين أجله.



زقزقت عصافير الفجر، مُحْتَفَلة بنور صباح جديد، لم تتم رزان بعد، لم تستطع النوم، كان عقلها مشغولاً، لا.. بل قلبها، كان مزدحمًا بمشاعر كثيرة ومتداخلة تشعر بها لأول مرة في حياتها، تشعر بأن قلبها ثقيل يزن ثلاثة أرباع وزنها الكلي، وخفيفاً جداً كأنه سوف يطير في الهواء! تشعر بأمان مفاجئ وخوف غير مبرر، تشعر بسعادة كبيرة

تخاف أن يراها أحد في عينيها ويعرف أنها تُحِبُّ، وبحزن لم تشعر به من قبل لا تعلم سببه، مشاعر كثيرة متضاربة ومتضادة، لا تحتملها كلها معاً، فظلت مرتبكة وأحاسيسها مرتعشة طوال الليل، كانت نائمة على سريرها محتضنة وسادتها ومتشبثة بها، تضع رأسها على الوسادة، ويهيأ لها أنها تسمع دقات قلب منبعثة من داخل الوسادة! دقات قلب حبيبها الذي لا تعرف اسمه حتى الآن، ولكنها أسمته «حبيبي» إلى حين. نامت طوال الليل سائدة رأسها على صدره، صدر الوسادة، من حين لآخر كانت تنظر إلى الوسادة فيهِياً لها أنها ترى فيها عينيه. تبتسم له وتوشوشه بـ «أحبك»، وكان دائماً يرد عليها ويبادلها الوشوشة ويصب في أذنيها كلمات الحب الصامتة، كانت تسمعه، تنظر له، وتحتضنه، كانت تحب فترة المساء، فترة النوم، حتى تلجأ لحضنه وتتسى كل العالم بين يديه، وما ألد الأمان وإحساس الراحة الذي تشعر به وهي بجواره، بجوار الوسادة! إحساس تمنى أن يدوم إلى الأبد، وأن تكون كل الأيام مساء فقط، كما تمنى أن تشتري وسادة أكبر قليلاً من وسادتها كي لا يفسد خيالها عندما تنتبه لقصر الوسادة كما لو أنها أحببت قزماً.

رنّ المنبه معلناً وقت الاستيقاظ، فامتعضت. لم تشبع من «حبيبي» بعد، لا تريد أن تتركه الآن وتذهب إلى السوق مع والدتها، لا تريد أن تتركه لحظة واحدة، هل تعتذر لوالدتها عن مرافقتها بحجة أنها

متعبة وتريد أن تنام لمدة أطول؟ لا.. لقد أتتها فكرة أفضل وأحلى، سوف تأخذه معها! وبالتأكيد لن تلاحظ أمها وجود خياله الشفاف القابع في عقلها وقلبها، هي فقط من تراه وتشعر به، لن تكفي بالعيش معه في حدود غرفتها فقط، بل سوف يخرجان معاً ويتسوقان معاً ويشعران بمتعة كبيرة بصحبة بعضهما البعض.

نهضت متحمسة للفكرة، ارتدت بنطالاً كحلي اللون، وقميصاً حريراً أبيض هو المفضل لديها، ووضعت حُمرَةً خفيفة على خديها وشفتيها واكتفت بهما، لم تحب أن ترسم عينيها بالكحل وفضلت أن تترك لهما براءتهما الطفولية، نظرت إلى نفسها في المرآة باستحسان قبل أن تضع طرحة حريرية حمراء على شعرها، وكانت مشغولة بإعادة تثبيت الطرحة بين الحين والآخر كلما انزلت حتى فتحت أمها الباب بعنفوان غير مقصود كعادتها.

— بسم الله! يا أمي أرجوووووك لا تفتحي الباب وكأنك سوف تخلعيه من مكانه، سوف يتوقف قلبي في مرة من المرات ولسوف تتدمين وتتمنين أن يعود بك الزمن إلى الوراء حتى لا تتسببين في موت ابنتك الوحيدة رعباً.

— أعوذ بالله، لا تقولي على نفسك هذا الكلام يا مجنونة، آسفة لم أنتبه، ولكن.. من الغريب أن أجدك مستيقظة وجاهزة للخروج!

ظننت أنني سوف أوقظك ساعة كاملة حتى تستجيبين وتهضين من الفراش، ماذا بك؟!

ضحكت رزان بعذوبة وقالت:

— لا يعجبك إذا وجدتي نائمة، ولا يعجبك إذا وجدتي جاهزة! هذا حال كل الأمهات بالمناسبة، لست مختلفة عن بقية الأمهات.

ضحكت سالحة، ثم ما لبثت أن عقدت حاجبيها باستغراب رامية ابنتها بنظرات متفحصة:

— روزا! هل ارتديت قميصك الحريري لتُرافقيني إلى السوق؟ أيعقل هذا؟ يا حبيبتى ارتدي أسوأ ما عندك لأن السوق سوف يكون مزحوماً بالنساء وأطفالهن ملوثي الأيدي، هذا غير الدجاجات التي تتفُض ريشها في الهواء، ثم توسوسين أنت من إنفلونزا الطيور إذا مس قميصك ريشة وتلقيه في الغسالة وتُطالبين بتعقيمه، سوف يتسخ قميصك المحبب.

ظلت روزا تنظر لنفسها في المرآة مصغية لأمها، كانت مقتنعة بكلامها جداً ولكنها قررت ألا تُنفذ منه شيئاً، بالفعل يمكن أن يتسخ قميصها أو يتلف، لكنها تشعر أن «حبيبي» يراها الآن، تشعر أنه معها وسوف يخرجان سوياً، يجب أن يراها بأجمل صورة، حتى وإن

كلفها ذلك ألا ترتدي هذا القميص مرة أخرى لوسوستها من إنفلوانزا الطيور. سوف تذهب السوق بكامل أناقتها .

___ وما هذا أيضاً؟ طرحتي الحمراء الحريز؟ أليست هذه طرحتي؟

___ نعم يا أجمل أم في العالم، إنها طرحتك. لذلك أخذتها، كل ما تملكينه ملك لي يا أمي، إنها قاعدة معروفة.

___ قاعدة؟ حسناً.. هذا ما نجنيه من خلفه البنات! طرحة حريز وقميص حريز في سوق الخضروات! هيا هيا.. لا أريد أن أتأخر.

خرجتا إلى السوق، وكان الطريق إلى السوق هذه المرة مختلفاً! كل شجرة على الرصيف كانت روحاً حيّة لها عيون خضراء قابعة بين الأوراق، وثغور مُبتسمة بسلام، كُّل الأشجار أرواح تشاركنا الأنفاس وتسبح باسم الله. وكل قطة تمرّ كانت تختلس النظر لرزان بالذات دوناً عن خلق الله، وكل طير يطير في السماء كان يتعمّد أن يُغرّد ويُزقزق ليُطرب رزان.. حتى الأرض، كانت تحضن كل خطوة تخطوها بحنان! وعندما وصلا إلى السوق، رأت رزان الخضروات تتراقص والفاكهة تتودد إلى بعضها البعض، لم تنزعج كعادتها من ثرثرة البائعات، فقد أصبحن اليوم بالذات سيدات جميلات في الجلابيب السوداء، ويزينن العالم بالفاكهة والخضروات الملونة! لم تر الذباب

المتكالبة على الخضروات والفاكهة، ولم يعد يزعجها شيء! لم يعد العالم ضيقاً كثيباً ملوثاً بالطين والأتربة، شعرت روزا أنها دخلت الجنة.. كانت تبتسم بين الفينة والأخرى، ثم تداري ابتسامتها سريعاً محاولة أن تسيطر على سعادتها، تنظر مُبتسمة بين الفينة والأخرى بجانبها وكأنها تنظر إلى شخص شفاف يمشي بجوارها، ثم تضم يدها اليمنى وكأنها تحكم إغلاقها على يده، وتتخيل أن «حبيبي» يوشوشها بكلام عذب.. فتتمنى لو أن الدنيا كلها تمتلئ بالحب الذي يسكن قلبها.



obeikandi.com

(٣)

وَقَفَّتْ أمام المرآة لترى إذا كان الفستان الذي ارتدته مناسباً
وسيعجبه أم لا؟ كان فستاناً أسوداً ضيقاً وقصيراً، أبرز دوران
ورشاقة جسدها الخال من أية عيوب. وكان اللون الأسود عليها
فاتناً، جعلها تضيء كالقمر وسط العتمة، نظرت لنفسها باستحسان
ثم تناولت مشطاً نحيفاً، ومررته على وسط شعرها من اليمين إلى
اليسار وقسمته إلى نصف علوي ونصف سفلي، ثم تناولت وصلة
الشعر الملقاة بجانبها على الكرسي ودبستها وسط شعرها المقسوم
بإحكام، وبعد أن تأكدت أن الوصلة ثابتة، أسدلت النصف الآخر من
شعرها حتى صار أثقل وكأنه كله قطعة واحدة ثقيلة، طويلة وعجرية
كما يُحب، ألصقت الرموش الصناعية بلصق شفاف، وفعلت ذلك
بالأظافر الصناعية الحمراء أيضاً، وانتعلت حذاءً أحمرًا ذو كعب
عال، فزادت على فتنها فتنة وجمال! وبعد أن استحسنت لمساتها
الجمالية، أخذت حقيبتها السواريه السوداء وخرجت من الغرفة
متوجهة لباب الشقة، ولكن صوت أبيها أوقفها فجأة وجعلها تعيد
حساباتها من جديد وتغلق الباب دون أن تخرج.

— فُتنة! أين أنت ذاهبة؟

ردت بكل ثقة:

— دعنتي صديقتي إلى العشاء في أحد المطاعم.

قال بحدة وقد استدرك تغير شكلها:

— ما هذا المنظر الذي أراه؟ زينة صارخة وملابس ضيقة! هل

خلعتِ الحجاب؟

ردت عليه باستهزاء ضاحكة:

— يااااه.. وأخيراً لاحظت أنني خلعت الحجاب؟ أريد أن

أفاجئك وأقول لك أنني قد خلعت منذ أسبوع، وخرجت أمامك بدون

حجاب أكثر من مرة، ومع ذلك لم تلحظ ولم تعلق بشيء.

قال وقد افتعل اندهاشة شعر أنه يجب أن يفتعلها:

— أحقاً؟ ربما لم أنتبه لأن عقلي مشغول.. من سمح لك بذلك؟

ردت عليه باستهزاء أكبر وبضحكة أكثر جرأة:

— وما دخلك أنت إذا تحجبت أو خلعت الحجاب؟ منذ متى

وأنت تهتم بتلك التفاصيل؟ هذه أمور لا تخص الرجال، لقد تأخرت

عن الموعد، يجب أن أذهب الآن.

أسرعت بالخروج قبل أن يتفوه بكلمة أخرى ويضيع وقتها، بينما

جلس هو على كرسيه المعتاد وسحب نفساً طويلاً من الأرجيلة التي

يضعها بجانبه كما لو كانت توأمه الملتصق، ولم ينبس ببنت شفة، هو فعلاً لا يهتم، ولن يهتم أبداً بتلك التفاصيل الموجعة للرأس. لماذا يحاول أن يُحجب ابنته بالإكراه في حين أنها لا تُصلي من الأساس؟ بل إن بناته الثلاث لا يصلون، وابنه الوحيد لا يصلي إلا إذا أصابه مكروه أو كان في شدة، لا يعلم لماذا لا يواظبون على الصلاة في حين أنه وزوجته يصلون بانتظام؟ حتى أن راجية دائماً ما تصلي النوافل ولا تكتفي بالفروض، كان يعنف أولاده مرة كل فترة طويلة كي لا ينسون أنه رجل المنزل، ثم ينسأهم بعد ذلك، انتبه نديم من شروده فجأة حينما لمح في التلفاز راقصة أجنبية شهيرة ترقص على أنغام أغنية شعبية، كانت بذلتها فاضحة، بينما كان المغني الشعبي ينطّ على المسرح من فرط الحماس حتى سربّ العدوى إلى الجمهور، وقاموا من على كراسيهم ينطون ويرددون وراءه كلمات شعبية بلا معنى، ويبحلقون في الراقصة بوقاحة، ترك نديم الأرجيلة، وأخذ يبحلق في الراقصة ويسقف ويرقص في مكانه دون أن يبرح كرسيه، طرأت خاطرة مزعجة في رأسه.. «كيف أشاهد أجساد الراقصات العاريات وأصلي في نفس الوقت؟ وأنهر فتنة إذا خلعت الحجاب؟» ولكنه دفن تلك الخاطرة في زاوية بعيدة في عقله بسرعة قبل أن تسيطر عليه وتفسد مزاجه، سمعت راجية صوت الموسيقى والصخب فخرجت من غرفة المعيشة إلى الصالة الخارجية حيث يمكث نديم دائماً، عندما شعر بقدمها غير القناة بسرعة مرتبكاً.

— نديم، لماذا غيرت القناة؟ رجّعها مرة أخرى، أريد أن أرقص وأفرح قليلاً، لقد سئمت من قنوات الأخبار السوداوية والكآبة والقتل والدم.

نظر إليها نديم في عجب، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ورجع القناة مرة أخرى حيث ترقص الراقصة والمغني الشعبي والجمهور بجنون. وقال في نفسه: «ما بال راجية انتابها غباء خارق وتريدني أن أنفج معها على امرأة بهذا الجمال الأخاذ؟! ألا تغار عليّ؟ ألا تشعر أن الراقصة أكثر أنوثة منها وأكثر جمالاً؟» ثم نظر لراجية مرة أخرى باستغراب أكبر حينما وجدها تتركه وتدخل غرفتهما الخاصة! «لماذا إذن جعلتني أغير القناة؟ منذ خلقت وأنت مجنونة ياراجية!» لم يفق نديم من نوبة الاستغراب الأولى حتى بُهِتَ واندھش الاندهاشة الكبرى، إذ أن راجية خرجت من غرفة النوم مرتدية قميصاً أحمرًا طويلاً وضيّقاً، وعقدت على خصرها طرحة صفراء فاقعة اللون، أخذت ترقص مُبتسمة ابتسامة تحسب أنها تزيدها جمالاً وإغراءً، كان نديم ينظر لها من الأسفل إلى الأعلى تارة، وينظر إلى الراقصة بالتلفاز تارة أخرى، في مقارنة جدية بينهما، حتى امتلأ وجهه بعلامات الامتعاض والقرف الشديد، توسوس له نفسه: «والله لو مهما فعلت بحالك لن تصبحي في جمال الراقصة، أنت سمينة وبطنك ممتد أمامك متراً ونصف، يهتز كلما تحركت! بينما الراقصة بطنها مشدود

وجسمها ملفوف لا سميئة ولا نحيلة، ثم ما هذه الحركات الخرقاء التي تفعلينها كما لو كنتِ دجاجة لسعت ذيلها النار فأخذت تتط وتركض كالمجانين في كل مكان؟ أهدأ رقص؟ لا والله ليس برقص ولا يشبهه حتى! حتى أنني لا أستطيع أن أميز أين خصرك من الأساس؟» انتبه فجأة من أفكاره الخبيثة عندما نادته راجية بعد أن توقفت عن الرقص وانتهت الأغنية، وجاء بدلاً منها إعلانات رخيصة.

___ نديم، ماذا بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟

___ لا أبدأ، شردتُ قليلاً.

___ ألم يعجبك رقصي؟

كان يريد أن يرد عليها بكل صدق وصراحة ويقول لها أن رقصها لا يمت للرقص بصلة، وأنه من الأفضل لها ألا تفكر في إغرائه أو لفت نظره بهذه الطريقة مرة أخرى مهما حدث في الكون، ولكنه اكتفى بأن يتظاهر بالنعاس ويقول:

___ أريد أن أنام، تصبحين على خير.

شعرت راجية بقلبها وقد انكسر، أحست بضيق وخنقة، وألم لا يشعر به إلا من يُذبحون بسكين بارد، لا يُمكنك أن تجرح امرأة وتُدمي روحها إلا إذا أهنت أنوثتها وأشعرتها أنها ليست جميلة، ظلت تتساءل،

ألم تعد تعجبه مثلما كان الحال أول سنوات زواجهما؟ هل كبرت ولم تعد جميلة بعد أن تخطت الأربعين بخمس سنوات؟ ولكن إذا لم تكن جميلة، لماذا ينظر لها الرجال في الشارع بإعجاب؟ لماذا تشهد النساء بجمالها الملفت للنظر؟ ولماذا تغار منها جذوة ابنتها وتساءلها دائماً لماذا لم أخلق جميلة مثلك؟ كل الناس أجمعوا أنها جميلة؛ لذلك يجب ألا تشك أبداً في جمالها بسببه، حاولت أن تتناسى كل ذلك كي لا يهزمها الاكتئاب والغم، وذهبت سريعاً لتجلس على سريرها المقابل للتلفاز، قلبت القنوات حتى وجدت مسلسلاً كوميدياً آخر، ثم أخذت تضحك كثيراً حتى دمعت عيناها، وتكاثرت الدموع حتى صارت بكاءً محموماً.



دخلت فتنة مقهى إيطاليانو مُحدثة ضجة بكعبها العال، وخالها المليء بالألعاب الذهبية، لم يبق شاب واحد إلا وافقت بجمالها وأناقته في فستانها الأسود. انبهر لؤي بجمالها ووقف ليستقبلها ماداً لها يده وراكعاً على ركبتيه أمام الجميع. ابتسمت في خجل مصطنع ومدت له يدها فقبّلها، نظرت حولها بنشوة فتاة ظفّرت بعشقي تحلم به النساء ولا يجدره أبداً، وهمست له:

- ماذا تفعل يا مجنون؟ هيا قم بسرعة. الناس ينظرون إلينا.
- وما المشكلة؟ سوف يقولون أنني مفتون بك يا فتنة قلبي، مفتون بجمالك وبكل ذرة فيكِ.

— حسنًا حسنًا، قم أولاً واجلس على كرسيك. لقد أخجلتني نظراتهم.

في الحقيقة هي لم تخجل أبداً، بل كانت مُستمعة بنظرات النساء الحسودة، وبارتباك الرجال أمام زوجاتهم، وبإعجاب العُزَّاب، هي لم تشعر بالخجل قط إلا عندما كانت طفلة بريئة لم تلوثها حروب النساء وتقاليد الرجال وعُقم البيئة المُحيطة. سَحَبَ لها كرسياً واطمأن أنها جلست مرتاحة، ثم جلس على الكرسي المجاور لها محاولاً أن يبدد المسافة التي صنعتها بينهما الطاولة.

— هل جُننت؟ يجب أن تجلس أمامي وليس بجواري مُلتصقاً في هكذا.

قالتها وهي ترغب أن يلتصق بها أكثر!

— ألا تحبين أن تجلسي بجانبني؟

— بالطبع أحب، ولكن أعين الناس تراقبنا.

— الناس الناس.. لماذا تهتمين بهم لهذه الدرجة؟ هؤلاء الناس لا

يعرفونك، إنهم يريدون أن يملأون أوقات فراغهم بالنظر إلى غيرهم وانتقادهم كي يشعرون أنهم أفضل وأنهم على صواب، ولو أتاحت لهم الفرصة لكي يعيشوا قصة حبنا لاختاروا أن يعيشوها بكل تفاصيلها،

ووقتها لن يشعرون أن ما يفعلونه عيباً أو حراماً! لا تفكري في الناس وأنت معي.

تظاهرت بالافتتاع، وابتسمت ابتسامة يحسبها هو ناتجة عن انبهارها برأيه وقدرته على إقناعها، لم يكن يتصورُ أبداً أنها ابتسامة استخفاف بقدراته العقلية في فهم عقول النساء، لا يستطيع أن يفهم أنها لا تعير الناس اهتماماً، كانت تتمنّع فقط! تتدلّل؛ كي يقترب أكثر، وقد فعل أكثر من ذلك، مد يده ليحتضن كفها بكلتا يديه قائلاً:

___ فتنة.. أنا لا أريد أن أنتظر أكثر من ذلك، من الواضح أن أباك لن يوافق أبداً على زواجنا.

حاولت أن تسحب يدها من بين كفيه مُحاولة غير جادة، وما لبثت أن استسلمت لكفيه. كانت مُجرد رسالة زور صامتة تلقّاها بنجاح، (أنا حاولت أن ألتزم بالحلال وأنت صممت أن تفعل الحرام وتلمس يدي، وبسبب ضعفي أمامك وحبّي لك استسلمت):

___ ولكن يا لؤي، أُمي وعدتني أنها سوف تقنعه عن قريب.

لم يكن رأي أبيها يهّمها ولن يهّمها أبداً. لقد خلعت حجابها دون أن تحسب له حساباً، ولم تكن تستشيرها في أي شيء يتعلق بحياتها. كانت فقط تريده أن يعرف أن لها عائلة متماسكة هي عزوتها؛ حتى لا يستضعفها، أو يحتقرها ويُعابرها بعصيان أهلها.

___ وأنا لا أستطيع أن أنتظر ساعة واحدة بدون الزواج منك، أنا
أعشقتك، أحبك ولا أقدر أن أصبر أكثر من ذلك، شقتي جاهزة وأنت
تعلمين ذلك ولا ينقصني شيئاً، ولا أعلم ما سر رفض والدك لي.

___ لقد سألت عنك ولم يطمئنه ما توصل إليه يا لؤي.

بالطبع والدها لا يعلم من أمر لؤي شيئاً كي يسأل عنه، كانت
رسالة زور أخرى.

قال لؤي بسذاجة شاب عديم الخبرة في الأمور التي تتعلق
بتركيبة حواء العقلية:

___ أنا لا أفهم من الحقيير الذي قال عني كلاماً سيئاً لأبيك؟
وماذا قال له بالتحديد كي يرفضني زوجاً لابنته؟ كل ما أعرفه أنني
أعشقتك ولن أتحمل أكثر من ذلك، هيا قومي معي.

تفاجأت فتنة بقراره السريع في مغادرة المقهى قبل أن يطلبوا
شيئاً أو ينتهون من النقاش، تفاجأت، وما لبثت أن توقعت ما سوف
يحدث بعد ذلك.

___ ما الذي حدث؟ أين ستأخذني؟

___ هيا هيا قومي بسرعة.

أخذها من يدها وسحبها وراءه بسرعة مُغادراً المقهى، ركبا السيارة وانطلقا إلى البناية الخاصة بشقته، كانت قد توقّعت ذلك، رسمت على وجهها علامات الدهشة الكبرى وقطبت حاجبيها ووضعت يدها على فمها كأنها تحاول أن تُسكت صرخة كانت سوف تفلت منها .

__ لن أدخل شقتك يا لؤي، هذا خطأ، وأنت لست زوجي، نعم أحبك، ولكني بنت ناس، لا أريد أن أوذي أهلي.

«هذا خطأ» ما ألد تلك الجُملة التي تدفعك لفعل هذا الخطأ دفعاً!

__ هل أنت مجنونة؟ لست وحدي، بانتظارك مفاجأة بالداخل.

هذه المرة تفاجأت بصدق، لم تتوقع أن يصطحبها للمنزل وهناك من ينتظرهم فيه . دمر كل أحلامها بكلمة، ولكن ما زال هناك أمل أن يغادر هذا الـ «أحد» ويتركهما وحدهما .

__ ماذا تعني؟

رد عليها بنفاد صبر:

__ فتنة يا حبيبتي، أنا أيضاً ابن ناس. تعرفيني جيداً، لن أدخلك شقتي إلا إذا كان معنا أحد، هناك أناس بالداخل بانتظارك. هيا ادخلي معي، لا تخايفي وثقي بي.

فتح الباب ودلفنا الشقة الغارقة بالظلام. خفق قلبها وتسارعت دقاته حتى تفاجأت بأنوار كثيرة تغزو الظلام بعشوائية، ومجموعة من الأصدقاء المشتركين بينهما يشعلان الشموع والألعاب النارية ويصرخون بفرحة:

___ كل عام وأنت بخير يا فتنة.

___ سنة حلوة يا جميل.

___ نتمنى لك السعادة.

دمعت عينا فتنة، لا من فرط سعادتها لأنها حساسة ورومانسية، ولكن لأنه يوم ميلادها الذي لم يتذكره أحد من عائلتها، وحده لؤي من تذكره واحتفل به وفاجأها، كان لا بد أن تسعد لأنه تذكر يوم ميلادها، لكن بدلاً من ذلك، حزنت لأن عائلتها لم تتذكره، مسحت دمعته بحرص كي لا تُفسد الكحل الأسود حول عينيها، ثم رحبت بالحضور مُبتسمة، قالت له بنظرة بدت مليئة بالحب والشغف:

___ شكراً لك يا حبيبي، لقد فاجأتني بحق!

___ لم تري شيئاً بعد، تعالي معي..

أخذها من يدها مرة أخرى وأدخلها غرفة الصالون المنفصلة عن صخب الصالة الخارجية، فوجدت ثلاثة رجال بالداخل لا تعرف

منهم أحداً، تعجبت للحظة قبل أن تتكهن بسبب مجيئهم، وهمست له
قبل أن يجلسا:

— من هؤلاء؟ ما الموضوع؟

— اجلسي اجلسي وستعرفين كل شيء الآن، إنها هدية عيد
ميلادك.

قال الرجل المُسنُّ الجالس بوقار في منتصف الأريكة مرتدياً بذلة
رسمية رخيصة رمادية اللون:

— العريس والعروس.. وقعا على هذه الورقة من فضلكما.

نظرت فتنة للوي بدهشة مُصطنعة، تحرك شفيتها وكأنهما
ترتشان خوفاً، وتطرق أصابعها كأنها ارتبكت وتشنجت من فرط
الارتباك، كان لابد أن تُشعره بارتباكها بتلك الحركات الظاهرة؛
كيلا يحسُّ لوهلة أنها لا تمنع من الزواج به بدون موافقة أهلها، في
الحقيقة هي كانت تُخطط لتلك اللحظة منذ عدة أشهر، منذ أن وقع
اختيارها عليه عندما رآته أول مرة بصحبة مجموعة من أصدقائها،
عندما سألتهم عليه أجمعوا أنه شاب ثري ومُبهر، وهذا ما كانت تحلم
به، أن تكون ثرية، وأن تتباهى أمام النساء بوسامة زوجها، وبفخامة
ملابسها الغالية الجديدة.

___ أعرف أنني فاجأتك، ولكنني على يقين أنها المفاجأة الأجمَل

في حياتك، فُتتة.. هل تتزوجيني؟

حسنت فتنة أمرها حينما قطع لؤي حبل أفكارها فجأة بسؤاله،

لابد أنه شعر بارتباكها وخوفها المزور وانتهى الأمر. لن يعتقد أنها

سهلة أو لا تهتم برأي عائلتها بعد الآن، هو أغبى من ذلك بكثير؛ لذلك

لا مانع من أخذ القرار السريع كيلا تضيع هذه الفرصة من يدها.

___ نعم، أتزوجك.

قالتها بصوت بدا خجلاً، تولدت في قلبها دقائق زيادة نتيجة

تزاوج الفرحة بالتحدي، التحدي الذي سوف تضطر لاستخدامه فور

علم أهلها ومعارفها بأمر زواجها السري، لكنها طمأنت نفسها بأنها

تزوجت على يد مأذون، وهناك شاهدان أيضاً، والأهم أنها تزوجت

الشاب الذي اختارته، لؤي.. حلمها الذي بات حقيقة! سوف تخبر

أهلها في الوقت المناسب، فلا يمكنها أن تدمر حياتها من أجل أحد

حتى وإن كانوا عائلتها، كانت تُحدّث نفسها بذلك لتُصغّر حجم الخطأ

الذي ارتكبته في حقهم، أما الذي لم تُفكّر فيه أبداً، أنها لا تُحب لؤي

حُباً حقيقياً، هي فقط تمارس تمرُّدها على مجتمعا بواسطته، كان

الأداة التي تبطش بها التقاليد الموروثة، والذكورية الأزلية. كانت تتلذذ

بإعجابه بها كأنثى، وبغبائه الشديد أمام لؤمها، كانت تقهر الرجل

المتمثل في صورة أبيها باللعب بمشاعر لؤي. مشاعر الرجل عندما يُحب، تعرف أن أباهَا كآباء كُثُر، يأمر أولاده بفعل الطاعات صباحاً، ويسبح في بحار المنكرات مساءً، تكره الرجال، وتقنع نفسها أنها تحب لؤي بالذات، ولم تتبه لفتنة المختبئة بداخل صدرها، تلك اللئيمة المُنتقمة بعمى.

— شكراً لك يا متر، شكراً لحضوركما يا شباب، شكراً.

سَلِّم لؤي على الحضور وودِّعهم، ووزعت هي ابتسامات على الجميع قبل أن يفلق لؤي الباب ويغرق المنزل في مُحيط السكون المُفاجئ، انتهت الجلبة وعم الهدوء، إلا أن قلوبهما أهدتاً صخباً عالياً!



جهزت راجية وبناتها السفارة، وضعت تورطة الفراولة في الوسط، وكعكة البرتقال بجانبها، زينن السفارة بالشموع والورود وأغلقن الأنوار في انتظار عودة فتنة إلى المنزل للاحتفال بعيد ميلادها، لكنها لم تأت! للممن كل شيء وتفرقن كل إلى غرفته غير عابئ، إلا راجية، زحف الرعب إلى قلبها حتى تمالك نفسها، ترى هل أصاب فتنة مكروه؟ هل هربت من المنزل؟ هل خطفها ذئب بشري؟ ولماذا جوالها مغلق؟ استر يا الله، استر يا ستار.

تسلّلت جذوة إلى المطبخ في الظلام، فتحت الثلاجة والتهمت
نصف التورته بنهم، لم تكن جائعة، أحبّت أن تخرب شكل التورته كيلا
تُعيد أمها الكرة وتحفل بعيد ميلاد فتنة فور رجوعها إلى المنزل.



obeikandi.com

(٤)

قَلَبَتْ جذوة خزانة ملابسها رأساً على عقب، لم تُعد ملابسها القديمة تُعجبها. حاولت إقناع نفسها أن الفستان البنفسجي الطويل لا بأس به وفشلت، قصدت غرفة أختها فتنة، فتحت خزانها واستعارت بنطالاً ضيقاً أسوداً وقميص جينز أكثر ضيقاً، ارتدت البنطال والقميص وشعرت أن أنوثتها قد ظهرت للنور، وأن ضيق الملابس لا بد وأن أضفى عليها جمالاً وزادها جاذبية، اختارت طرحة سوداء وألقتها على شعرها كيفما اتفق، سحبت مشطاً بلاستيكيًا ووضعته في حقيبتها ثم خرجت تبحث عن ذكاء.

___ ذكاء، هل تحتاجين شيئاً من الصيدلية؟

قالت ذكاء في عجب، حيث أنها لم تعتد الاهتمام من أخواتها البنات:

___ لا يا حبيبتي، لماذا تسألين؟

___ لأنني ذاهبة لأبتاع دواءً، واعتقدت أنك ما زلت بحاجة إلى فوط صحية أو شيء من هذا القبيل.. لا عليك.

___ انتظري لحظة، دواء ماذا؟ ولماذا ترتدين ملابس فتنة يا ترى؟

أمسكت جذوة برأسها فجأة ورسمت تعابير الألم والإعياء على وجهها متجاهلة تماماً سؤالها عن الملابس:

— لدي صداع عجيب يا ذكاء منذ الصباح. رأسي يكاد ينفجر كالبركان المحموم، أريد مسكناً يخلصني من هذا العذاب.

نظرت ذكاء لجذوة بريية متشككة في أمرها. لكنها سرعان ما كذبت ظنونها حينما تذكرت شيئاً:

— آه تذكرت، حظك حلو، لدي بنادول في حقيبتي السوداء، اذهبي وخذيه.

ارتبكت جذوة وسكتت للحظة في محاولة منها لإيجاد أي حجة تبرر بها نزولها إلى الصيدلية؛ كي تتمكن من مقابلة مسعود، فتى الصيدلية الجديد.

— حقاً؟ هل لديك بنادول بالفعل؟ اممممم جيد، إذن لا داعي لنزولي إلى الصيدلية.

شعرت ذكاء بارتباكها، فرجعت لظنونها الأولى، أحست أن هناك رجل ما وراء توتر جذوة، كانت العائلة برجالها ونسائها وأطفالها يخافون من ذكاء، فقد وهبها الله نسبة عالية غير تقليدية من الفطنة والذكاء، يمكنها أن تشعر بما تكنه في نفسك، وإذا شعرت أن ما في

نفسك يهدد حياتها أو راحة بالها أو حتى رغباتها، لا تصبر ولا تتفكر، بل تجن وتثور وتقلب الطاولة عليك في لحظة، تغضب سريعاً، وتهداً أسرع! فلم يهبها الله الحكمة كما وهبها الذكاء، برغم تسرعها، وبرغم خوفهم أن تعرف خبايا نفوسهم وتكتشف أسرارهم إلا أنها محبوبة من قبلهم كلهم.. يحبونها لخفة ظلها وروحها المرحة ونكاتاتها المضحكة وجلستها التي لا يُشبع منها.

فتحت جذوة الحقيبة السوداء باحثة عن البانادول، داعية الله ألا تجده، وجدته بسهولة، ضغطت على شريط البانادول بغلّ وقد راودها هاجس عن إيمانها: «لماذا وجدت البانادول موجوداً برغم دعائي؟ ألا يستجيب الله لأدعيتي؟ هل يكرهني لهذه الدرجة؟» في الحقيقة هي لم تدعُ الله إلا عن شكّ دون يقين، تدعو الله مُتحدية نفسها أن دعوتها لا بد ألا تتحقق، لو تحققت دعوتها لن تُصدق، وستبحث عن الدواء أكثر وأكثر حتى تجده، لم تُحسن ظنّها بالله من قبل؛ لأنها لا تتخيل أن الله يمكن أن يحبها ويحنو عليها برغم النار المستعرة بداخلها، النار التي وحده يعلم ما حطبها، توجهت إلى المطبخ وفتحت صندوق القمامة الصغير الموجود أسفل حوض الغسيل، ألقّت بشريط البانادول في القمامة ثم أخذت بعض أوراق المطبخ والمناديل وألقتهما فوقه؛ كي تخبئ شريط البانادول، فلا يستطيع أحد أن يراه إذا فتح صندوق القمامة من بعدها، توجهت مرة أخرى إلى غرفة ذكاء ومعها

الحقيبة السوداء، تظاهرت أنها تبحث عن الدواء دون جدوى متيحة
لذكاء أن تراها وهي تفعل.

___ ذكاء، لقد بحثت كثيراً ولم أجده، أين وضعتيه؟

___ هات الحقيبة، لا تفلحين في شيء أبداً!

أخذت ذكاء الحقيبة وفتشتها بدقة ولكنها لم تجد شيئاً.

___ لقد وضعته في الحقيبة صباح اليوم يا جودي، أنا متأكدة

أنني وضعته هنا.

___ ذكاء، الصداع سوف يقتلني، أنا متعبة. لست مستعدة أن

أتحمل أكثر حتى تجدين البانادول، سوف أبتاع واحداً، هيا أنا ذاهبة..

ركضت جذوة وأغلقت الباب وراءها، أما ذكاء فحوّلت شكوكها

إلى يقين، هناك رجل ما دخل حياة هذه الفتاة، هناك جرح كبير

سيسببه لها عن قريب، لماذا سيحب فتاة قبيحة الشكل؟ بالتأكيد هو

يحوم حول شيء ما إن ناله سيرميها فتاتاً.

صوت باب الشقة الذي ارتطم فجأة قطع ذكاء عن تفكيرها في

أمر جذوة، فُتتة عادت. رجعت إليهم بعد غياب يوم كامل دون أن يعلم

عن أمرها ومكانها أحد، لاحظت ذكاء أنها ليست في حالتها الطبيعية،

هناك شيء ما تغير في ملامحها، أو في روحها، المعتاد أنها تكون أكثر

نشاطاً وحماساً وحيوية حينما تدخل المنزل بعد نزهة أو تسوق أو مقابلة مع أصدقائها، أما الآن فهي شاحبة الوجه، باهتة البشرة، وهادئة جداً.

___ فتنة؟ ما بال وجهك شاحباً؟ وما هذا الهدوء غير المعتاد؟
مع من كنتِ؟

لاحظت ذكاء ابتسامة عابرة قد لاحت على وجه فتنة وما لبثت أن اختفت في أقل من ثانية، وكأنها لا تريد أن تُظهر تلك الابتسامة لأحد.

___ ماذا تقصدقين بسؤالك؟ مع من سأكون؟ مع أصدقائي، اسمعي، أنا مرهقة جداً، قد تسوقنا كثيراً ومشينا كثيراً، أحتاج إلى الراحة، جسدي جائع للنوم؛ لذلك أجلي كل مباحثاتك وتحقيقاتك إلى الصباح.

نظرت ذكاء لفتنة بريية وقد شمّت رائحة رجل آخر، ما بال أخواتها هذا اليوم يتبادلون الودّ مع الذئاب؟ كان من الممكن أن تثور وتعبر عن غضبها بالصراخ في وجوههم كالعادة، لكن، اليوم بالذات، لم تكن في مزاج رائق لكي تفكر في أحد غير نفسها، ولا تريد أن تحمل هموماً فوق همّها. إنها تشعر بوحدة قاتلة برغم الصخب الدائم في المنزل، لا تعلم لماذا عضّتها الوحدة وسمّتها في هذه الساعة حتى

أصابته بحمى الفقد؟ كانت معتادة على الوحدة منذ زمن، أما الآن، فهي تنزف متألمة، تريد أن تفعل أي شيء حتى تتخلص من هذا الإحساس الدامي، تبتاً للوحدة الأفعى التي تنقض على فريسة مسالمة سارحة في الملكوت لا تحسب أن ثمة غدر سوف يقتل نفسها فجأة، أفعى لسعتها بلسانها المسموم، فلم يشعر بمرض روحها أحد، لا أحد منهم يحاول أن يسألها هل هي سعيدة؟ هل ينقصها شيء؟ هل تحب؟ لا أحد يسأل، كلُّ في عالمه الخاص، لا أحد يهتم. كلُّ مهموم بذاته، هم يعتبرونها الرقيب المخيف الذي يجب أن يختبئوا منه، يعتبرونها الأب المتخفي في ثوب الأخت كي يراقب أفعالهم ويحصد أخطاءهم ويعنفهم عليها، لا أحد يشعرها بأنها مثلهم، امرأة! لديها مشاعر متضاربة تحتاج إلى الاحتواء، ولديها همٌّ تودُّ أن تقاسمه مع أذن تجيد الإصغاء، وقلب يجيد امتصاص الألم، همها كان عقلها، لطالما تمنّت أن تحب بصدق، لكنها لا تؤمن أن الحب موجود بمعناه، الحب هو مجرد اسم عذب للضعف، هي بحاجة لرجل في حياتها، ولكنها لا تعتقد أنها يجب أن تحب هذا الرجل، يكفي أن يحبها هو! ويغرف من الحنان ويعطيها.. ويا حبذا لو كان ثرياً، وذو منصب رفيع؛ لكي تتباهى به أمام الجميع، لا تريد أكثر من ذلك، ولكن عندما تنظر إلى أرض الواقع، تجد الرجال من حولها فقراء، بؤساء، يملكون قوت يومهم ولا يملكون أكثر من ذلك ليعطوها، بل وقساة، لا يعرفون

العطف، لا يملكون الآذان الصاغية ولا القلوب الممتصة للألم، إذن، أين يا ترى يمكنها أن تجد رجلاً يحبها دون أن تبادله الحب؟ وله كل الصفات التي تتمناها؟!



قبل أن تخرج جذوة إلى الشارع، وقفت في مدخل العمارة أمام امرأة مربعة باهتة مُعلقة على الحائط بجانب البوابة، خلعت الطرحة ووضعتها بحقيبتها، سحبت المشط البلاستيكي ومشطت شعرها حتى استحسنت تسريحته، نظرت في المرأة مرة أخيرة قبل أن تخرج متجهة إلى الصيدلية القريبة من المنزل، دخلت الصيدلية وعلى وجهها ابتسامة لم تتمكن من إخفائها، وقبل أن تنطق بحرف واحد بادرها مسعود بترحيب مبالغ فيه وبابتسامات عريضة.

— أهلاً وسهلاً، أهلاً وسهلاً، نورتِ الصيدلية بنورك.. أقصد بنارك!

امتطت ابتسامة جذوة أكثر وقالت:

— بل بنورك أنت.. شكراً، في الحقيقة أردت أن أشتري..

قاطعها مسعود وما زالت الابتسامة تأكل نصف وجهه:

— لا لا، لا تقولي ماذا تريدين أن تشتري الآن، إذا قلت سوف

تتطفئين سريعاً.. عفواً. أقصد تذهبين سريعاً.

قهقهت جذوة وقالت:

___ هل تعاملني معاملة النيران؟

___ ألسْتِ جذوة؟ رُبْ جذوة تنشب في ملابسك فتحرق قلبك بلهيبها.

ضحكت ومثلت الغباء:

___ ولماذا لا تريدني أن أذهب سريعاً؟

قالتها بدلال، وصحبتها بنظرة مغوية، فتجراً في الكلام أكثر.. لا بد أن لديها استعداداً كاملاً بأن تتعرف عليه وتتعدى علاقتهما علاقة العميل والصيدلي:

___ إذا ذهبتِ سوف تذهبِ روحي معك!

رفعت جذوة حاجبيها بإعجاب، لم تتوقع أنه سوف يتجراً في الكلام سريعاً هكذا.

___ سوف تذهبِ روحك معي؟ ألم تبالغ قليلاً؟ أنت لا تعرفني.

___ لا، لم أبالغ، فمثلك يخطف الأنفاس ويأخذ الأرواح، وبالطبع أعرفك جيداً، أتخفى النار على أحد؟

___ إذن أنا قاتلة؛ لأنني آخذ الأرواح كما تقول!

__ لیت الناس جميعاً یصبحون قتلة مثلك. لیت النساء جميعاً یمسون كأنت!

ضحكت جذوة ضحكة خلیعة بعض الشيء. وقالت:

__ أعطني شريط بانادول، لدي صداع..

استدار مسعود لیبحث عن الدواء فی الخزانة وهو یقول بصوت أعلى وأكثر رزانة:

__ لم أكن أعلم أن النيران یصیبها الصداع مثلنا.

ضحكت جذوة، بينما عثر مسعود على الدواء، حاسبها وأعطائها الفاتورة. أخذتها وخرجت فی سعادة وشعور بالانتصار. لقد وقعت الفریسة بدون بذل أي مجهود. وقعت من تلقاء نفسها فی شباك الحب.

عادت إلى المنزل وقد شعرت بالعطش، فمرّت على المطبخ لتشرب، تفاجأت بوجود فتنة، لم تُرد أن تحتك بها الآن، خاصة وهي مرتدية ملابسها بغير إذن، زعقت فتنة بغضب:

__ جودي! ما هذا الذي ترتدينه؟ من سمح لك بفتح خزانتي؟
هه؟ انطقي!

نظرت لها جذوة بغيظ وقالت بنبرة ساخرة لاذعة:

— وما كل هذا الغضب؟ وكأنها ملابس «ماركة» عالمية مثلاً!
ملابسك مهلهلة ورخيصة إن كنت قد نسيتِ.

— أنا ملابسي رخيصة يا عديمة العقل والإحساس؟ وطالما
أنها رخيصة ومهلهلة، لماذا ترتدينها؟ هيا اغربي عن وجهي واخلمي
ملابسي الآن ولا تلمسي خزانتي مرة أخرى، قلتُ منذ زمن أن الغيرة
تأكل قلبك ولم يصدقني أحد.

ضربت جُملة فتنة الأخيرة جذوة في مقتل. كأنها سحبت سيفها
وطعنتها في قلبها بلا شفقة، في حين أنها كانت تريد أن تبدو جميلة
في عين مسعود، تتهمها أختها بالغيرة، نعم لم تعد ملابسها تعجبها،
وتشعر بأن ملابس فتنة أجمل وأبهى، ودائماً ينتابها شعور أن ملابس
كل الفتايات أجمل من ملابسها، لكنها لم تكن لتغار من فتنة نفسها،
هي فقط أرادت أن تبدو جميلة! ولأن كلام فتنة هجومي، كان لابد
لجذوة أن تقابل الهجوم بهجوم أعنف حتى تنتصر في حرب الكيد:

— ولماذا سوف أغار منك؟ أنا لا أغار من أحد لأنني أثق
بنفسي جداً، لو كنت فعلاً أغار منك لما ساعدت أُمي في التجهيز ليوم
ميلادك، وماذا فعلتِ أنتِ؟ لم تأتِ بكل بساطة وحطمتي قلب أُمك،
اللَّهُ أعلم أين كنتِ!

ضحكت فتنة بسخرية مستفزة وقالت:

— أنت تغارين من خيالك يا جودي، لا تحدثيني عن عيد الميلاد
لأنني فتحت الثلاجة منذ قليل، هناك فأر التهم التورته كيلا تصلح
للاحتفال، فأر قلبه مريض لا يحب الخير لإخوته، جودي، أنت تغارين
مني ومن ذكاء. بل وتغارين من مُحِب، تغارين منه لأن أمك تحبه أكثر
منا جميعاً، وتغارين مني لأنني أجمل منك بمراحل، أما أنت قبيحة
الخلقة ذات أنف كبير ولست بيضاء البشرة مثلي، قصيرة وشعرك
أجعد ووزنك زائد ولست رشيقة مثلي، أوتعلمين؟ أنت تغارين من رزان
ابنة خالتنا صالحة أيضاً؛ لأن الشباب يركضون وراءها ويغازلونها
جيئةً وذهاباً، ولا يعيرونك اهتماماً، عندما علمت أنها تُحب ابن
الجيران اغتظت وغرت، وتغارين من مهيضة لأن لديها حبيب وأنت
لا يحبك أحد.

لم تتمالك جذوة نفسها بعدما سمعت ما لم تتمكن أن تسمعه أبداً،
انهارت باكية واستماتت في الدفاع عن نفسها أكثر، عجزت أن تجد
مبررات منطقية تُبرئها من كل الاتهامات الموجهة ضدها، ولكن من
قال أن إيجاد المبررات هو السلاح الوحيد للرد على الاتهامات؟ أن
تجرح المهاجم بكلمة أسهل بكثير من أن تبرر لنفسك، وجذوة اختارت
أن تجرح:

___ لا .. لست أغار من أحد .. أنا أحب أخي محباً! وورزان ليست ابنة خالتي فقط، بل صديقتي المقربة، ومهيضة كذلك، نحن دائماً معاً ولا نفترق، لا أغار منهم، بل إنني أحياناً أشعر بأنكم أنتم الذين تغارون مني لأنني الصغرى، آخر العنقود .. وأنتم، أنت وذكاء، أكبر مني سنّاً وما زلت «عوانس» لا تتزوجون، هذا سبب أدعى يجعلكم تغارون مني، عوانس!

___ عوانس؟ أتقولين عليّ عانس أيتها الغيبة؟ أنا لست عانساً، أنا امرأة متزوجة من رجل لا تحلمين بأن تتزوجي بمثله!

قالت فتنة هذا وقد تداركت أنها أفشت سرها بسرعة لم تتوقعها، لم تتمكن من الاحتفاظ بسرّها الشخصي لمدة يوم واحد، وسرعان ما فضّ الغضب كتمانها، لم تُرد أن تُعلن زواجها لولا تلك الكلمة التي تشكّ قلبها كدبوس مدبب «عانس»، كان يجب أن تكظم غيظها ولا تتكلم تحت أي ظرف، ولكنه الاندفاع الأعمى للدفاع عن الكرامة، حتى وإن كلفها خسران من تخاف على كرامتها أمامهم، كانت جذوة مندهشة وقد كفت عن البكاء وأخذت تمسح دموعها وهي تفكر فيما قالته فتنة الآن، «أنا امرأة متزوجة من رجل لا تحلمين بأن تتزوجي بمثله؟ تزوجت؟ ودون أن تخبر أحداً؟ تزوجت في السر؟ وممن؟ بالتأكيد قد تزوجت من لؤي، ولكن لماذا في السر؟ حتى لو رفض أبي سيخضع لإرادتها في النهاية كعادته، لا رأي له ولا مبادئ.

ماذا لو أخبرته؟ بالطبع سوف يعنفها، ثم يضربها، لا لشيء إلا لكي يثبت رجولته وأبوته أمامها لبضع دقائق، ثم ينسى كل شيء، ماذا لو أخبرتُ أمي؟ سوف تغضب وتبكي وتخاف من رد فعل أبي، سيتهمها بالإهمال والتقصير، وهذا أشد ما تخاف منه، هذا السرّ يجب أن يعرفه الجميع.»

— جودي، إياك أن تتفوهين بكلمة لأحد، إنه سر، ولكنك مستفزة وقد جعلتني أخرج عن شعوري.

— أنا مستفزة؟ ما هذه الجرأة؟ تتهميني بالغيرة ونكتشف فجأة أنك متزوجة في السر؟ أقسم بالله أنني سوف أدفعك ثمن اتهامك لي غالباً، سوف أقول لأمي وأبي وإخوتي طالما أنا قبيحة وأنفي كبير وشعري أجعد، هذه القبيحة التي أمامك سوف تجعل منظرك أقبح مما تتخيلين، إما ذلك وإما أن تعتذري لي وتتذللين لي كي أَرْضَى عنك.

— أتذلل لمن؟ هيا اغربي عن وجهي أنا لا أخاف من أحد، أنا لا أفعل شيئاً إلا إذا كنت واثقة منه ولا يهمني أحد، قولي للجميع لا يهمني، احلمي أن أتذلل لقبيحة مثلك.

اشتعلت النيران في قلب جذوة ولم تتمكن من إخمادها بأي شكل، ذهبت إلى غرفتها وخلعت ملابس فتنة بغيظ، كانت تريد أن تقطعها

ولم تجرؤ على ذلك، اكتفت أن تلقيها على الأرض في حنق، ارتدت (بيجاما) مريحة، ثم أخذت تجيء وتذهب عاصرة قبضة يدها، كانت تفكر ما الذي يتوجب عليها فعله حتى تؤدّب فتنة وتلقنها درساً لا تنساه، ولا تعلم هل سوف تنسى هي إهاناتهم المستمرة؟ هل ثمة شيء يُطفئ نارها؟ هل سترتاح إذا انتقمت؟ ولماذا تنتقم؟ لأنهم يرونها قبيحة؟ ما ذنبهم؟ لماذا خلقها الله هكذا؟ هل يكرهها إلى هذا الحد؟ ألا يرى أنها تستحق أن يهبها الجمال؟ خافت من تلك الهواجس المتعلقة بالله، خافت من التفكير في الأمر فتناسته. لا.. لا يمكنها أن تسكت وتترك حقها مهدرًا. سوف تقلب الطاولة على رأس فتنة.. وسوف تجعل الجميع يكرهونها لأنها ظلمتها وتستحق أن تعاقب!

كانت الساعة قد تعدت الثانية والنصف بعد منتصف الليل، كان نديم يغط في نوم عميق، أما راجية فقد كانت مستلقية على السرير أمام شاشة التلفاز كعادتها، وبجانبتها طبق من الفواكه المشكلة عندما اقتحمت خلوتها جذوة فجأة قائلة:

__ ماما.. يا من أحسنت تربية ابنتك الكبرى، يا من وثقت فيها

انظري ماذا فعلت بثقتك؟

انزعجت راجية من صوت جذوة العال وأرادت توبيخها لولا أنها

استشعرت أن هناك كارثة ما وراء ثورتها:

___ ماذا؟ ماذا حدث؟

___ فتنة تزوجت في السر.

صُعِقَتْ راجية وشعرت أن قلبها قد وقع فجأة إلى أخص قدميها
وقالت غير مُكذِّبة:

___ أيعقل هذا؟ غير صحيح، من قال لك ذلك يا جودي؟ من قال
لك ذلك؟

___ هي قالت لي ذلك، منذ قليل، بينما كنا في المطبخ، قالت أنها
امرأة متزوجة الآن! رنت الكلمة في أذني وعندما سألتها لم تُنكر، بل
أكدت لي الخبر، بالتأكيد تزوجت من حبيب القلب لؤي، لم تعبأ بكم،
بل ونسيت أن لديها أمًّا وأبًّا من الأساس. قررت أن تتزوج فتزوجت
ببساطة شديدة! أنتِ لا شيء بالنسبة لها، أنت مجرد هواء شفاف
بالنسبة لفتنة.

وضعت راجية يدها على قلبها وكأنها تمسكه كيلا يفر من مكانه،
وحاولت أن تكتم صرخة كانت سوف تفلت من فمها وتخرج مزلزلة
الكون، ارتعشت أطرافها وازرورقت. استتظقت لسانها غصبًا فنطق
عن جرح لن يندمل:

___ .. ابنتي .. البكر .. قـ.. قتلت فرحتي.

— اهدئي يا أمي! هي لا تستحق حزنك.

طبّبت جذوة على كتفها ثم ابتسمت ابتسامة من ظفر بصيد
ثمين، فتنة تستحق ذلك! لو لم تعايرها بشيء.. لو لم تقل أنها قبيحة
لما فعلت ذلك، ولكنها دائماً تفعل وتعايرها بأي شيء، أمها أيضاً
تستحق الحزن وطأطأة الرأس، أليست هي من ضربتها وأهانته
مراراً وتكراراً أمام الجميع؟ فلتموتون غارقون في بحار أحزانها.

لذلك لن تكتفي بأن تخبر أمها فقط، بل سوف تخبر أباه
أيضاً، وقفت أمام باب غرفته المغلقة ولكنها لم تجرؤ على الدخول.
خافت، ليس من أبيها، بل من رد فعل أمها إذا اكتشفت أنها أفشت
أختها، ربما صبّت كل غضبها عليها فتشمت فيها فتنة، لا لن تسمح
لها بالشماتة أبداً، تركت بابها وذهبت، ولكنها سوف تخبره بطريقتها
الخاصة. سوف تخبره دون أن يعلم أحد شيئاً عن هوية المُخبر.

مرّت جذوة من أمام غرفة فتنة، فسمعت صوتها وهي تتحدث
مع لؤي تليفونياً، ظلّت تتجسس عليها لعلّها تسمع أي شيء يفيدها في
المستقبل، إذا فكرت فتنة أن تعايرها مرة أخرى.

— لم أكن أقصد يا لؤي أن أفشي سرنا من أول يوم! الحقيرة
جودي استفزتي جداً، وأخرجتني عن شعوري! تخيل أنها كانت ترتدي
ملابسي بدون إذني؟ وفي الوقت نفسه تدعي أنها ملابس رخيصة

وبالية، فتاة مجنونة ومريضة نفسياً.. ماذا؟ لا أعرف! أتمنى أن تكون عاقلة ولا تقول لأحد.. ولكنها مجنونة ومعقدة نفسياً وسوف تخبر العائلة فرداً فرداً، تُشعل النيران في المنزل ثم تصرخ معترضة: «لماذا سميتوني جذوة؟» والله النار لا تحرق كما تحرق هي كل أخضر، فتحيله إلى رماد بائس.

أثارت تلك الكلمات نار جذوة أكثر، ففتحت الباب بعنف ورسمت على وجهها ابتسامة باردة وقالت:

___ سمعتُ ماما تتاديكِ يا.. يا مدام، تُرى ماذا تُريد منكِ؟

ختمت كلامها بضحكة شماتة رنانة، ثم أدارت ظهرها وسبققتها إلى راجية كي تستمتع بالفُرجة على اللهب المتناثر من الأفواه والقلوب.



obeikandi.com

(٥)

كان محمد جالساً كعادته يتابع البرامج السياسية وقد ولى كل انتباهه للشاشة الناطقة، حتى أنه لم يلحظ أن صالحة جاءت من المطبخ وجلست بجواره.

___ محمد! محممممم.

أشار لها بيده أن اصمتي كي أسمع جيداً. فغضبت من أسلوبه في التعامل معها، أخذت جهاز التحكم وأغلقت التلفاز.

___ هل جُننت؟ افتحيه بسرعة أريد أن أعرف كيف سيجابوب الرجل على سؤال المذيع.

___ لن أفتحه يا محمد، حاول أن تجالسنني قليلاً! ما بك صرت إنساناً ساكناً لا نسمع صوتك إلا عندما تقول لنا اخرسوا واسكتوا ولا تتفوهوا بكلمة! ما هذا الصمت المرعب الذي تعيش فيه؟ لقد مللت منك! حدثني قليلاً، اعتبر أنني المذيع وكلّمني، اعتبر أنني زوجتك على الأقل!

___ يا زوجتي الحبيبة أنتِ أجمل من ألف مذيع. لذلك افتحي التلفاز، إذا سمحت.

ابتسم لها يرشيها؛ لكي توافق أن تشغل التلفاز، ولكنها لم تفعل،
ففقده الأمل في ذلك، واستشعر مدى جدّيتها.. فقرر أن يبدد السكوت
ويتكلم في أي شيء؛ كي ينفي عنه تهمة الخرس المنزلي:

— أين روزا؟

نظرت له صالحة وتأفقت، فالموضوع الذي فتحه لم يعجبها،
ولكنها ردت باقتضاب:

— في غرفتها.

— هل صلّت العشاء؟

ضاق صدرها على قلبها:

— لا أعلم.

— كيف لا تعلمين؟ قومي واسألها هل صلّت أم لا؟.. أهم شيء
يجب أن نفعله هو الصلاة ثم يأتي كل شيء بعد ذلك، وأنا أشعر أنها
غير منتظمة في صلاتها، لا تصلي أبداً من تلقاء نفسها، يجب أن
نذكرها دائماً أن الصلاة من أجل الله، لا من أجلنا نحن.

احتبست أنفاسها:

— هذا الكلام غير صحيح، أنا رأيته أكثر من مرة تصلي دون

أن أمرها بذلك.

سكت محمد وكأن كلام الدنيا كله قد انتهى الآن، ولم يتبق شيئاً
واحداً يتحدث عنه. رأت صالحة أنه لا فائدة من استتطاق زوجها،
قلبا يعتمر وينقُط ضجراً وروتينية دامية، ذهبت لتجالس ابنتها؛
لتضيّع وقتها وتقتل الساعات وتغتال الدقائق مع سبق الإصرار.

دلفت صالحة إلى غرفة رزان فوجدتها تضع السماعات في
أذنها، وتتمتم مع الأغنية في طرب.. وحينما رأت والدتها أوقفت
تشغيل الأغنية وابتسمت لها بحب، وقالت مازحة:

___ الحمد لله أنني كنت واطعة السماعات في أذني، فلم أسمعك
تهدمين الباب فوق رءوسنا وتقتحمين الغرفة كمفتشي المباحث الذين
يبحثون عن مجرم خطير.. كيف أحوالك؟

___ الحمد لله يا حبيبتي، لقد مللت من أبيك. الرجل لا يتكلم
أبداً، ويشاهد البرامج السياسية ليل نهار، لا أعرف كيف يتحمل
حياته بهذا الشكل الممل؟

ضحكت رزان بمرح وقالت:

___ تعالي نثرثر أنا وأنتِ، ماذا سوف نفعل غداً؟ غداً الجمعة
لو تتذكرين.

___ سوف نساfer إلى طنطا كالعادة، ألا تريدان أن تسافري معي؟

___ لا لا، كيف تقولين هذا؟ بالطبع أريد أن أسافر وبشدة، أنت تعلمين أنني أحب ماهي وجودي جداً، هم بنات خالاتي نعم، ولكنني أعتبرهم أصدقائي المقربين.

صمتت صالحة لبرهة وكان هناك شيء ما أزعجها، ثم سألت ابنتها:

___ هل تعتبرين جودي صديقتك أيضاً؟ مثلها مثل ماهي؟

___ نعم بالطبع! جودي مرحة جداً وخفيفة الظل! أحبها وأحب ماهي بشدة.

قالت رزان ذلك بمرح طفولي وببراءة من لا يعرف، لطالما كان لصالحة بعض التحفظات على صداقة رزان وجذوة، لم تكن تتراح لجدوة ابنة أختها راجية كما تتراح لمهيضة ابنة طائعة، وفي نفس الوقت، لم تكن تعرف سبباً، أو تتذكر موقفاً سيئاً سبب إحساسها السلبي تجاه جذوة، قلبها كأنثى أولاً ثم كأم ثانياً كان يقول لها: «جذوة خطر على ابنتك، جذوة سيئة، جذوة مظلومة. استغفري الله ولا تظنين فيها السوء واصمتي» لذلك فضلت أن تصمت ولا تتكلم دون أن تملك دليلاً واضحاً يقول أن جذوة ليست صديقة مناسبة لابنتها.

___ أمي.. اختاري لي ملابس جميلة أسافر بها طنطا، فلربما خرجنا، أنا وبنات خالاتي، سوياً في المساء؛ لنتنزه قليلاً ونتسوق. أريد أن أبدو جميلة.

___ أنت جميلة في كل حالاتك يا روزا، ومع ذلك سوف أختار لك ملابس مناسبة.

فتحت صالحة خزانة ابنتها وبدأت في البحث عن ملابس متناسقة وجميلة لقضاء الأجازة في طنطا، وكانت سعيدتين بذلك، قُتِلَ الوقت، ومر مرور الكرام.. مر اليوم بسلام، لبت السلام يدوم، وليتنا نستطيع أن نعدم الساعات وقتما شئنا، ولكن الساعات لا بد وأن تقتلنا يوماً وتظفر بأنفاسنا إلى الأبد.



غنت العصافير حين هبت نسمات علية في العاشرة صباحاً، كما ازداد نور الشمس دون أن تزداد حرارتها.. كانت شمس حنونة ومضحية.. تهب الضوء وتبتلع النيران، فتحت رزان شرفة غرفتها فلامستها النسمات. أغمضت عينها مبتسمة ومستنشقة رائحة الفلّ التي عبّأت المكان، كان اليوم هو يوم سعادتها المنتظر، فقد مرّ أسبوع كامل دون أن ترى حبيبها، واليوم سوف تذهب إليه وتراه، نعم هو لا يعرف أنها تحبه، ولا يعرف أنها تتظر له خلسة، ولا يعرف اسمها، ولكنها تحبه بدون أي سبب، تحبه وإن لم يتبادلا الحديث، يكفيها أن تراه مرة واحدة أسبوعياً في طنطا، تملأ عينها به ولا يمتلئ به قلبها أبداً، فتظل جائعة لهواه. على عكس جائعي المعدة

الذين يتألمون ويتضررون من الجوع، تستمتع هي وتستلذ جوعها لحبه الذي لا يرتوي أبداً، ارتدت أبهى ملابسها، ووضعت بعض الحُمرَة على شفيتها ووجنتيها كما اعتادت دائماً. كانت خائفة أن تتعرق في الطريق، ولكنها حينما لمست تلك النسومات الباردة اطمأنت أن الحُمرَة ستثبت ولن تبهت، يكفي أن تجلس باستقامة وبحرص في السيارة؛ كي لا تتكسر ملابسها المكوية.

في الطريق.. كانت تنظر من شباك السيارة إلى السماء، تراقب سرب طيور كان يحوم بشكل دائري في الهواء، وبعد أن اختفى راقبت الأشجار المستمتعة بمداعبة الهواء لها، وظلت تراقب المارة والسيارات والأرصفة والقطط، معطية لهم حياً، وآخذة منهم سلاماً.

ما إن صفّ أبوها السيارة تحت بيت العائلة الكبير، أخذ قلبها يدق دقاً سريعاً، يمكنها أن تراه الآن في أي لحظة، حبيبها يقطن في أحد البيوت في هذه المنطقة، لا تعرف في أي شارع بالتحديد، ولكنه قريب، نزلت من السيارة تتلفت يميناً ويساراً لعلها تراه ماراً هنا أو هناك، لم تره.

— هيا يا روزا، ادخلي إنهم ينتظروننا.

انتبهت رزان لصوت أمها فصعدت درجتين كانتا تفصلان بينها وبين حديقة المنزل. وقد كان منزلاً جميلاً وصغيراً، يتكون من ثلاثة

طوابق وحديقة صغيرة بها شجرة فل، وشجرة ياسمين، وشجرة
ليمون.. كان المنزل ملك للجد الأكبر محمود- رحمه الله- وقد
أوصى أن يُقسّم المنزل على بناته الثلاث، صالحة، وراجية، وطائفة،
قد اختارت طائفة الطابق الأول لأنها كانت مستقرة في طنطا مع
زوجها على عكس صالحة وراجية اللتان تستقران في القاهرة بجانب
مصالح وأعمال أزواجهن، وقد أخذت صالحة الطابق الثاني، بينما
تبقى الطابق الثالث لراجية، رغم أنهن يمتلكن منازلهن الخاصة، إلا
أنهن يُفضلن المبيت في منزل طائفة حتى يستحضرا أيام طفولتهن
ويشعرن بدفء أنفاس أبوهن وأمهن الراحلين.

كان الاستقبال حافلاً كالعادة، سلمت صالحة على طائفة بحرارة
في حين احتضنت رزان مهيضة التي اشتاقت لها خلال هذا الأسبوع،
واكتفت بإيماءة منها لخالتها طائفة وابتسامة ترحيب.. سلّم محمد
على مهيضة ومزح معها قليلاً ثم ألقى تحية على طائفة:

— لقد أوصلت الأمانة، صالحة وروزا عندكم، وأنا ذاهب لكي
أزور أهلي.. استمتعوا بوقتكم.

قال محمد هذا مستأذناً، لم يعتد أن ينام في منزل كله نساء كيلا
يقيد حركتهن وحريرتهن، خاصةً أن رجل البيت، ظافر زوج طائفة،
سافر إلى أسوان، قد اعتاد أن يوصل زوجته وابنته إلى منزل العائلة،

وينتهز الفرصة ليزور أخته وأخاه القانتان قريباً، هو أيضاً من طنطا،
تعرف على صالحة في الجامعة، أحبها وتزوجها.. ولم يندم للحظة أنه
اختارها لتكون شريكة حياته.

فور خروج محمد، جذبت رزان مهیضة من يدها ودلفتا غرفة
مهیضة وأغلقا الباب كيلا يزعجها أحد.

— هيا أخبريني، ألم تري حبيبي؟

استغربت مهیضة السؤال وتساءلت:

— حبيبي؟ من حبيبي هذا؟!

— حبيبي يا ماهي أنسيت؟ الشاب الأسمر القاطن بالجوار،
هل رأيته؟

تذكرت مهیضة الشاب وقالت:

— اااااه حبيبي، فهمت.. هذا الشاب الطويل الأسمر، لا أعلم
ما الذي تحبينه فيه بالتحديد، أشعر بأنه تافه جداً.

— لا تقولي على حبيبي تافه إذا سمحت.

— حبيبي حبيبي! ألم تعري اسمي بعد؟

— ومن أين أعرفه؟

ابتسمت مهیضة بخبث وقالت:

___ ماذا ستعطيني لو قلت لك اسمه؟

اندهشت رزان وارتبكت وفرحت في لحظة واحدة، ثم قالت
متحمسة:

___ أعطيك أي شيء تريدينه، هيا بسرعة قللي، ما اسمه؟

___ أعطني هذه السلسلة!

شاورت مهیضة على سلسال إكسسوار فضي خفيف، به لؤلؤة
بلون الحليب، قد زين رقبة رزان، فتملكت رزان من المماطلة وخلعته
بسرعة وبدون تفكير ثم أعطته لمهیضة.

___ هياااااااااا ما اسمه؟ وإلا سوف أبدأ بمدّ اليد، لم أعد أحتمل

انطقي.

___ راغب.

استقبلت رزان الاسم وكأنها تتذوقه، أغمضت عينيها ورددت

باستطعام:

___ راغب.. راغب.. راغب.. اسم جميل! وأنا أرغب في أن يكون

لي وأعيش معه بقية عمري.

رفعت مهیضة حاجبها ببلاهة:

___ اسمه عادي جداً بالمناسبة، ما الجميل فيه؟ وما هذه المبالغة؟
شاب لم تريه إلا مرتان أو ثلاث ماراً في الشارع، تريدين أن تعيشي
معه عمرك كله؟ فلنفترض أن أخلاقه سيئة؟ أو مرتبط؟ أو متزوج؟
ماذا سيحدث وقتها؟

ارتعدت رزان من مجرد التفكير في هذه الاحتمالات وقالت:

___ مستحيل! هو ينظر إليّ كما أنظر إليه. أشعر أنه يحبني، وقد
تلاقت أعيننا كثيراً. إنه يشعر بي.

ثم تذكرت شيئاً فقالت:

___ صحيح.. كيف عرفت اسمه؟

___ سمعت صديقه يناديه أمس، كنت جالسة بالحديقة والباب
مفتوح، كنت أراقب المارة من فرط الملل، كان مع أصدقائه وقد ناداه
واحد منهم أن يا رايي اغب عُد إلى هنا أمك تتاديك.

استغربت رزان وقالت:

___ أمه تتاديه؟

ضحكتنا كثيراً ثم صممتنا قليلاً حتى سمعنا صوت سيارة أمام المنزل مباشرة، فعرفنا أن جذوة حتماً قد وصلت وركضنا لتفتحا الباب وتستقبلانها وتكتمل الصحبة.

— يا مرحب، أهلاً وسهلاً حبيبتي راجية تفضلي.

قالتها طائعة بحب ثم أردفت موجهة كلامها لذكاء:

— أين فتنة يا ذكاء؟ لم لم تأت معكم؟

فضلت ذكاء الصمت بينما ارتبكت راجية وقالت بحزن:

— فتنة فضلت أن تبقى في المنزل، سوف أقص عليك ما حدث،

الحكاية طويلة يا طائعة.

كانت ذكاء أكبر من رزان ومهيضة وجذوة ببضع سنوات، وكانت تشعر بأنها امرأة وليست فتاة مراهقة، عمرها عشرون. ولكنها تشعر بأنها في الثلاثين من عمرها. لذلك كانت تفضل أن تجالس خالاتها وأمها بدلاً من مجالسة البنات في غرفة مهيضة.

تجمع البنات الثلاث في غرفة مهيضة، وهي الغرفة الأكبر في المنزل، حتى أنها أكبر من غرفة ظافر وطائعة، الغرفة فيها شرفة صغيرة تطل على الحديقة، وبها ثلاثة كراسٍ وطاولة دائرية، مصنوعين من البلاستيك الأبيض، كُنَّ يُفضَلن التجمع في هذه الغرفة

بالذات لضمان الخصوصية، ولأنها الغرفة الأكثر راحة وجمالاً في المنزل، الغرفة بها تلفاز وسريران ومكتبة بها روايات كثيرة حديثة وقديمة، غير أن الشرفة تجعل الغرفة أكثر طراوة وجمالاً.

دخلن الشرفة وجلسن في جو مليء بروائح الياسمين والليمون، ورائحة غدر لم يستطعن لبراءتهن أن يشممنها.. قالت جذوة وعينيها تومض بشرار وتضحك بسخرية مبطنة:

___ روزا، ما أخبار حبيبك؟ هل تكلمتم معاً؟ هل تقابلتم؟

أعجب رزان الحديث، وأحبت السيرة، فابتسمت وقالت:

___ في الحقيقة يا جودي، أنا لم أراه حتى الآن منذ الأسبوع الماضي.

ثم تذكرت شيئاً فأسرعت تقول بفرحة:

___ ولكنني عرفت اسمه، ماهي سمعت صديقه يناديه بـ راغب.

ضحكت جذوة وقالت:

___ أحقاً؟ اسمه جميل، ولكن أريد أن أسألك ما الذي يعجبك

فيه بالتحديد؟

قالت رزان وهي تتخيله في عقلها محاولة أن تتذكر ملامحه كلها:

__ أحب طولهُ، سماره، ثقله، فهو ليس خفيفاً فارغاً من الداخل
كبقية الشباب، له رزانة وهيبة أستشعرها، أشعر أنه سوف يحميني
من أي أذى، ويأخذني بين ذراعيه. بالمناسبة.. ذراعيه معضلتان، لقد
لاحظت ذلك، وهذا يعني أنه رياضي وقوي؛ لذلك أقول لك أنه سوف
يحميني من أي شيء.. أحبه لأنه.. أحبه دون سبب يا جودي!
صمتت جذوة مفكرة في كلام رزان.. ثم نظرت لمهيضة وسألتها:

__ وأنت يا مهیضة، ما أخبار مالك؟

__ مميم مالك بخير الحمد لله.

قالتا بتردد استشعرته جذوة، فقالت:

__ من الواضح أن هناك شيء ما، هل تشاجرتما كالعادة؟

__ بصراحة نعم، تشاجرنا منذ يومين ولم يكلمني إلى الآن! كل

هذا لأنني جلست إلى الشرفة دون أن أضع طرحة على رأسي.

قالت جذوة بحدة مدروسة ومقصودة:

__ وما المشكلة؟ أنت لم تخطئي في شيء، ولماذا تضعي طرحة

على رأسك في شرفة منزلك؟ هل أنت في الشارع كي تضعينها؟ ما

هذا الغباء؟

قالت رزان مُعترضة:

— كلام غير منطقي يا جودي، طالما أنها محجبة يجب أن تضع الطرحة طالما هناك رجال في الشارع يمكن أن يرون شعرها، هذا معروف. لا يمكننا أن نحرف في الدين على أهوائنا. طالما اختارت أن تتحجب فلتلتزم بحجابها إذن، ولكن هذا لا يعني أن يتشاجر معها. كان يجب أن ينصحها بلين فقط.

ارتبكت جودي قبل أن تقول:

— نعم، صحيح هي محجبة وكلامك صحيح، أقصد أنه لا يجب أن يهينها لأجل سبب كهذا، هذا قصدي.

هزت رزان رأسها متفهمة في حين قالت مهيضة:

— كانت الساعة الرابعة فجراً، في هذه الساعة لا يمر أحد ولا يتواجد في الشارع. لذلك خرجت أستشق بعض الهواء بحريتي، وإذ فجأة رأيت مالك أمامي، كان مختبئاً وراء شجرة الليمون يراقب الشرفة وينتظرني. تسلل من باب الحديقة الذي نسيته أمي مفتوحاً، وحينما رأني بدون طرحة جنّ، خرج من الحديقة راكضاً إلى شارع مجاور واتصل بي وعنفني بالكلام: «كيف تخرجين هكذا؟ ادخلي ضعي طرحة على رأسك، ماذا لو رآكي أحد المارة؟» إلخ.. لم يتركني إلا عندما دخلت غرفتي وأغلقت باب الشرفة.

قالت رزان:

___ لا أعلم لماذا يعيش في دور الزوج من الآن؟ المهم.. ما رأيكم
أن نخرج للتنزه في المساء؟

ارتبكت مهیضة وقالت بصوت خفيض:

___ لا يمكنني الخروج، لو رأني مالك سوف يقتلني لأنني خرجت
بدون إذنه، وفي الوقت نفسه لا يمكنني أن أستأذن منه لأنني خاصمته
وغازبة منه.

نظرت رزان لمهیضة نظرة احتجاج وغضب ثم قالت:

___ ماذا؟ تستأذنين منه؟ لماذا أنت ضعيفة كل هذا الضعف يا
ماهي؟ من هذا كي يتحكم في كل تفاصيل حياتك؟

قالت جذوة:

___ حتى لو تحبينه يا ماهي لا يحق له أبداً أن يقيد حريتك! أنت
حرة افهمي.. وهو ليس زوجك وليس خطيبك، نعم تحبينه ولكن هذا
ليس مبرراً لیتحكم فيك، إلا إذا كنتِ مستمتعة بهذا التحكم!

سكتت مهیضة وقد شعرت بالحزن والضيق، هي لا تعرف إلا أن
تطيع مالك، تحبه حباً جنونياً، ليس الحب وحده سبباً يجعلها تطيعه،
ولكن أمها دائماً ما تنصحها بطاعته كي يتقدم لها رسمياً ويتزوجها،

فهو بالنسبة لوالدتها عريس مثالي، معه الكثير من المال، بالإضافة إلى أنه معروف بحسن أخلاقه، كانت تستمع إلى أمها وتقتنع بكل كلمة تقولها عن طاعة الزوج، لم تعد تعرف أن تحتج أو تعترض على أمر يأمرها به. خاصةً أنه لا يأمرها بشيء سيء، كانت تعرف أنه متدين وذو خلق حميد، وتعرف أنه يحبها بصدق، لكن ما يزعجها أن جدوة ورزان لهما الحرية الكاملة في تصرفاتهن، ويتضايقان من تحكم مالك فيها؛ لأنه يؤثر بالتالي على حريتهن الشخصية، إذا قررن الخروج ومالك لم يوافق، لن يخرجن كلهن، فمن غير المعقول أن يخرجوا ويتركوا مهيضة تصارع وحدتها في المنزل.

دخلت طائفة عليهن ودعتهن لتناول الغداء، كانت قد حضرت مائدة كبيرة بها كل ما لذ وطاب من الطعام، طائفة كانت موهوبة في الطبخ، وكل العائلة تحب أن تأكل من يديها، توسطت المائدة صينية مسطحة بها دجاج وبط، وحولها أطباق بيضاوية طويلة بها جميع أنواع المحاشي المصرية، ولم تنس طائفة طواجن المعكرونة بالبشاميل والملوخية الخضراء الطازجة والسلطة الخضراء، ساعدتها البنات في جلب الصحون النظيفة والملاعق، جلسوا جميعاً إلى المائدة بشهية منفتحة وبسعادة لا يشعرون بها إلا حينما يتجمعون سوياً ويأكلون معاً كما اعتدن قبل أن ينتقل أمهن وأبوهن إلى رحمة الله تعالى، كان هناك دفء يحتضنهن، غير دفء البخار المنبعث من الطعام.. كان دفء روعي يطبب عليهن ويقبلهن.

قالت صالحة ببهجة:

___ سلمت يداك يا أجمل أخت في الدنيا .. أشعر أنني أريد أن
ألتهم المائدة كلها .

وقالت راجية ضاحكة:

___ لا تلمسي شيئاً يا صلوحة .. أنا سوف أقوم بالواجب على
أكمل وجه .

ضحكت طائعة وردت:

___ بالهناء والشفاء يا أحبتي، كنت أتمنى أن أعزم عليك بالطعام
وأقدمه لكُنّ، ولكن من الواضح أنك لا تحتجن إلى ذلك .

تعالت الضحكات، وتعددت الأحاديث الجانبية، وتداخلت
الأصوات، ثم سكت الجميع فجأة عن غير عمد منهمكين في تناول ما
لذ وطاب من الطعام، حتى قطع الصمت المزحوم بصوت الملاعق التي
تصطك بالأطباق، صوت ذكاء، التي قالت بإعجاب:

___ ما شاء الله يا روزا، صرت جميلة ولا يوجد بك عيب واحد،
بيضاء وطويلة وجسمك قد استدار ووجهك تورّد، صرت عروساً .

ابتسمت رزان ولم تستطع أن تتكلم من فرط الخجل، حاولت
أن تداري خجلها باللعب في الصحن بالملقعة دون أن تأكل شيئاً،

كانت تُرديها أي كلمة مدح مية من فرط الخجل. أما جذوة فقد نظرت لروزا دون أن تبتمس. كانت تنظر لها دون أن ترمش.. تدقق في ملامحها وفي كل سنتيمتر في وجهها، محاولة أن تلم بكل ما ينقصها وتملكه رزان، أما الغيرة، فحتماً قد شعرت بسكينها يغز قلبها، خاصة بعد أن قالت طائعة بدون قصد:

— لقد سمعت كثيراً يا جودي، ابدئي في نظام غذائي واستمري عليه كي تصبحين رشيقة مثل روزا، وزنك سوف يفرق معك جداً في الشكل العام، هيا كوني ذات إرادة من حديد كي تتزوجين سريعاً.

كتمت جذوة غيظها وأطفأت جمرة بداخلها كادت أن تشتعل، ثم استعارت روحاً مرحة، وضحكة بلاستيكية من الهواء؛ كي تقول:

— كيف أتبع نظاماً غذائياً طالما أن طعامك أمامي كل أسبوع يا خالتي؟ ثم إن الرجال يحبون الوزن الزائد، ولا يحبون الهياكل العظمية.

ضحكت السيدات بينما شعرت رزان بأن كلام جذوة فيه هجوم عليها، هياكل عظمية؟ ثم أقنعت نفسها بأنها لا تقصدها هي بالذات. بل ربما تقصد فتايات أخريات، هي ليست نحيفة إلى هذه الدرجة، بالتأكيد جذوة لا تقصد الإساءة لها! شعرت جذوة أن كرامتها عادت إليها زاحفة، لولا أن صالحة فجّرت تلك الكرامة بقنبلة ناسفة حتى لا تعود أبداً:

— هل تعلمين يا جودي؟ لا يهم إذا كنت سمينة قليلاً، هذا ليس عيباً يا ابنتي، ولكن إذا ارتديت ملابس ذات مقاس أكبر قليلاً سوف يكون مظهرك أنحف وأجمل، ملابسك الضيقة تظهر عيوب جسمك كلها.

كانت صالحة تقصد النصيحة الطيبة، ولكن جذوة غضبت، ماذا عن الكرامة الهاربة؟ كيف تعيدها مجرورة إلى صدرها مرة أخرى؟ ربما بالتجاهل؟ تجاهلت جذوة خالتها ولم ترد عليها، نظرت لطائفة وقالت:

— سلمت يداك يا خالتي، سوف أقوم لأغسل يدي.

أومأت طائفة أن «تفضلي» ثم التفتت إلى أخواتها وبناتهن وأخذن يضحكن ويثرثن، ثم بدأت في تحويل الصحون إلى المطبخ وغسلها وتنظيف المائدة، لم يشتركن كلهن في التنظيف، دخلت رزان ومهيضة غرفتهن بعد أن غسلت أيديهن، ولم يكثرنا لشغل المطبخ. كانتا معتادتين على الدلال الزائد، أما جذوة، فقد أمرتها راجية بغسل الأطباق كلها، حاولت جذوة ألا تفعل ولكن أمها نظرت لها نظرة معناها «افعلي وإلا عاقبتك عقاباً تمقّتينه بشدة»، كان عقاب راجية لجذوة يؤلمها، ولكن لا يخيفها؛ لذلك كانت تفعل ما تؤمر به لتجنب آلام حرق بملعقة مشوية على نار حامية، أو كبرياج يجلد لها ويترك على ظهرها علامات لا تزول مع الوقت. لم تكن تخاف.. كانت تتألم فقط،

لم يكن الألم جسدياً فقط، بل كانت تتعذب من الداخل. كان هناك في عمق قلبها يقبع الحطب، زاد مع الوقت ليصبح حطباً كثيراً، لو أشعل أحدهم كبريتاً لشبَّ حريق يلتهم قلبها. لذلك تعاملت مع حطبها بذلك، غلّفته بكتل من الثلج، وكلما انصهر الثلج نتيجة لشعلات نارية غير قوية بما فيه الكفاية لتثور وتخرج، كومت عليه ثلوجاً جديدة مرة أخرى، خوفاً على قلبها من التفحُّم.

كانت راجية تحب جذوة، تحبها حباً جمّاً! تحبها أكثر من مُحب ابنها الوحيد، تحبها أكثر من أولادها كلهم لسبب لا تعلمه؛ لذلك أقسمت بالله بينها وبين نفسها أن تروّضها جيداً، هي تعرف أن جذوة فتاة جامحة نائرة غاضبة، لديها قابلية شديدة للعصيان والتمرد، كانت تحاول ألا تلفت نظرها للنار النائرة بداخلها، تحاول أن تشوش على عنادها واحتجاجها بالعنف وبالغضب. بأن تُخضعها لها كيلا تفكر في العصيان. لذلك كانت تلجأ لوسائل عنيفة في تربيته، كانت تبكي وتندم حين تحرق يدها بالمعلقة الحامية، أو أن تتسبب لها بأذى جسدي ولو بسيط، ولكنها تعرف أن هذا ضروري لكي تروّض مشاعر ابنتها الهائجة. كانت تريد، وهي تضربها، أن تصرخ في وجهها وتقول: «أنت لست كبقية النساء، أنت نار لا بد أن تنطفئ، أنت خطر، اخمدي ولا تؤذينا ولا تؤذي نفسك، اخمدي ونامي بسلام وسوف أتركك حرة، يومها لن أضربك مرة أخرى. لن أوذي جسديك مرة أخرى.»

انتهت جذوة من غسل الصحون وتعبت، دخلت ترتاح مع بنات خالتها في الغرفة، رأت رزان وحدها في الشرفة واقفة وتتنظر إلى شيء ما، أما مهیضة فكانت في الغرفة تنظر إلى رزان وتضحك في انتظار إشارة منها.

___ ماذا بكم؟ لم تقفون كل واحدة في وادٍ هكذا؟

___ روزا وحبیبها راغب في لقاء خاص، إنهما ينظران لبعضهما البعض، لا أريد أن أقطع خلوتهما.

___ وهل راغب هنا؟

___ نعم، إنه على الرصيف المقابل للمنزل. معه صديقه، على أساس أنهما يتكلمان، هو وصديقه، في موضوع ما، وقد حلا لهما الكلام على هذا الرصيف بالذات!

___ ومن قال لكم أن راغب هذا يحب روزا فعلاً؟

___ بالطبع يحبها، وإلا لماذا يقف على الرصيف كالشحاذين بحجة أنه يتكلم مع صديقه؟ لماذا لا يذهبان إلى أي مقهى أو أي مكان آخر يتكلمان فيه؟

توجهت جذوة إلى المرأة ووضعت أحمر شفاه فاقع اللون، مشطت شعرها وفتحت الزرار الأول من قميصها.

___ مهیضة هیا ندخل إلى الشرفة لنرى ماذا يحدث؟

___ لماذا یا فتاة؟ اترکیهما وحدهما.

___ هل أنت غبية یا ماهی؟ الولد معه صديقه وفي الرصيف

المقابل في الشارع، لماذا تتعاملين وكأنهم في غرفة واحدة؟ لا أفهمك..

أنا سوف أدخل الشرفة، ابق أنت هنا.

دخلت جذوة الشرفة وضحكت فجأة بخلاعة، ثم قالت لوزان

بصوت خفيض لا يمت لصوت ضحكتها بصلة.

___ ماذا تقولان بأعينكما یا ترى؟

___ إنه ينظر إليّ، أعتقد أنه معجب بي.

___ وهل ستعجبان ببعضكما هكذا لزمّن طويل؟ متى سيعطيك

رقم هاتفه؟

___ رقم هاتفه؟ هل أنت مجنونة؟ ما زلنا في البداية.

ضحكت جذوة مرة أخرى بصوت عال، لفتت نظر الشباب الذين

رفعوا رءوسهم ونظروا لشرفتهن باستغراب وإعجاب، راقبت جذوة

راغب وتأكدت أن صوت ضحكتها قد شدّ انتباهه، دلفت إلى الغرفة

كي تبتسم على راحتها دون أن تلفت نظر رزان، ثم قررت أن تخرج

لترى ماذا تفعل أمها الآن؟ وجدت أمها تبكي وخالاتها يحاولن أن

يخففا عنها وجعها.

قالت صالحة:

— أنا لا أصدق نفسي يا راجية، أيعقل أن تتزوج فتنة في السر؟
لماذا؟ ماذا فعلنا لها كي تعاقبنا بهذه الطريقة؟ ماذا سوف نقول للناس؟

قالت طائفة:

— لا حول ولا قوة إلا بالله! اهدئي يا راجية لا شيء يستحق
دموعك، لقد حذرناها من لؤي ولكنها اختارت طريقها، لا تحزني يا
حبيبتي، ربما كان يحبها فعلاً وظنوننا عنه ليست في محلها.

قالت راجية محاولة أن تستجمع صوتها الذي تفتت وتبعثر نقاطاً
رطبة مع دموعها:

— لا يهمني يحبها أم لا؟ يهمني أن ابنتي تزوجت بدون علمي،
تزوجت! تزوجت ولم أرها بفستان العرس ولم أشاطرها البهجة!
أنا مقهورة وحزن الكون يملأ قلبي! كيف هُنت إلى هذه الدرجة في
نظرها؟ كيف صرت لا شيئاً بالنسبة إليها في يوم وليلة؟ كيف؟ ولماذا؟
انهمرت الدموع كالسيول على وجنتيها، ولم تجد صالحة وطائفة
كلاماً مناسباً يمكن أن يخفف من ألمها، صمتتا وتركنا الدموع تنطق
بالآهات المكتومة.

أما جذوة فكانت تشاهدهن في صمت، لا توجد أية تعابير ظاهرة،
تعبّر عن حالتها النفسية، على وجهها! لا تبكي مثلهن، ولا تضحك
على عكسهن.. فقط تنتظر إليهن وتتفكر فيما لا يعلم أحد إلا الله.

كانت البنات قد لاحظن شحوب وجه خالتهما راجية واحمرار
عينها وأنفها، فسألًا جذوة عما يحزن والدتها إلى هذه الدرجة، ردت
عليهن بنبرة ثابتة لا يتخللها أي إحساس بأنه من الأفضل أن يجلسن
في الشرفة ليتحدثن بأريحية دون أن يسمعهن أحد، بعد أن دخلن
الشرفة وجلسن وأصخن السمع قالت:

___ هل تعلمان لماذا لم تأتِ فتنة معنا اليوم؟

تمددت آذانهن ليحسنن السمع ولا يفلت منهن حرفاً واحداً دون
أن يغوص في آذانهن سابقاً.

قالت جذوة بحماس من سيشعل ألعاباً نارية براقاة الألوان:

___ لقد ذهبت إلى بيت زوجها، لؤي.

شهقت الفتاتان شهقتين كادتا أن تشغطا الطاولة وما عليها من
كئوس العصير وأطباق البسبوسة البلاستيكية، وضعت رزان يديها
على فمها محاولة أن تكتم شهقاتها كيلا يسمعها أحد، وفتحت
مهيضة عينها عن آخرهما، وفغرت فاهها، أما جذوة فقد ابتسمت

تلك الابتسامة التي تقول: «أنا الروح المركزية التي تخلق الأحداث،
الأخبار كلها لدي، والفتيل معي، أنا المُلَفِّتة للنظر، أنا الفاتنة، وأنا
الفتنة».

— نعم نعم.. فتنة تزوجت سرّاً من حبيبها بدون أخذ مباركة
العائلة، قررت أن تتزوج ففعلت ببساطة شديدة، قالت رزان باندهاش
طفولي:

— يا لها من جراً غير متوقعة! أعرف أنها قوية وجريئة ولكن
ليس إلى هذه الدرجة!

قالت مهیضة قلقة:

— وهل علم أبوك؟

لا لم يعلم، ولكني سوف أخبره.

قالت رزان ولم تنزل الدهشة من معالم وجهها بعد:

— لماذا يا جودي؟ هل تكرهين أختك كي تخبري أباك بسرّها؟
سوف يضربها أو يقاطعها إلى الأبد بسببك.

— بالعكس.. أنا أحبها جداً، وأخاف عليها؛ لذلك سوف أرسل
رسالة إلى أبي من رقم مجهول، وأخبره أن ابنته تزوجت من دون علمه
بلوئي، يجب أن يعرف عاجلاً أم آجلاً. يجب أن يعرف كي يحميها.

قالت مهیضة:

— وهل هو شاب خطير إلى هذه الدرجة؟ ربما يحبها فعلاً!
أنا أعتقد أن فتنة تعرف ماذا تفعل، ليست فتاة سهلة، وليست غبية
كي يستخف أحدهم بعقلها أو يستغلها، ما الذي سيحدث في أسوأ
الأحوال؟ لو كان شاباً سيئاً لن يقتلها على الأقل.

— كان لديك رقم غير رقمك الأساسي يا ماهي.. أين هو؟

قالت مهیضة بعد أن ترددت في الإجابة:

— رقمي الآخر موجود، لا أستخدمه كثيراً ولكني أحجاجة بعض
الأوقات.

— لا أريد أن آخذ الشريحة لنفسی يا ماهي. أعطني إياها،
سوف أرسل منها رسالة لأبي من رقم لا يعرفه.

اعترضت رزان:

— جودي لا تفعلی، لا تخبري أباك بهذه الطريقة.

نظرت لها جذوة وضیقت عينيها:

— روزا.. أظن أنني قلت لكما أنني أفعل ذلك لمصلحتها،
لمصلحتها يا روزا.

سكتت روزا وما بيدها حيلة، في حين أعطت مهیضة شريحة الهاتف لجذوة التي وضعتها في هاتفها بدورها، كتبت: «ابنتك المصون فُتنة قد تزوجت من وراء ظهرک يا سيد الرجال، ابنتک فتنة مع لؤي الآن يستمتعان بالحياة وأنت جالس تسحب الأنفاس من أرجيلتك ولا تعلم عن الماء الذي يتسرب من تحتك شيئاً، فاعل خير».

أرسلت جذوة الرسالة دون أن تريها لرزان ومهیضة رغم زنهما المتواصل أن: «أرينا الرسالة.. أرينا الرسالة» ثم مسحها فوراً كيلا يتسنى لهما قراءتها، أغلقت الجوال وأخرجت الشريحة وأعطتها لمهیضة شاكرة.

___ لا تشكريني لم أفعل شيئاً، ولكن ماذا كتبت؟ لمَ لمَ ترينا الرسالة؟

___ مستعجلة يا ماهي، لا أريد أن يرانا أحد ملتفين حول الجوال، بالطبع سوف يشكون في الأمر، المهم لا تقولا لأي مخلوق أننا أرسلنا هذه الرسالة مهما حدث.

___ طبعاً طبعاً.



obeikandi.com

(٦)

ربما كان الملل أحد جنود الشيطان الذي سخّرهم لخدمته ضد البشرية، مُهدداً لهم دروب الجحيم، من أجل التغلب على الملل وكسر الروتين ارتكبت ذنوب وخطايا بعدد حبات الرمال وأمواج البحار، في البداية تشعر ببعض الملل الذي يتفاقم وينتفخ كبطن أصابها استسقاء، ثم تبدأ الأفكار الجنونية، المحاربة للمل، تنهال عليك من الأسقف وتراودك عن مبادئك، كان الملل يتغلل رويداً رويداً في مسام ذكاء، حتى تمكن منها وأرداها مخنوقة، السيدات يثرثن عن فتنة وعن الكارثة التي فعلتها بزواجها من لؤي، والبنات في الشرفة ليلاً ونهاراً يتهامسن ويتسامرن.. مراهقات عقلهن صغير. أما هي فقد كان عقلها أكبر بكثير منهن، وأعقل من أن تتحدث عن نفس الموضوع أكثر من أربع ساعات متواصلة دون كلل ولا ملل. اختارت أن تجلس وحيدة في الصالة الخارجية للمنزل، فتحت التلفاز دون أن تتابع شيئاً، تأففت ثم غطت في النوم نصف الساعة، استفاقت، ضجرت، أخذت جوالها وتصفححت «الفيس بوك» فشعرت بالملل وقد امتط وكبير وتشعب في وجدانها، وجدت نفسها تكتب اسم شاب لا تعرفه وتبحث عنه في محرك البحث، ظهر لها أكثر من شاب يحمل نفس الاسم.. (ثري)، لم يعجبها أياً من صورهم الشخصية، عدا واحد.. لم تكن صورته، فقد اختار صورة رجل من الواضح أنه نجم سينيمائي أجنبي لا تعرفه،

عيناه سقطت منها دمعة شاردة على خده لا تعرف طريقها، الأفكار الجنونية حرّضتها على فعل ما ستفعله، وهي رضخت للجنون، لا يقتل الملل إلا الجنون، دخلت على محرك البحث لتبحث عن صورة تليق بصورته، بعد بحث طويل، أخيراً وجدتتها، صورة ممثلة أجنبية مغمورة عينها دامتان وفمها مبتسم عن جرح، وضعتها كصورة شخصية لها قبل أن تطلب صداقته، انتظرت دقيقتين حتى أتاها إشعار بأن ثري قبل صداقتها، خفق قلبها للحظة ثم هدأ، ثم ما لبث أن خفق بشدة مرة أخرى عندما وصلتها رسالة منه: «اسمي ثري، حالتي الاجتماعية: حزين.. وأنتِ؟» ترددت قليلاً قبل أن تكتب: «اسمي ذكاء، حالتي الاجتماعية: تعيسة!».

لم تكن تعيسة، لقد كذبت، هي فقط تشعر بالملل، تريد أن ترفه عن نفسها وتختبر شيئاً جديداً، من الواضح أن ثري هذا حزين؛ لذلك قررت أن تشاطره مشاعره كي يرتاح لها، الإنسان يرتاح لأشباهه، لن تشاطره التعاسة بالطبع، ليست مجنونة إلى هذا الحد، لكن لا مانع أن تدّعي ذلك.

«كم عمرك يا ذكاء؟»

قرأت رسالته مستشعرة بأصابع الملل تلتف حول رقبتها قاصدة خنقها، كلام تقليدي بين أي اثنين يتعرفان على مواقع التواصل الاجتماعي.

«دعك من هذا الهراء التقليدي! لا يهم كم عمري، ولا أريد أن أعرف كم عمرك.. لا أهتم».

«وما الذي يهمك؟»

«أريد أن أعرف.. ما الذي يمكنك أن تقدمه لي؟ هل يمكنك أن تقضي على تعاستي؟»

ظهرت علامة تدل أن ثري قد قرأ رسالتها. لكنه لم يرد! توقعت أنه ملّ منها ولن يكلمها مرة أخرى، يجب أن تعترف أنها كانت سخيّة وفضلة بعض الشيء، لكن لا يمكنها أن تكون غير ذلك، هل سوف يتعرفان على بعضهما بهذه الطريقة الغبية المملة؟ وما الفائدة إذن؟ شعرت بالندم لأنها اقترفت خطأ تافهاً كهذا، لم يكن من المفترض أن تتكلم مع شاب لا تعرفه، وجعتها كرامتها عندما قرأ الرسالة ولم يرد، حتى لو لم تكن تعرفه، يا له من أحمق لا يستحق أن تعيره انتباهها!

«ما عنوانك؟» لم يخفق قلبها فقط هذه المرة، بل سقط بأقصى سرعة إلى أخمص قدميها، ارتعشت، هل أرسل لها رسالة الآن طالباً عنوانها؟ فكرت كثيراً قبل أن تنقر على حرف، لماذا يريد أن يعرف عنوانها؟ هل سوف يطلبها من أهلها مثلاً؟ ضحكت ساخرة من نفسها، وما لبثت أن قطبت حاجبيها مُفكّرةً بجديّة.. «ماذا تريد يا أنت؟» هل سوف يأتي ليقابلها دون أن يعرفها؟ هل هو شاب منحرف ويخطط

لاغتصابها؟ ضحكت مرة أخرى لسخافة أفكارها، وقطبت عندما شعرت بأن كل الأفكار محتملة، ماذا لو أعطته العنوان؟ ما المشكلة؟ إنه عنوان مهیضة في طنطا وليس عنوان منزل أهلها في القاهرة.. لماذا لا تعطيه عنوان طنطا لترى ماذا سوف يفعل؟ وبالتأكيد لن يكون من قاطني طنطا! الدنيا ليست صغيرة لدرجة أن تكلم شخصاً مجهولاً على «الفييس بوك» لتكتشف في النهاية أنه جارها في البناية المجاورة! وجدت نفسها تكتب العنوان وترسله إليه، جُند الشيطان تتسيد الموقف وتتخذ القرارات بدلاً منها، قرأ الرسالة ولم يرد، ندمت مرة أخرى، ملّت، غضبت. تمددت على الأريكة، ونامت ساعتين.



شعر نديم بالسعادة عندما دخل المنزل ولم يجد أحداً، هذا معناه أن البنات لن يؤلوا رأسه بأصواتهن العالية وضحكاتهن المجلجلة وصراخهن الحاد، سوف يشاهد الـ «فيديو كليبات» بكل أريحية ويتأمل الراقصات شبه العاريات دون أن تعكر راجية صفوه وتشوه بصره بجسدها المتعرج بمرتفعات ومنحنيات عشوائية، سوف يجد الفاكهة التي اشتراها صباحاً ما زالت موجودة ولم تتسلفها راجية حتى آخر ثمرة. لیت الأيام كلها جمعة وسبت؛ كي تزور راجية وبناتها الأخت طائعة في طنطا.

دخل غرفته وارتدى جلباباً فضفاضاً، ثم دخل الحمام وخرج بعد لحظات، دخل المطبخ وغسل فواكه مشكّلة ووضعها في الصحن، وضع الصحن أمام التلفاز الموجود بالصالة الخارجية وجلس على الأرض، شغل التلفاز وسحب نفساً طويلاً من الأرجيلة، مرر الدخان من فتحة أنفه مستمتعاً بتطايره كالبخار إلى السقف، تذكر أنه لم يلق نظرة على جواله منذ الصباح، ربما اتصل به أحد بشأن العمل.. وكان نديم يعمل محاسباً في أحد البنوك، يتقاضى راتباً لا بأس به، يعتبر راتباً كبيراً بالنسبة لرجل عادي في الخمسينات من عمره، لم يجد أية مكالمات فائتة، ولكن هناك رسالة، فتحها وقرأ ما فيها، احمرّ وجهه وأذنيه فجأة، وبدأت عروق رقبتة في الانتفاخ، عصر الجوال بيديه وهو يقرأ الرسالة للمرة الثانية على أمل أن يكون قد أخطأ في فهم فحواها، غضب وثار كالمجنون، قام ودار حول نفسه عدة مرات كما يفعل الثور الهائج إذا رأى قميصاً أحمرّاً، أخذ يذهب ويجيء في الصالة دون أن يعرف ماذا يفعل! يحدث نفسه بصوت عال كمجنون فقد عقله:

«فتنة تزوجت؟ فتنة طعننتي في شريفي؟ أنا؟ تفعل في ذلك؟ أنا يا بنت الكلب؟»

الكارثة الكبرى أنه لا يعرف للوئي عنواناً. كيف سيصل إليه؟ وهل أمها على دراية بالأمر؟

«راجية؟ هل تعلمين ما يصير من خلف ظهري يا راجية؟
تخدعونني يا بنات الـ❖❖❖».

سبّ راجية وسبّ فتنة وسبّ بناته كلهن! ثم سبّ أخاهم مُحبٍ..
اتصل براجية:

«أين أنت يا راجية؟» قالها صارخاً ففزعت. ارتعش صوتها رعباً
مجاوباً:

___ عند أختي.. أنت تعلم أنني..

___ هل كنت تعرفين أن فتنة تزوجت؟

لم تجب، كرر السؤال بحدة أكثر وبصوت أعلى:

___ هل كنت تعرفين يا راجية أن الحيوانة فتنة تزوجت دون علمي؟

هل كنت تعرفين أنها طعننتني في شريقي؟ انطقي وإلا قسماً بالله..

___ نعم نعم.. عرفت أمس! كنت نائماً و..

___ لماذا لم توقظيني؟ لماذا لم تجعليني أقتلها، وأقتله قبل أن

يتزوجها؟ أين هو؟ ما عنوانه؟

___ والله لا أعلم يا نديم، أنا لا أعلم أي شيء.. لقد صُدمت

مثلك ولم أعرف ماذا أف...

— اخرجسي يا راجية، لقد فشلتِ كأم وكزوجة وكامرأة.. أنت لا تتفعين في شيء يا راجية هل تفهمين؟ أنت زائدة لا بد أن تُستأصلي من العالم كي نرتاح منك.

أغلق نديم السماعة دون أن يقول سلاماً. وجلس يأكل بعضه بعضاً، انهارت راجية مرة أخرى وأخذت تبكي كما تبكي السماء على أرض صحراء فتخضر، فبكت أخواتها من شدة التأثر.
قالت صالحة منههنة:

— ماذا قالت لك فتنة عندما واجهتها بفعلتها؟

— قلت لها أتزوجت يا فتنة؟ ردت أن نعم! تزوجت لأنني أحبه، هو الوحيد الذي تذكر يوم ميلادي وأهداني حياة جديدة، أنتم نسيتموني، لكني والله لم أنسها، حضرت لها التورته والشموع ولم تأت! قالت أنه يحبها ويفكر فيها ويعشقها عشقاً! قالت لي ذلك دون أن تخجل! وقالت أنها لن تدمر مستقبلها من أجل أحد، أخذت حقيبة ملابسها وخرجت، ذهبت إليه يا صالحة.. إلى منزله، إلى منزله يا طائعة! أعرف لماذا تفعل ذلك؟ هي تريد أن تقهر أباه. بناته يكرهونه لأنه لا يعاملني بالحسنى. البنات أصبحن معقدين نفسياً بسببه، فتنة تريد أن تحني ظهره كما أحنى ظهري، لكنها لا تعلم أنها تؤذيني بقدر ما تؤذيه.

قالت طائفة:

__ مصيبة ووقعت على رءوسنا، ولكن لا تبك كفى، لقد قطعت قلبي وأحزنت البنات عليك. كوني قوية، ارض بالأمر الواقع يا أختي فقد تزوجت فتنة وانتهى الأمر، ادع الله أن يوفقها، ونديم سوف ينسى، وسوف تتصالحين مع ابنتك، إنها ابنتك مهما حدث يا راجية.

__ لا ليست ابنتي، من اليوم لساني لن يخاطب لسانها، لقد أفسدت كل شيء، أفسدت علاقتي بها وعلاقتي بأبيها، لقد أفسدت فرحتي بها التي لطالما انتظرتها.

بكت راجية حتى نامت من فرط التعب، لطالما لجأنا للنوم يطبطب على جراحنا، ونحن نحسبه سيبتلعها إلى أرض الأحلام والكوابيس، وعندما نستيقظ، لا نجد إلا الجراح وقد مثلت أمامنا تذكرنا بوجودها، كانت الساعة قد أصبحت الثانية عشر بعد منتصف الليل. نامت السيدات ثلاثهن، أما البنات فكن في الشرفة يتسامرن ويضحكن، ضحك وجه رزان كما يضحك القمر في ليل العتمة:

__ بنات.. انظروا.. راغب حبيبي أتى مرة أخرى.

نظرت جذوة وقالت:

__ آه إنه هو، من الواضح أنه معجب بك فعلاً يا روزا.

كانت مهیضة شاردة، تفكر في مالك الذي لم يتصل بها حتى الآن ولم يظهر! تفكر لماذا يعاقبها بهذه القسوة وهي التي لا تتحمل ألا تسمع صوته لساعتين كاملتين! لقد هجرها يومين، ما هذه القسوة؟ ولكنها استفاقت من شرورها حين دخلت عليهن ذكاء فجأة.

— كيف أحوالكن يا بنات؟

رحبن بها وجلبن لها كرسيًا لتجلس عليه فجلست دون أن تتكلم، في حضرتها يتوشحون الوقار.. ربما لأنها أكبرهم سنًا، ولم يعتادوا الثرثرة معها بما في جعبتهم من أسرار، رأيت مجموعة من الشباب أمام الشرفة فعلمت أنهم يغازلن البنات، أو على الأقل واحد منهم يغازل واحدة منهن. لم تعلق على الأمر ولم تهتم، لاحظت أن هناك شاب وحيد واقف مستند على عامود نور على ناصية الشارع، ينظر إلى الشرفة محاولاً أن يستوضح ملامحهن دون أن يقترب، وصلتها رسالة على (الفييس بوك) «لا بد أنك أنت الجميلة التي دخلت الشرفة الآن، انتظرتك أكثر من ساعة ونصف.. أنت جميلة!».

قرأت الرسالة مرة أخرى بدهشة وفرحة وارتباك، كيف علم أنها هي بالذات؟ مجنون، لقد أتى!

نظرت له وابتسمت، ولكنها لم تستطع أن تراه في الظلام، كان طويلاً ونحيفاً، هذا كل ما استطاعت أن تعرفه عن شكله، أما وجهه فقد كان كرة رمادية بلا ملامح يكسوها الظل، كتبت له.

«لقد شعرت بالسعادة للحظة، لقد فعلتها وأسعدتني، أنت

مجنون.»

«لا تتركيني وسوف أجعل السعادة تتذلل لك لتسعد بك!» هزتها

الرسالة الأخيرة، لمست قلبها وما لبثت أن عادت لجمودها، كانت تحاول ألا تلفت نظر البنات لها، وهن لم يلحظن شيئاً غريباً حتى ذهب ثري واختفى، أما ذكاء فقد دلفت غرفة النساء لتكمل نومها بجانب أمها، تلك الحركة الجنونية التي فعلتها عن ملل، لا بأس بها، لقد بدأت تجني ثمار الجنون حُباً وسعادة.

تنازلت مهیضة واتصلت بمالك! لا يهم الكرامة الآن، ماذا ستفعل بكرامتها إذا فقدت نصفها الآخر؟ وجع الفقد يؤلم أكثر من وجع دهن الكرامة، لم تستطع أن تتحمل مخاصمته أكثر من يومين، رن الجرس وخفق قلبها ثم سمعت صوته يتسلل إلى أذنها بحنو:

— أحبك.

— لماذا إذن لم تتصل بي يومين كاملين؟

— أحبك!

— وأنا أيضاً.

— وأنت ماذا؟

ابتسمت بخجل وقد نسيت كل شيء أحزنها من قبل وقالت:

__ أحبك.



obeikandi.com

(٧)

قالت له متناسية أمها وأبيها وإخوتها والكرة الأرضية بما فيها،
ولا تفكر إلا في سعادتها الغامرة، وفي بحر الإسكندرية، وفيه:

— أحبك يا لؤي، لم أتخيل أن الزواج على هذا القدر من
الجمال! منذ صغري وأنا أتساءل، ترى كيف ستكون حياتي الزوجية؟
هل ستكون روتينية ومملة، بل وجحيماً مثل حياة نديم وراجية.. أبي
وأمي؟ هل سأتشاجر مع زوجي أكثر من احتضاني له؟ كنت أفترض
جميع الظنون السيئة، ولم أتوقع أبداً أن أكون سعيدة بحق مع أحد
قط، لكنني قررت ألا تشكل حياة نديم وراجية عقدة بالنسبة لي،
قررت أن أكتب قصتي دون أن يكونوا حرفاً واحداً فيها، محبتهم من
صفحتي البيضاء خوفاً عليها من التلوث بسواد صفحاتهم المتفحمة،
أنت فرحتي يا لؤي! أنت الشيء الوحيد الذي اخترته وحدي في هذه
الحياة دون تدخل من أحد.

— فتنة قلبي أنت، لن أحنك أبداً.. أتمنى أن أكون الرجل الذي
حلمتي به طوال عمرك.

كانا على يخت ضخمة وفخم في منتصف البحر، في رحلة صباحية
مع فوج سياحي، مستمتعين بقضاء أول أسبوع من شهر العسل
معاً، ولأن ظروف عمل لؤي لن تسمح بأن يكون شهر العسل شهراً

بالتمام والكمال، فقد اتفقا على أن يكتفيا بهذا الأسبوع ويقضياه في الإسكندرية بجانب الأمواج وبراح السماء، حيث الأزرق يحاوطهما من فوق ومن تحت وعن اليمين وعن الشمال، وفي كل الأحوال سوف تكون أيامهما كلها غسل طالما أنهما معاً. هكذا قالوا، أما بالنسبة لأهل فتنة، فسوف يعتادون على الأمر ويتقبلونه رغماً عنهم. الوقت سوف يداوي كل الجراح، والنسيان نعمة الله خصّها للإنسان.



بعد أن غضب غضباً شديداً، ووبّخ راجية، واتهمها بالإهمال والتقصير والفضول كأم وكزوجة، وبعد أن لعنهم وسبهم جميعاً، خرج نديم من المنزل قاصداً قهوة شعبية في أحد الشوارع الشعبية المتفرعة من الشارع الرئيس، جلس وطلب شاياً وانتظر، انتظر أن تمر ذات العباءة السوداء، سيدة سمينية إلى حد ما، كانت سوف تكون بيضاء البشرة لولا مساحيق التجميل الحمراء التي لطخت وجهها، تمر هذه السيدة المثيرة يومياً من أمام القهوة وتتمشى بخيلاء وبغنج، كل مرة تمرّ يحرق فيها لعل عينيه ترى أبعد من عباؤها، وتكشف الأبيض الملتحف بالسواد. عندما مرّت اليوم، نسي غضبه ونسي فتنة. نسي راجية وفكر في شيء واحد فقط.. لماذا لا يتزوج صاحبة العباءة؟ من الواضح أنها غير متزوجة وإلا لما مشيت أمامه كل يوم بدلال ومياعة، ربما كانت تريد أن تتزوج فقررت أن تعرض نفسها على

رجال القهوة عليها تصطاد منهم عريساً، هو عريس مناسب لمن هن مثلها، إذا كانت تبحث عن المتعة فعزّ الملبّي هو! لم يفكر فيها كزوجة صالحة وكأم لأولاده، لقد طعن في السن وفي الحب. اكتفى براجية زوجة وبأولاده صداعاً مزمناً في حياته، لا يريد أن يؤسس بيتاً من جديد ويعيد غلطة عمره مرة أخرى، هو يريد أن يستمتع فقط! ولم لا؟ لو عرض عليها الزواج ستوافق، ولكن أين يأويها؟ لا يهم، سوف يعيش معها في منزلها أينما كان، لن يدفع إيجاراً جديداً فوق مصاريف راجية وأولادها وطلباتهن المكلفة وطعامهن، لن يقيم عرساً. سيكتفي باحتفال بسيط لا يحضره أحد سواهما. أثارت صاحبة العباءة السوداء انتباهه عندما وصلت لآخر الشارع وانعطفت يميناً. قام راكضاً وراءها يراقبها ويلاحقها. يريد أن يعرف بيتها كي يذهب إليها في أي وقت ويختلس النظر، يريد أن يعرف مع من تعيش؟ هل تقيم وحدها أم مع أمها؟ يريد أن يعرف عنها كل شيء، ظل على هذا الحال حتى التفتت له فجأة، فتوقّف مرتبكاً، لم يعد يعرف ماذا يفعل؟ هل يكمل طريقه كأنه لا يقصد أن يلاحقها؟ أم يرجع ويختفي من أمامها؟ أم لا يفعل كل ذلك ويقترّب منها ويحادثها؟ لم يعرف ماذا يفعل؟ وهي لم تجعل حيرته تطول كثيراً، فقد اقتربت منه. نظرت له وقلبه خفق، كان يرى بقع الأحمر في وجهها وعلى شفثيها، والكحل السائل أسفل عينيها، قمة الجمال! لم يتأفف من سمنتها كما يفعل

مع زوجته، وجدها مثيرة هكذا. قطع حبل أفكاره صفة رنانة على وجهه هدّت كل أحلامه ونسفتها في أقل من ثانية.

— أنت لست رجلاً، أنت حيوان، إذا تعقبتي مرة أخرى سوف أحرر فيك محضر تحرش، هل تفهم يا حيوان؟

سبّته واستدارت لتكمل طريقها، أما كلامها، فقد كان بمثابة صفة ثانية على وجهه! لماذا صدم إلى هذا الحد؟ ماذا كان يتوقع منها؟ هل كان يتوقع أنها سوف تبتمس له وترافقه؟ هل ظن أنها لن تقاوم سحره؟ هل ظن أنه، لأنه يملك المال الذي ينوي ألا يصرف منه شيئاً، عريس «لقطة» لا يوجد على الأرض مثله؟ لقد أخطأ كثيراً وتعرّى الحيوان الرابض فيه أمام المارة. كبر نفسه وهي الضئيلة المريضة، لقد واجهته هذه السيدة بدونيته، بعدما كان يشعر أنه ملكاً يختار عروساً تناسبه، أصبح يشعر بأنه صرصار مات مدهوساً تحت حذائها.



(٨)

صاح الديك، من فوق سطح عمارة مبنية بالطوب الأحمر الغارق برمادية الأتربة، مُعلناً طلوع الفجر، كانت العمارة القديمة مقابلة لبيت الجد الأكبر محمود، وبناته، العمارة مكونة من أربعة طوابق، في كل طابق أسرة صغيرة وحكاية أليمة، كانت تقطن في الطابق الأول زوجة غيورة تكاد تخنق زوجها بشكوكها وظنونها. أما هو فقد حاول أن يتأقلم مع مقاس حبل الظنون الملتف حول رقبتة، تأقلم مع شكوكها وتحملها لأنه ليس بريئاً منها!

تقطن في الطابق الثاني زوجة اعتادت أن تضرب زوجها ضرباً مميئاً، كانت طويلة وعظمتها قوي رغم نحافتها، وكان زوجها أقصر منها طولاً، وأخفّ منها وزناً، هذا لا يعني أنه لا يستطيع أن يصدّ ضربها، أو أنه ليس رجلاً بمعنى الكلمة، ولكنه كان مسالماً مستسلماً تاركاً نفسه للقدر.

أما الطابق الثالث فكان لأسرة عادية كحال الكثير من الأسر، غير الملفتة للنظر. أب وأم وولدان، منهما ولد اسمه فارس، معجب جداً برزان، في غرفته، وبالتحديد في درج مكتبه، يقبع خطابٌ كتبه لها وينتظر اللحظة المناسبة لإرساله، منذ أن كتب الخطاب، ازدادت دقات قلبه ولم تعد كما كانت أبداً.

الطابق الرابع كان لشاب عشريني ثري ووسيم، ولكنه سمين، مما منع الفتايات من التهافت عليه، ظل وحيداً حزيناً يفرط في تناول الطعام مُتحدياً الفتايات، ومُعانداً نفسه.

كان شارع النرجس من أجمل الشوارع في طنطا، أهله بسطاء، ولكن غير فقراء، يحبون النظافة والورود، كانت الأشجار الخضراء تعانق الطوب الأحمر، والورود تلون الرصيفين المتقابلين، أما البنات، جذوة ورزان ومهيضة، كُن ما زلن ساهرات حتى طلع نور الصباح، اعتدن أن ينمن بعد الفجر بساعة أو ساعتين، ويسهرن طوال الليل في شرفتهن، أو يخرجن للتنزه والتبضع، حرّك صياح الديك وحنوّ الجوّ حنين رزان لراغب. لطالما سهرت وحدها في غرفتها حتى الصباح تحتضن وسادتها وتوشوشها باسمه، تسمع صياح الديك فتُصبح عليه وتشمّه.. ثم تضمه أكثر وتنام.

قالت جذوة ضاحكة:

___ انظري يا ماهي، الرجل الذي تضربه زوجته لم ينم بعد، ها هو يدخل الشرفة.

___ آه يا جودي لو تعلمين! لقد رأيتها بأَم عيني تنهال عليه ضرباً بالحذاء! وهو صامت ساكن لا يصد ولا يرد!

قالت رزان بحزن:

___ انظرن كيف يقف في شرفته محني الظهر منكسراً؟ لماذا لا يطلقها ويحرر نفسه من جبروتها؟ أنا لو مكانه لن أعيش معها لحظة واحدة، امرأة جبارة، يارب أدخلها جهنم.

___ لا تكوني طيبة إلى هذا الحد يا روزا. الرجل لا ينكسر هكذا دون سبب، بالتأكيد هي تمسك عليه ذلة يخاف أن يعرفها الناس. وإلا لما فرط في كرامته بهذا الشكل المهين.

___ لست معك يا جودي! الرجل مسكين، ربما لا يريد أن يطلقها كي لا يؤذي مشاعر أطفاله، الأطفال وحدهم سيتضررون من انفصال والديهم، ربما يتعدون نفسياً طوال العمر.

قالت مهیضة:

___ يا فتايات، لماذا نحن دائماً في سيرة الناس؟ لماذا لا نتكلم عن أنفسنا وفيما يخصنا فقط؟ نحن أكبر نمامون ومفتابون على وجه الأرض.

ضحكت البنات بينما قالت جودي:

___ وما الفرق بين النميمة والغيبة؟

ردّت رزان:

— النميمة هي أن تتقلين كلاماً بين شخصين بقصد الإفساد بينهما، أما الغيبة هي أن تذكرى أحداً بما يكره أثناء غيابه.

قالت مهيضة:

— إذن نحن نغتاب، ولكننا لا ننم أبداً. أنا لم أنقل كلاماً لأحد قط بقصد الإفساد بينه وبين أحد آخر!

قالت جذوة:

— هذا صحيح، ولكن ما أحلى الاتنين! الغيبة والنميمة، لا أعلم لماذا كل شيء مسلّ حرام!

ضحكت البنات آخذين كلام جذوة على محمل المزاح حتى قالت جذوة فجأة بحماس:

— روزا انظري انظري، فارس استيقظ من النوم، إنه وسيم بشكل غير عادي!

نظرت رزان إلى شرفة الدور الثالث للعمارة المقابلة لبيتها نظرة خاطفة كيلا يلحظها فارس، بينما نظرت مهيضة مطوّلاً مما جعل فارس والرجل الذي تضربه زوجته، المارة كلهم يلحظون الهمسات واللمزات. وكزتها جذوة:

— يا غبية جعلت جميع البشر يلحظون أننا ننظر إلى فارس،
ماذا سيقولون علينا الآن؟

قالت مهیضة:

— بصراحة الولد أبيض كما الحليب المصفى، وعيناه زرقاوان
كما السماء بنقائها، وشعره أشقر كالـ...

قاطعتها جذوة:

— كفى أيتها الشاعرة كفى، إنه عريسي.

نظرت لها مهیضة باستتكار وقالت:

— عريسك؟ منذ متى؟ الولد لا يعيرك انتباهاً كي تقولين
عريسك.

— مسكينة يا ماهي، ستظلين مسكينة طوال عمرك، ولن
تستطيعي أن تلاحظي أبداً ما يحدث حولك، هل تعلمين أن فارس
يحبني؟ هل تعلمين أنه ينظر إليّ دائماً؟ أنا أشعر بنظراته طوال
الوقت، حتى أنني لا أستطيع أن أكون بكامل حرיתי عندما يدخل
الشرقة؛ لأنني أشعر أن نظراته تحاوطني وتقيد حركتي.

على رأسها من الأعلى، لم تستوعب في البداية ما الذي سقط وكيف؟ بعد لحظة واحدة استوعبت كل شيء، لقد كان فارس! أمسك الخطاب بمشبك بلاستيكي تستعمله أمه في نشر الغسيل، ورمى المشبك قاصداً شرفتها، هوى على رأسها عن غير عمد، نظرت له وعيناها متلاقتا، دخل غرفته مسرعاً خائفاً من رد فعلها عندما تقرأ الخطاب، لم يكن يعرفها جيداً، يعرف شكلها فقط، مع ذلك لو رآها عن قرب ربما تردد قبل أن يجزم أنها هي. يحبها هذا الحُب الذي أحبه كل شاب لجارته الحسنة، اعتاد أن يراقبها من بعيد دون أن يعرف عنها غير اسمها، حتى أنه لا يميز صوتها إذا تكلمت البنات الثلاث كلهن دفعة واحدة، استغربت رزان واسترجعت كلام جذوة عنه، كانت تقول أنه يحبها، هل يعقل أن يكون الخطاب لها؟ قررت أن تفتح الخطاب لتحسم الأمر.

«هذه أول مرة أحب، أول مرة أكتب خطاباً، وأول مرة أعثر على ملاك.. أنا أحبك يا رزان، لا أعلم كيف؟ ولا أعلم لماذا؟ كل ما أعرفه أنني أحببتك منذ رأيتك، ربما تحبينني وربما لا، لا أعلم، لكنني لا أريد منك شيئاً. حتى لو لن تبادليني نفس الشعور، سأظل لحبك مُخلصاً؛ لأن حُبِّي لك حقيقي جداً».

دخلت الفتاتان، جذوة ومهيضة، الشرفة يضحكن ويثرثرن، سكتتا فجأة متعجبتين حينما وجدتا رزان تقرأ ورقة ما وتبتسم بحنو!

___ ما هذا الذي تقرئينه وتبتسمين كما لو كنتِ تقرئين خطاباً
غرامياً؟ قالتها جذوة مازحة، ردّت رزان جادة:

___ إنه خطاب غرامي بالفعل، لقد أرسل لي خطاباً، لا أصدق
أن هناك حب غير مشروط كهذا الحب! ليس وسيماً فقط كما ظننا،
بل قلبه جميل ونقي أيضاً.

___ من هذا الشاب؟ أعطني الخطاب لأرى.

خلفت جذوة الخطاب بعنف لم تستطع أن تداريه، وقرأته، ثم
أعدت سؤالها مرة أخرى فأجابته:

___ إنه فارس، رمى لي الخطاب من شرفته الآن.

نزل اسم فارس على جذوة كما تنزل ساعة مميتة على الأرض
فتكهرب أهلها وترديهم أمواتاً متفحّمين، ابتلعت ريقها بصعوبة
وحاولت محاولة فاشلة أن تبتسم، كل ادّعاءاتها عن حب فارس لها
أصبحت هراء الآن، لم تكن تكذب عليهن فقط، كانت تكذب على
نفسها قبلهن، كانت تقنع نفسها بهذا الإعجاب من ناحيته، وعدم
الاكتراث من ناحيتها.. تمنّت جداً أن يحبها أحدهم من طرف واحد
دون أن تتلهّف لحيبه وتركض خلفه. تمنّت جداً ألا تكون جائعة حب..
أن تستغني. كل هذا كان كذباً، كل هذا أصبح لا شيء.. هواء، وطار،
قالت مهیضة بسعادة فتاة قلبها مُصَفّى من الحقد بالحب:

— أنتِ محظوظة يا روزا، إنه وسيم حقاً. أمه سيدة طيبة وأبوه كذلك، ليتك تتزوجينه طالما أعلن لك حبه.

كانت كلمة «تتزوجينه» كبراج جلد جذوة جلدة لاسعة تركت في نفسها أثراً، لم تتمالك نفسها قبل أن تقول:

— تتزوج من؟ هل أنت مجنونة؟ إنه لا يحبها. روزا.. هل تلعبين علينا هذه اللعبة لأنني قلت منذ قليل أنه معجب بي؟ هل تقصدين أن تستفزيني وتثيرين غضبي؟

صدمت رزان من كلام جذوة غير المتوقع، فقالت مدافعة عن نفسها:

— لا والله، هذا ما حدث بالفعل، لماذا سأثير غضبك يا حبيبتي؟ نحن أصدقاء مقربون قبل أن نكون بنات خالة، أنت تعلمين على كل حال أنني مرتبطة براغب ولا أحب غيره! لا أحب فارس ولن أرد على خطابه.

سكتت جذوة بعد أن عجزت تماماً عن إيجاد أي مبرر تعترض به على كلام رزان، شعرت بحرق يشتعل في صدرها، وصداع يدغدغ رأسها، وغضب شديد ينز من روحها.

قالت لهن مستأذنة:

___ لقد سهرنا كثيراً طوال الليل إلى الصباح، سيؤذن الظهر بعد قليل ولم ننم إلى الآن، تصبحن على خير.

تركت البنات وزهبت مُخَلِّفة وراءها ألف سؤال:

___ ما الذي حدث لها؟ لماذا تضايقت؟

قالت رزان:

___ ألم تقل منذ قليل أنه معجب بها؟ من الواضح أنها تفاجأت أنه معجب بي أنا، حتى أنني تفاجأت أكثر منها.

___ أيعقل أن تغار منك؟

___ تغار مني؟ لماذا؟ نحن أصدقاء! لا يعقل طبعاً.

___ ولكنني شعرت أنها تغار منك، ربما لأنك أجمل منها؟ الشباب يغازلونك أمامها ولا أحد يغازلها، والنساء يتعجبين من جمالك ويتعجبين من قبحها في اللحظة ذاتها، حتى أمها دائماً ما تنهرها وتقول لها: «اتبعي حمية غذائية، ضعي كريمات تفتيح البشرة، مشطي شعرك الأجدد.. إلخ» بالتأكيد سوف تغار. كيف لم تنتبه لذلك من قبل؟

___ حرام عليك يا ماهي استغفري الله! لا تصفي إنساناً بالقبح،

وضع الله في كل إنسان جمالاً ما، هناك أناس جمالهم ظاهر للجميع، وأناس أحر جمالهم لا يظهر إلا لأنصافهم المكملّة لهم، رب امرأة غير جميلة في نظرك هي ملكة جمال حبيبها وشريك عمرها المقسوم لها والمخلوق من أجلها، ربما جذوة سوف تجد من يحب شعرها الأجد ولا يحب الشعر الأملس! ربما تجد من يحبها كما هي بكل تفاصيلها، هي ليست قبيحة، نحن من وضعنا الشعر الأملس وبياض البشرة وطول القامة ونحافة الجسد مقياساً ومعياراً للجمال، في وقت مضى كانت النساء السمينات هن الجميلات، وفي وقتنا الحاضر العكس، هناك في بلدان أخرى القدم الصغيرة هي معيار الجمال، ونحن لا ينظر رجالنا إلى أقدامنا، هل رأيت؟ نحن من نضع معايير الجمال، نحن من نسنّ القوانين ثم نقدها ونحبس أنفسنا بداخلها، رغم أن تلك القوانين من صنع أيدينا، أما في الحقيقة، الجمال يسبح في ملامح كل واحد فينا، ما الفرق بين أسود وأبيض؟ هي ألواننا.. ما أجمل الألوان؟ ما الفرق إذا كان وزني خمسين أو سبعين؟ ما زال هذا جسدي أنا، أحبه كيفما كان.

— معك حق! الجمال يسبح في ملامح كل واحد فينا.



دلفت جذوة غرفة خالاتها وجلست بجوار أمها، لاحظت أنهم سكتن فجأة عندما أتت، كن يتكلمن في أسرار، اعتدن دائماً أن يثرثرن في أسرارهن الخاصة ولا يتكلمن عنها أمام البنات، أما البنات فكن يعرفن كل تلك الأسرار عن طريق ذكاء وفتنة اللتان تتقلان أسرار النساء إلى رزان ومهيضة وجذوة! وعن طريق أمهاتهن أنفسهن! فقد كانت صالحة تحكي لريزان عن أسرار راجية وطائعة، أما طائعة فقد كانت تبوح لمهيضة بأسرار صالحة وراجية، وبالطبع راجية كانت تفشي كل أسرار طائعة وصالحة لبناتها! وبالرغم من ذلك، كن حريصات جداً ألا يتكلمن أمام البنات، قالت راجية:

— يا جذوة لم لصقت في هكذا المكان واسع أمامك، وأنت سمينة جداً.

قالت صالحة:

— انحفي يا جذوة قليلاً كي نزوجك ونفرح بك قريباً، وإلا لن تتزوجين أبداً.

قالت طائعة:

— أهنئك يا صالحة، ابنتك لا نحيفة ولا سمينة، حماها الله! كيف فعلت ذلك؟ هل تتبعين معها نظاماً غذائياً معيناً؟

___ لا أبداً بالعكس، أنت تعرفيني، أنا عشوائية جداً ولا أعرف النظام، كل فتاة وطبيعة جسمها، رزان لا تسمن بسرعة. وبصراحة هي لا تأكل، منذ صغرها وهي تتعبني كثيراً كي تتناول القليل من الطعام.

قالت راجية مشيرة إلى التلفاز:

___ انظري يا طائعة، هذه الممثلة ملكة جمال العالم من وجهة نظري.

قالت طائعة بامتعاض:

___ أكره هذا الشكل كثيراً، عيناها ضيقتان بزيادة.

قالت صالحة:

___ ليست جميلة، ولكنها ليست قبيحة في الوقت نفسه، أرى أنني أجمل منها.

خرجت جذوة من غرفة النساء قاصدة غرفتها، دخلت فوجدت البنات ما زلن في الشرفة، رمت بجسدها على السرير وتأمّلت السقف، لم تكن حزينة، كانت غاضبة، منذ بضعة سنوات كان هذا الغضب طفالاً رضيعاً في سنواته الأولى، كبر بمرور الوقت، جلّ خوفها أن يعوقها هذا الطفل وليد الحقد، تخاف أن يشتدّ عوده ويصر على

الخروج من رحم روحها إلى العالم فيدمره، لطالما تمنيت أن تقتل هذا الملعون ولم تعلم كيف تفعلها؟ إذا كانت أمها تراها قبيحة، من يا ترى سوف يرى جمالها المكنون؟ نهضت، نظرت في المرأة. تأملت وجهها كثيراً، عيناها سوداوتان. سوادهما جذاب، أنفها عريض ذو فتحتين عريضتين أيضاً، آه لو تخضع لعملية تجميل وتتخلص من نصفه! حاجباها يحتاجان إلى تهذيب، تناولت الملقاط وهذبتهما، شعرت بفرق ملحوظ، سوف تهتم بنفسها أكثر، لاحظت حبوباً متناثرة على وجنتيها وأنفها، لا يهم، سوف تذهب إلى طبيب الجلدية قريباً. شفاها مائلة من الوردى إلى البنفسجي. ستضع أحمر شفاها، وجدت زجاجة عطر بين الأدوات التجميلية المبعثرة على التسريحة. هذا العطر لرزان، قريبته من أنفها، شمته. أغمضت عينيها واستنشقتة.. تنفسته. رائحة ياسمين مخلوطة برذاذ خشبي، مزيج ساحر! أرادت أن يكون العطر لها، ملكها. ترددت قبل أن تفعل، أخذته، وضعتة في حقيبة سفرها الصغيرة، وأخفته بين ملابسها. ثم ارتبكت كلص ليلى عندما فتحت ذكاء الباب واقتحمت الغرفة.

___ ما بك؟ هل رأيت عفتياً من الجن؟

___ لا أبداً، ماذا تريدان؟

___ مللت! لا أحب الأجازة الأسبوعية لأننا نأتي إلى هنا، لا

أعرف ما الذي يعجبكم في طنطا، لا يوجد بلد في مصر أجمل من القاهرة، أما إذا أردت الصدق، أنا لا أريد أن أعيش في مصر، بلد فقيرة برغم خيراتها، خيرها كله مدفون تحت الأرض، أريد أن أعيش في فرنسا، أمريكا، إنجلترا.. ياااااااه لو تحقق هذا الحلم!

— تزوجي من ثري وسافري معه.

قالتها جذوة بتلقائية أربكت ذكاء، ظننت للحظة أن جذوة على دراية بعلاقتها مع شاب «الفييس بوك»، لكنها استوعبت بعد لحظات أن جذوة تقصد أنها يجب أن تتزوج من شاب ثري: أي غني ولديه المال، لا تقصد اسم شخص بعينه.

جلست ذكاء على طرف السرير وقالت:

— سوف أتزوج من ثري لا تقلقي، لن أعطي قلبي لفقير أبداً، أنا لا أحب، المال أهم عندي من الحب.

— ولكن الحب مهم أيضاً، ربما ينسيك الحب الفقير.

— لا يا حبيبتي، الفقر هو الذي سوف ينسيني الحب.

انتبهت ذكاء لصوت رسالة على جوالها فأرادت أن تقرأها على مهل في صالة البيت الخارجية كيلا يزعجها أحد، ولكن جذوة أفسدت الخطة:

___ مَنْ؟

___ إنها صديقتي.

___ مَنْ؟

___ لا تعرفينها يا جودي! هيا سوف أذهب. سلام.

خرجت ذكاء على عجل وفتحت الرسالة بعد أن جلست في
الصالة جلستها المعتادة: «أريد أن أقابلك».

أرسلت له دون تردد: «غداً، السادسة مساءً، في القاهرة.. اتصل
بي كي أصف لك العنوان».



(٩)

كان صباح الأحد بالنسبة لرزان هو صباح تعييس دائماً؛ لأنها سوف تعود إلى القاهرة. لن ترى راغب لمدة أسبوع كامل، أما الجمعة والسبت، فكانا جنة الله على الأرض بالنسبة لها، نعم لم تكن تراه إلا نادراً، ولكنها كانت تكتفي بنظراته لها ونظراتها له، لم تطمح أبداً في أكثر من ذلك، لم تفكر أن تحدثه وجهاً لوجه قط، ولم تتمن أن يقول لها أحبك كل يوم، كانت غارقة في جمال اللحظة، ومستمتعة بكل تفصيـلة صغيرة فيها، كانت تعرف أنها إذا فكرت في مستقبل علاقتهما سوف يهدم الهم لذة الحُب، وسوف يغلب الإحساس بالخوف الإحساس بالنشوة، حضرت حقيبتها وكذلك فعلت جذوة، أما مهیضة فقد كانت تودعهما بحزن:

___ سأشتاق لكما كثيراً يا بنات، سأنتظركما الجمعة القادمة بفارغ الصبر.

___ مهیضة هل لمحت عطري الجديد هنا أو هناك؟

___ لا، كان على التسريحة أمامك.

___ ولكنه غير موجود! بحثت عنه في الغرفة كلها ولم أجده، لا

أتذكر أنني أخذته خارج محيط الغرفة.

قالت جذوة مخفية ارتباكها:

___ سوف تجدينه بالتأكيد، لن يختفي، ابحثي جيداً.

بحثت رزان عن العطر في كل مكان ولكنها لم تعثر عليه ففقدت الأمل، حملت حقيبتها وخرجت، عادوا جميعاً إلى القاهرة.



أول ما خطر على بال جذوة بعد أن عادت إلى القاهرة، هو أن تذهب لتبتاع دواء من الصيدلية، أي دواء..

___ جذوة؟ ألهذه الدرجة هنت عليك؟

___ ليس بيدي حيلة يا مسعود، لقد سافرت مع أهلي إلى طنطا؛ لذلك لم أستطع المجيء.

___ سوف أعذرك هذه المرة، ولكن غير مسموح أن تتركيني في البرد وحدي أكثر من أربعة وعشرين ساعة مرة أخرى.

___ برد؟ أعتقد أننا في عز الصيف.

___ الصيف يسكن فيك يا جذوة، أنتِ امرأة النار التي بدونها تبرد أيامي، ويتجلد جسدي.

___ ما هذا الكلام؟ أخرجتني.. أتدري يا مسعود، أنت الوحيد الذي يناديني باسمي، وأنت الوحيد الذي أسمح له بذلك، الجميع ينادونني جودي.

___ لأنني أحب اسمك، أحب معناه، و.. وأريد أن أقول شيئاً آخر ولكن لا يمكن هنا. الزبائن لا يرحمون، والمدير سوف يرفدني إذا رأيته. أتبادل الحديث مع أنثى صيفية مثلك. ابتسم مُشاغباً..

___ أعطني رقمك، أريد أن أقول لك شيئاً ضرورياً.

___ ما هو يا ترى؟

___ اعطني رقمك وسأتصل بك الآن.

___ حسناً.

عادت جذوة إلى منزلها بعد أن أعطته رقمها، جلست في غرفتها منتظرة اتصاله. تنتظر إلى الهاتف كل ثانية آملة أن تضيء شاشته برقمه، بدايات الحب دائماً انتظار ثم انتظار.. انتظار رسالة، انتظار اتصال، انتظار موعد.. ننتظر بشغف العاشقين، ولا نمانع إذا طال الانتظار حتى الموت، هذه هي البدايات دائماً، أما ذكاء، اليوم، لم تعاني غصة الانتظار، كان هو الذي ينتظر، أما هي، فكانت ملكة

تتجهز للمقابلة الأولى بينها وبينه. ارتدت أحسن ثيابها وأثمنها، حاولت ألا تبالغ في وضع مساحيق التجميل، وأن تظهر عاقلة رزينة وأكبر من سنها، كانت صريحة جداً مع أمها، قالت لها أنها على موعد مع شاب اسمه ثري، سوف ترى إن كان مناسباً لها أم لا؟ وإن أعجبها سوف تعرف كيف تجعله يتقدم لها رسمياً؟ أما راجية فقد كانت سعيدة بصراحة ابنتها، واثقة في ذكائها وقدرتها على الحكم بعقلها، كانت تعرف أن ابنتها لن تعطي للحب فرصة للقضاء على راحة بالها، ذكاء تعرف مصطلحتها جيداً على عكس جذوة وفتنة، وربما مُحب، لو لم يكن هذا الشاب ثرياً سوف تتركه بلا تردد، حتى لو تحركت مشاعرها تجاهه، خرجت ذكاء وأمها تدعو لها بالتوفيق والسداد.. بينما، في الغرفة البعيدة المغلق بابها، أضاءت شاشة الجوال أخيراً برقمه، انتظرت جذوة حتى الرنة الثالثة كيلا يشعر مسعود بلهفتها، ثم لم تستطع أن تنتظر أكثر من ذلك:

— أتمنى أن يكون هذا الشيء ضرورياً جداً كي أعطيك رقمي.

— إنه أهم شيء في الحياة يا جذوة، فقط اسمعيني واعطني فرصة لأتكلم.

— أسمعك.

— أعرف أنني لم أقابلك أكثر من مرتين. وأنا لم أحدثك أكثر

من دقيقتين، ولكنني.. ولكنني.. أنا..

___ أنت ماذا؟

___ أنا .. أحببتك يا جذوة!

ضحكت بخلاعة وقالت:

___ أحببتني؟ أيعقل أن تحبني بهذه السرعة؟

___ ألا تعلمين قيمة نفسك؟ أنت أجمل فتاة في هذا الكون، ربما

لو كنت فتاة عادية لما أحببتك بهذه السرعة، لكن .. هذه أول مرة أرى

فتاة جميلة مثلك!

___ جميلة؟ هل تسخر مني يا مسعود؟

___ لا! أنا لا أسخر منك، أنا وقعت أسيراً لعينيك، فيك سحر

لا تملكه أي فتاة غيرك، لا أعرف ما الحلو فيك بالتحديد، ولكن

فيك شيء يشدني إليك شداً، فيك جاذبية تأخذني من نفسي إليك ..

وفيضان يغمرني كلما تلاقى أعيننا .

دق قلبها دقاً مسموعاً .. حتى أنها خافت أن يسمعه فأمسكت

قلبها محاولة كتم صوته . تنفست أنفاساً متلاحقة، أغمضت عينيها

محاولةً أن تُعيد السيطرة على أنفاسها وقلبها، تسلفت دمعة وحيدة

من عينيها، ثم تبعتها الكثير من الدمعات، فتحت فمها محاولة إخراج

كلمة واحدة، لم تستطع، أغلقت الخط دون أن تقول سلاماً، الآن لم

يعد يسمع اختلاج أنفاسها في صدرها، ولن يسمعها إذا صرخت باكية بعنف السيول الشتوية.



بعد أن طلب لها ليموناً ولنفسه قهوة، قال لها دون أن يخفي رعشة في صوته أظهرت بكاره خروجها مع فتاة وحدهما:

— رأيتُ فيكِ نصفي الثاني، أعلم أنها كلمة مستهلكة، ولكن هذا كان شعوري عندما رأيت طلبك لصدائتي على (الفييس بوك).
بالتحديد عندما رأيت صورتك الرمزية! شعرتُ أنك أنا، أو أنني أنتِ، شعرتُ أنني أريد أن أمسح دموعك وأسعدك، حتى إذا كنت لا أملك السعادة!

— وعندما رأيتني الآن؟ بماذا شعرت؟ خاصة أنني لا أشبه الصورة الرمزية في شيء.

— تأكدتُ من إحساسي أكثر، أنتِ نصفي الثاني، هذا الحزن الساكن في عينيك كان يسكن قلبي من قبل.

— كان؟

— نعم كان، الحزن الآن فارقتي، فارقتني عندما اجتمعت بك، وسيفارقك أنتِ أيضاً.

___ كيف؟

___ سأحمله عنك!

كانت ابتسامته وديعة، وكلامه نقيًا، شعرت أنها ربما تقع في فخ العاطفة، فركزت أكثر على هدفها من المقابلة:

___ ثري، أنا رأيتك للمرة الأولى في طنطا بعد أن أرسلت لك العنوان، لم أتوقع أن تأتي لأنني لم أتوقع أنك تعيش في طنطا من الأساس، وبالتالي لم أتوقع أن تسافر من أجل فتاة لا تعرف عنها أي شيء، والآن طلبت أن أقابلك في القاهرة، وللمرة الثانية أتيت دون أن تعترض أو تستبعد المكان! هل يمكنني أن أعرف أين تسكن بالتحديد؟

___ لحسن حظي، أنا من قاطني القاهرة.

___ أين بالتحديد؟

___ في التجمع الخامس.

شعرت أنها كسبت جولة، التجمع الخامس لا يقطنه إلا الأثرياء، احتمال كونه ثرياً أصبح غير بعيد.

___ هل تعيش مع أهلك؟

___ أمي، الله يرحمها، أعيش مع أبي وإخوتي.

___ في نفس المنزل؟

___ إنه بيت كبير، فيلا.. كل منا له الطابق الخاص به.

___ وأين ستتزوج؟

___ في الطابق الثاني، منزلي، أبي يسكن في الطابق الأول،

تعرفين.. هو كبير في السن ولا يمكنه أن يصعد الدرج وأشياء من هذا القبيل.

___ ولكن أين الخصوصية في حياتك؟ هل تعيشون كلكم في منزل

واحد هكذا؟ ألا تشعر أن ذلك يقيد حركتك وحريةك مثلاً أو..

___ لا لا إطلاقاً، إنها ليست فيلا بمعنى الكلمة. اعتبرها عمارة

كل طابق منفصل تماماً عن الآخر، له خصوصيته وبابه الخاص.

___ فهمت.

تأكدت الآن أنه ثري، علمت منه أنه يعمل مهندساً وراتبه الشهري

كبير، لم يحب من قبل، هيئته لا بأس بها، ليس وسيماً، وليس قبيحاً،

لا يهم، المهم أنه معجب بها وبجراتها و بلمعة الحزن في عينيها..

ليست لمعة حزن لو يعلم، ولا تعرف إذا كان للملحمة ما تظهر على

الأعين، ستجعله يحبها إذا أرادت. هذه مهمة سهلة للغاية:

— أحببت أن أتعرف عليك وأراك للمرة الأولى والأخيرة يا ثري، لقد شعرت تجاهك بشيء ما، لا أعرف إن كان هذا هو الحب، لا أعرف، ولكنني لا أريد أن أحب ثم أُخدع أو أتألم! سوف أهرب منك كيلا أحبك، ولا تحاول أن تراني مرة أخرى أو تكلمني على الفيس بوك؛ لأنني سوف أغلق حسابي فور عودتي إلى المنزل، ولن أفتح حسابي مرة أخرى. اعذرني.. أنا لا أريد أن أتعلق بك أكثر! ثم، لأي ظرف سيء، لا نستمر في علاقتنا معاً.

لم تشرب الليمون، تركته وذهبت مسرعة، لكنه شرب خطتها، وترك القهوة، ثم غادر المقهى.



obeikandi.com

(١٠)

كان يومها الثالث كزوجة في منزلها الجديد الذي استأجره لؤي في القاهرة، انتهى أسبوع العسل سريعاً، لابد الآن أن يطلب منها طلب الأزواج المقدس مدى العصور، وهما يجلسان أمام التلفاز متجاورين كما التوائم الملتصقة:

— حبيبتي، أريد شايًا.

كان من المُفترض أن تتأفف كأي زوجة بدورها، ثم تقوم وتتفد الطلب ببساطة، ثم تعطيه كوب الشاي عابسة مُعترضة، وما تلبث أن تتسى الموضوع برمته، لكنها لم تفعل ذلك:

— وما المشكلة في ذلك يا حبيبي؟

— أقول لك أريد شايًا! أريد أن أشرب شايًا.

لم يكرر طلبه لأنه يعتقد أنها لا تسمع، بل يكرره كي يسمع الإجابة التي اعتاد أن يسمعها، ولكن دون فائدة تُذكر:

— اشرب شاي يا حبيبي وما المشكلة؟

— حسنًا، أنا المُخطئ، سوف أقولها لك بطريقة أخرى، قومي

واصنعي لي كوبًا من الشاي بيديك الجميلتين.

ابتعدت عنه فجأة، عقدت حاجبها ومدت له يديها وقالت
بانفعال:

— يداي جميلتان؟ جيد أنك لاحظت ذلك، ولهذا السبب بالذات
لن أصنع شيئاً، لن أغامر بأظافري، من الممكن أن تتكسر، هذا أولاً.
وثانياً، طالما أنك تريد شيئاً، لماذا لا تقوم وتصنعه بنفسك؟ أنا لا أفهم!
— لأنك زوجتي! وسيدة هذا المنزل.

— جميل، أنت قلتها الآن، أنا زوجتك يا حبيبي، لست خادمك.
غضب لؤي وقال بعصبية:

— لا اااا ليس إلى هذا الحد! ما هذا الدلال المبالغ فيه؟ لم
تطبخي يوماً واحداً منذ دخلت هذا المنزل وقلت لا يهم، ولكن حتى
الطلبات الصغيرة لن تفعليها؟ هذا شيء غير محتمل.

— لؤي، لا أحب نظرة الرجال لزوجاتهم كأنهن خادمت
يأمرونهن بتحضير الإفطار والغداء والعشاء وتنظيف البيت وتلميع
الأحذية وكوي الملابس وجلب كأس الماء إلى السرير كي لا يتحركون
أبداً! قم أنت وتحرك واخدم نفسك بنفسك لست طفلاً.

— لم أقل أنك خادمة، قلت أريد شيئاً!

سكت قليلاً ثم قال بنبرة أهدأ:

___ لا تفعلني أي شيء، كرهت الشاي من هذه اللحظة.

___ فعلت خيراً.

سكت متردداً، ثم قرر أن يبوح بما في صدره:

___ أريدك في موضوع أهم من ذلك بكثير.

___ اللهم اجعله خيراً.

___ ولكن هل ما زلت غاضبة؟

___ ليس كثيراً.

اقترب منها وقبّل جبينها:

___ أما زلت غاضبة؟

فكّرت للحظة قبل أن تحسم موقفها وتبتسم:

___ لا، لست غاضبة منك، ماذا كنت تريد أن تقول؟ وسوف

أصنع لك أجمل كوب شاي في العالم.

ضحك ثم ما لبث أن تكلم بجدية:

___ أنت تعرفين أنني موظف في شركة صغيرة وراتبي ليس كبيراً،

وتعرفين أننا سافرنا في رحلة جميلة أول أسبوع زواج، طبعاً صرفنا الكثير من الأموال، وأنت، أيتها المدللة، لا تتنازلين وتطبخين؛ لذلك صرفنا الكثير من المال على المطاعم.

___ لا تقل لي الكثير من المقدمات يا لؤي، ما الذي حدث؟

___ لا أبداً، لم يحدث شيئاً.. أنا أريد أن.. أريد أن أقترض منك ١٠،٠٠٠ جنيه.

تفاجأت فتنة وتضاربت الظنون في عقلها. قررت أن تسأله لتحسم الأمر:

___ ولماذا تثق أني أملك هذا المبلغ؟

تلعثم وقال:

___ لا لست أعرف طبعاً أي شيء، ولكنني.. بم أن والدك ميسور الحال، قلت بالتأكيد سوف تملكين أكثر من هذا المبلغ، و..

___ وإن لم أكن أملكه؟

تلعثم أكثر وقال:

___ أقول لو تبيعين..

قاطعته:

___ أبيع؟ أبيع ماذا يا لؤي؟ ألا يوجد معك مالاً نهائياً؟

___ في الحقيقة لقد أفلست، كلها بضعة أيام وتتفد آخر خمسمائة جنيهاً في محفظتي، حتى أني لن أعدك أن نأكل من المطعم غداً؛ كي نوفر هذا المبلغ للطوارئ فقط، أنا أفلست.. أحتاج إلى بعض المال كي أوسس مشروعاً صغيراً أبداً به حياتي.

___ مشروع؟ هل سوف تبدأ في البحث عن مهنتك وتؤسس لحياتك الآن؟ انتظرت أن تتزوجني كي تفكر في هذا الأمر؟ ماذا كنت تفعل قبل أن نتزوج؟

___ فتنة أعرف أن طلبي محرج جداً، أنا زوجك ولن ترفضني لي طلباً أعرف ذلك، لكني لا أريد أن أضغط عليك.. قلت لو تبيعين الشبكة التي أهديتها لك حتى أتخطى هذه المحنة، ثم أشتري لك أحسن وأثمن منها أضعاف المرات، حين ميسرة.. وطبعاً سوف..

___ ماذا؟ أبيع الشبكة؟ لؤي أنت قلت لي أنك قد ورثت من والدك مالاً يكفيك طيلة عمرك، هل كنت تكذب علي وقتها؛ كي أتزوجك؟ أم أنك تكذب علي الآن كي تأخذ ما أعطيته لي؟

___ هل أنتِ مجنونة؟ بالطبع لا، حبيبتي، فتنة قلبي، أنا لا أكذب.. بالطبع كان لدي الكثير من المال، ولكن حدثت بعض الظروف التي جعلتني أفلس.. ظروف لم أتوقعها و..

___ وماذا؟ أفلست في أول أسبوع زواج؟ ما هذه الظروف التي حدثت وجعلتك تفقد ثروتك فجأة؟ أنت معي طوال الوقت ولم يحدث لك أي ظرف لا أعرفه، وبالطبع من المفترض أن أعطيك الشبكة التي أهديتني إياها! ثم أعطيك ذهبي الخاص الذي اشتراه لي والدي، ثم أعطيك ملابسني أيضاً!

___ فتنتني.. إنها محنة وسوف تمرّ، محنة لن تطول كثيراً، سوف أوّسس مشروعني الخاص ودراسة الجدوى مبشرة جداً..

___ لؤي.. أنا آسفة، إنها شبكتي.. هدية منك لي، لا يمكنك استرجاعها! إنها مهري الوحيد لو تتذكر.

___ ألا تريدان أن تقضي بجوار زوجك في أزمتة يا فتنة؟

___ سوف أقف بجوارك عندما أقنتع بهذه المحنة التي تتكلم عنها، ولكن أنا لا أستوعب شيئاً، لا أفهم طبيعة عملك، قلت لي أنك ورثت أموالاً طائلة، وفجأة تقول أنك أفلست، وفجأة تريد أن تسترجع الشبكة! فهمني واقتعني أولاً بكل شيء، وإذا اقتعنت وصدّقت، سوف أقف بجوارك.. سوف نحل المشكلة أيّاً كان حجمها.. أعدك بذلك.

— أنتِ تتخلين عني يا فتنة.

— هل لأنني أريد أن أفهم اعتبرتي أتخلى عنك؟!

— أي زوجة، لو كانت مكانك، ستساعد زوجها بدون تفكير، لن تطلب منه أن يقنعها بأي شيء.

— أنا لست أية زوجة يا لؤي! أنا فتنة.. ومن حقي أن أفهم طبيعة عملك وجذور المشكلة أولاً.

سكت لسان لؤي، ولم يسكت عقله الصاحب بالأفكار السوداء، نسي تماماً أن فتنة ربما تسأله ذات يوم عن طبيعة عمله، أيقول لها أنه طُردَ من وظيفته منذ ستة أشهر؟ أي قبل أن يعرفها ويقرر الزواج منها! فتنة لم تسأله قط عن عمله لأنها لم تكن تهتم إلا بالحب، كل شيء جاء بسرعة، الحب والقرارات المصيرية.. الزواج، وربما قرارات أخرى لا بد أن تُتخذ، هل أحبته حقاً؟ أم أن ادعاءه امتلاك أموال طائلة شجعها على الزواج منه كي تنفصل عن أهلها؟ ظن أنها لا تهتم إلا بالحب، لم تعود أمه أن النساء يمكن أن يتكلمن في العمل، وفي شؤون الرجال! كانت أمه لا تملك مالاً خاصاً بها، ولا ذهباً يؤمن مستقبلها، ولا طيناً يسند أيامها وقت المحن، لم تكن تملك إلا قلبها الذي وهبته عن طيب خاطر له ولأبيه، كان يبجل أمه ويقدها، تلك المضحية الفانية من أجل رجالها، تمنى أن تكون فتنة نسخة طبق

الأصل لأمه، أراد أن يمتلكها برضاها.. أراد أن يكون مالها وشبابها ونشاطها وجمالها.. وقلبها له، لا يريد أن يبقى شيئاً لها. يريد أن يتلعبها ويشرب حبها قطرة قطرة حتى الفناء، لم يحسب حساباً ليومٍ يكتشف فيه أن فتنة ليست أمه، فتنة لا تضحى بشيء. فتنة تأخذ ولا تعطي، فتنة إن أعطت حُباً، فلا بد أن يكون مقابل حُب أكبر، أحببت أن تُحبه لأنها استشعرت حبه لها، وكان يحبها. ولكن شتان بين حُب الامتلاك، وحُب العطاء. كلاهما يحبان الامتلاك، يمقتان العطاء، لن يعطيا بدون مقابل.. وطالما أن كل طرف ينتظر المقابل من الآخر، سوف ينتظران طويلاً، ولن يمتلكا أي شيء، لا حُب، ولا احترام، ولا مال، من يُحب الامتلاك، يجب نفسه أكثر من أي شيء، وهما يحبان نفسيهما أكثر من حبهما لبعضهما.



ضجرت صالحة، لم تعد تحتل أن تعيش حياتها بروتينية قاتلة، وملل جبار، وصمت مصخوب بالجزع، طالما انتظرت أن يهتم بها زوجها، أن يفتحها في موضوع ما ويظلان يتحدثان معاً، يسهران معاً، يتسوقان معاً، وينامان ويستيقظان معاً، يتشاركان الحكايات والضحكات.. والبكاء! طالما تمنيت أن يقول لها كلمة من أربعة حروف من نور، أليست امرأة؟ صمته وبروده كانا يتغذيان على بهجتها رويداً رويداً حتى اختفت، فهل سيقضم من رضاها فيحيله إلى سخط

وتمرد؟ تلج مشاعره يُطفئ نيران أحاسيسها، ويحيل حياتها إلى صقيع لا تطلع عليه شمس، كان لديها هاجس لا تتمنى أن يتحقق، ربما، في يوم من الأيام البعيدة القادمة، ينتهي هذا الزواج، أو تنتهي هي، ربما تتحول كل أحاسيسها إلى جماد، وربما تصبح هي صنم لا لسان له، ولا أذن، ولا قلب، مثله، هذا الجماد الذي تزوجته، دائم الصمت دائم الصمم..

محمد يحبها، لكن بطريقته، هو لا يرى أن الحب يُقاس بعدد الكلمات، هو غير مُجبر أن يقول لها (أحبك) يوماً كي يثبت لها ذلك. كم قيلت تلك الكلمة وماتت على أفواه أصحابها؟ كم قيل (أحبك) عن كذب؟ كم كانت (أحبك) كلمة خادعة وفخاً قتل ضحايا كُثر؟ يعرف أنها تحبه؛ لذلك لا يسألها أبداً هذا السؤال الساذج «هل تحبينني؟» فلماذا تُشكك هي في حبه إذا قلّ كلامه؟ وما علاقة القلب باللسان؟ تزوجها قبل خمسة عشر عاماً، هل يُعقل أن يعيش معها كل هذه السنوات وهو لا يحبها؟ هم في رباط غليظ، لا يمكن أن يقطعه أي خلاف.. صمته لا يعني أي شيء، هو فقط يفكر، يفكر في حال البلد، وفي كلام السياسيين في برامج «التوك شو»، يفكر في أمور تخص عمله، يفكر في ابنته رزان وتعليمها ومصاريها و.. يفكر فيها! يفكر في كل شيء يخص حياة أسرته، مشكلتها أنها لا تفهمه، أو تفهمه وتستكر عليه ما فهمته، لا تريد أن تظل تحت رحمة مزاجه، فقلما

ما كان يبدأ في الحديث معها صايف الذهن ناسياً كل شيء إلا هي، لا يفاجئها بهدية، ولا يغازلها، ولا يمدح جمالها، لا يحدثها عن حياتها الزوجية، عندما يقرر أن يكسر صمته بيضع كلمات، فهو يتكلم فقط عن ضغوط العمل، أو عن رزان وهل صلت أم لا.. لا يكلمها أبداً..
عنهما!

___ محمد لقد مللت! أريدك أن تشعر بي. ارحمني.

أخفض محمد صوت التلفاز ونظر لها باستعجاب شديد وعدم استيعاب:

___ ماذا؟ وهل قلت لك شيئاً الآن؟!

___ هذه هي الكارثة، أنت لم تقل شيئاً، ولن تقول شيئاً ما حييت.

___ آه فهمتك، سوف نتجادل للمرة الألف في الموضوع نفسه.

___ أنا لا أتجادل معك يا محمد، لقد مللت. أريد أن نخرج سوياً.. الآن.

___ الآن؟ أتدريين كم الساعة؟

___ العاشرة مساءً، وما المشكلة؟ اصطحبني إلى مطعم هادئ لنتناول العشاء سوياً.

___ أي عشاء هذا في العاشرة مساءً؟ إذا أكلت شيئاً الآن سوف
أحلم بكوابيس طوال الليل ولن أركز في عملي غداً، تعرفين أنني لا
أكل بعد الثامنة.

___ النقاش معك عديم الجدوى، شكراً يا محمد. لا أريد منك
أي شيء، سوف أتصل بإخوتي خيراً من الجلسة مع صنم مثلك.

___ هل ستتركيني وحدي لتثرتي في الهاتف؟

___ لا.. يجب أن أجلس بجوارك كما الجماد دون أن أنطق بحرف
كي تشعر بالراحة وتسعد بحياتك الصمّاء، ما هذا الجبروت؟ اجلس
وحدك واغرق في صمتك حتى الموت، لم تعد تهمني منذ هذه اللحظة،
تذكر ذلك جيداً.

رفع صوت التلفاز وانتبه لحديث مهم بين اثنين من السياسيين،
تجاهلها، وكعادته.. أشار لها بيده أن اصمتي وجلس يتابع الحوار
بانتهاب شديد، قالت له: «لم تعد تهمني» فلم يهتم! قامت صالحة
ودخلت غرفتها ومعها الهاتف النقال، اتصلت براجية تشكيها مرّ
حالتها:

___ مللت يا راجية، مللت، ألسنت أنثى؟ أريد أن أعيش قصة حب،
أريد أن أعيش مع رجل، لا صنم، اشتقت أن أشعر بأنوثتي! إنه لا
ينظر لي، أحياناً أشك أنه ربما نسي ملامحي، إذا تنازل وتفوه بكلمة،

يقولها وعينيه مصوبة على شاشة التلفاز، هل أنت متخيلة؟ البلد والسياسة والمرتب والعمل وكل شيء أهم مني! أنا لا أهمه مطلقاً.

— وماذا يتابع على شاشة التلفاز غير السياسة؟

— السياسة ثم السياسة ثم السياسة، ولا شيء أهم من السياسة، لا يكل ولا يمل من جدل السياسيين الممل المكرر، ويمل من حديثي أنا! لا أعلم لماذا وصلنا إلى هذا الحال؟! لا أعلم ما الخطأ في علاقتنا بالضبط كي أصلحه.

— احمدي الله يا صالحة أنه يتابع السياسيين. نديم يتابع برامج الرقص والأغاني الهابطة. يعيش الفرجة على الراقصات والبلقة في أجسادهن.

قالت صالحة مصعوقة:

— هل يعقل هذا؟ راقصات؟ أعوذ بالله!

— نعم يا راجية! زوجك لا ينظر للنساء الأخريات، ويقارن بينك وبينهن، زوجك لا ينظر إليك باشمئزاز وكأنه سوف يستفرغ لأنه رأى أمامه كلب البحر، احمدي الله أنه لا ينظر إليك.

— أهو ينظر إليك باشمئزاز؟ لماذا؟ ألا يرى نفسه في المرأة؟

— لأن وزني زائد يا صالحة، لأنني لم أعد رشيقة بعد عشرين عام زواج، يكره شكل جسمي، ويكره وجهي وشعري وكلامي، إنه يمقتني! أنت لن تشعري بما أقوله إلا إذا جربتني، لا أحد سوف يشعري بي.. أصعب إحساس يمكن أن تشعر به أي امرأة على وجه الأرض، أن تقول لها عين رجل: «ما أقبحك!» وأجمل إحساس يمكن أن تشعر به امرأة، أن ترى: «ما أجملك!» جليّة في أعين الجميع.

— معك حق! ولكنك جميلة رغماً عن أنفه، لا تجعلني ذلك يؤثر على ثققتك بنفسك.

— بل أثر عليّ.. وجداً يا صالحة! أنا مجرد حطام الآن، أخذ شبابي كله ثم رمانني ونظر إلى غيري، أتعلمين؟ أنا أعرف أنه يفكر بالزواج من غيري، لكنه لم يجد العروس المناسبة بعد.

— أيعقل هذا؟ لا مستحيل! أنا لا أصدق أن نديم يمكن أن يفكر بهذه الطريقة.

— بلى، سوف يفعلها عاجلاً أو آجلاً يا صالحة، سوف يفعلها، أنا أعرفه جيداً، إنها عشرة عشرون عاماً.

أنهت صالحة الاتصال وجلست تفكر بحزن، ماذا لو فكر زوجها في الزواج من امرأة أخرى؟ لا.. لا.. هذه مجرد خاطرة بلهاء، إنه لا يكلمها كي يتزوج بامرأة أخرى تطالبه بأن يكسر صمته من أجلها.

كلما سكتت قليلاً شعرت أنها ستصبح مثله. جلّ ما تخافه أن تتحول من امرأة حيّة بكل ذرة في كيانها إلى مسخ صامت ممسوح الفم. فكّرت أن تطمئن على أحوال أختها طائعة، فاتصلت بها، محاولة أخرى لتبديد الصمت بالثرثرة:

___ كيف حالك يا طائعة؟ أريد أن أطمئن عليك.

___ الحمد لله، لا جديد.

___ هل عاد زوجك من أسوان؟

___ لا.. زوجي لن يعود.

___ ماذا تقصدين بـ «لن يعود»؟ لقد تحدثت منذ قليل مع راجية

لأشكي لها همي، ولكني اكتشفت أنها مهمومة أكثر مني، ومن الواضح

أنك تحتاجين أن تبوحى بما في قلبك أكثر من كلينا!

___ يريد ولدًا يا صالحة، وأنا لم أنجب له إلا فتاة.

___ وهل الأمر بيدك؟ ما هذا الجنون؟

___ هو يلومني على هذا، يرفض أن نذهب إلى الطبيب، ظلمت

أحاول إقناعه لسنوات ولكنه رفض، كأنه يخاف أن يكون العيب منه

هو وليس مني! إذا كان العيب منه لن يستطيع أن يلومني؛ لذلك

يرفض بشدة اللجوء لطبيب، يريد أن يتزوج.

___ هو الآخر؟

___ من سيتزوج غيره؟

___ زوج راجية، ليس خبراً مؤكداً، ولكنها تعتقد ذلك.

___ لا لا، إن شاء الله نديم لن يتزوج، ولكنني متأكدة أن ظافر

سوف يتزوج، هو ليس في أسوان، لا أعرف لماذا ينتابني إحساس أنه

موجود في مكان ما هنا في طنطا مع زوجته الثانية، وليس في أسوان.

___ أنا لست مقتنعة بكل هذا، أنت وراجية فقدتما عقلكما

بالفعل! لقد اكتشفت أنني العاقلة الوحيدة بينكما!

___ لنا حديث مطوّل يا صالحة عندما تأتيان لزيارتي الأسبوع

القادم.

___ نعم بالتأكيد، هذه الأحاديث لا تنفع على الهاتف.

بعد أن أنهت صالحة المكالمة جلست تتفكر وتتساءل، لماذا حظّها

وحظ أخواتها سيء إلى هذه الدرجة؟ هل العيب في رجالهن؟ أم أنهن

مخطآت بشكل أو بآخر؟ لطالما كانت تكره فكرة التحيز لجنس دون

غيره، هل هي امرأة تكره الرجال كلهم؟ هل الرجال سيئون؟ لو لا،

إذن لماذا تزوجن كلهن من رجال غير مثاليين؟ أم أنها اقترفت خطأ

ما لا تعرفه؟ لا تعلم! ولكنها لم تكن على ما يرام. بالطبع سوف تحلم

بكوبيس ولن يكون نومها هادئاً هذه الليلة، ستنام همومها وهموم
أخواتها متوسدة صدرها، ولكنها ستنام على أية حال.



(١١)

نَهَشَ الشوق قلبها، واستعرت نيران الالهفة بداخلها بغير ميعاد،
استيقظت من نومها الثانية عشر بعد منتصف الليل، كانت عطشة
جداً لصوته، ولعذوبة كلامه، ولارتعاشة نبرته، لم تستطع أن تنتظر
للصباح كي تتصل به، إنه الشوق حين يباغتك فجأة وأنت أعزل،
لا يمكنك إلا أن تستسلم لهجمات اللذيذة، هي تعلم أنه يعمل في
الصيدلية الآن، ولكنها سوف تتصل به، وإلا هزمها الشوق وقتلها
شهيدة للعشق، إنها أكثر من تُحبه، ربما تدمنه كالهيروين في الدم،
أمسكت الجوال على عجل، فوجدته يرنّ، إنه هو!

— استيقظت من نومي الآن كي أكلمك، كنت أشعر بك! كنت
سأتصل بك حالاً!

— جذوة، يا أنثى النار ولهب الشوق، يا نبع الحب وسحر
الجمال، أحبك.

— أحبك أكثر! لا أعلم هل سوف تصدقني أم لا ولكنك حبي
الأول، كنت، كأني فتاة، أتمنى أن أُحِبُّ وأُحَبُّ، لكنني لم أوْمَن قط أنني
سوف أحب بهذا الجنون، لم أوْمَن قط أنني سوف أجدك.

___ الجنون هو ألا أراكِ الآن! لن أستطيع أن أعيش دقيقة واحدة إذا لم أراكِ.. والآن.

___ اشتقت إليك جداً جداً، ولكنني لن أستطيع الخروج من المنزل الآن! لم يعد لدي حجج أخرى آتي بها إليك.

___ أنا تحت منزلك، انظري إليّ من الشباك.

طارت من السعادة، ارتبكت، كانت ترتدي (بيجاما) فضفاضة، شعرها مبعثر كل شعرة في اتجاه، تركت الجوارل وبدلت ملابسها بسرعة لترتدي (بيجاما) أكثر ضيقاً، عارية الكتفين؛ لطالما كان الحلّ لديها، لتكون أكثر جمالاً، تضيق الملابس، تعرية الشعر، وأجزاء من الجسد، مشطت شعرها بسرعة ووضعت أحمر شفاه كيفما اتفق، ثم ركضت لتفتح الشباك، رآته فابتسمت وابتسم، ظلاً يتبادلان النظرات عشر دقائق، ثم اضطر أن يعود إلى عمله، اتصلت به:

___ هل نتقابل غداً؟

___ نتقابل صباح كل يوم، أريد أن أفتح عيني لأراكِ، وأغمضها كي أحلم بك.

___ أريد أن أعيش بقية عمري بجوارك.

___ جذوة، ماذا فعلت بي؟

___ بل ماذا فعلت أنت؟ لقد سحرتني، وأسرت قلبي من نظرة واحدة..

___ لم أفعل شيئاً، لقد رأيت جمالك فلم أستطع إلا أن أذوب فيه، أخبريني.. لماذا أنت جميلة؟

___ لا أعرف! أنا لم أكن أعلم، قبل أن أعرفك، أنني جميلة! هم يقولون أنني قبيحة جداً.

قالتها ضاحكة كي تخفي دمعتين كادت أن تسقطا مُعلنتين الجرح:

___ هم لا يفقهون شيئاً، هم لا يمتلكون عيوني كي يرونك بهيئة كما أراك، أنت الأجل، والأحلى، والأكثر فتنة من.. هم.

سهراماً على الهاتف إلى الصباح، ضحكا ولعبا وناما واستيقظا وأكلا معاً، لم يقاطع عشقهما إلا بعض الزبائن القلائل، طالبين الأدوية في منتصف الليالي يداوون بها أمراضهم، لم يفترقا حتى طلع نور الشمس وقررا أن يتقابلا، ارتدت أجمل ثيابها.. وأضيقها، ذهبت لتقابله في مكان بعيد عن الأنظار، ولكي يضمن ألا يراها أحد، اتفقا أن يتقابلا في منزل صديقه، صديقه سوف يكون موجوداً، والبيت أمان، هكذا لن يراها المارة في الشارع في كل مكان، رحب صديقه به وبجدوة وقدم لهما كأسين من عصير البرتقال، وصحناً به كعك ويسكويت، ثم تركهما لحالهما في غرفة الصالون وذهب. جلسا على

الأريكة ذاتها، واقتربا من بعضهما البعض حد الالتصاق، ارتشفت جذوة رشفة من كوب العصير، فأخذه منها ورشف رشفة من موضع شفيتها على الكأس.

___ لماذا فعلت ذلك؟

___ أشرب من مكان شفيتك لعلني أتذوقهما!

قالت بخجل مصطنع:

___ لا تقل ذلك، عيب عليك!

___ العيب أن أرى الورد ولا أذوق رحيقه.

همسا كثيراً، وتبادلا النظرات، قبل يدها ومن ثم وجنتيها.. ولم يجدا مانعاً أن يتمادا أكثر من ذلك، لولا أن صديق مسعود دخل عليهما فجأة دون قصد فارتبكا واعتدلا في جلستهما؛ حتى أنهما تباعدا بعض الشيء عن بعضهما البعض، تأسف صديق مسعود ولكن مسعود استأذنه في الانصراف واعتذر له على الإزعاج في هذا الصباح الباكر، ودع صديقه وأخذ جذوة ومضيا في طريقيهما، أمسك يديها طوال الطريق حتى أصبحا بالقرب من منزلها، افترقا وعندما اختلت بنفسها في غرفتها جلست تبكي، كانت لا تريد أن تتركه لحظة واحدة، تريد أن تتزوجه الآن، ولا تجد أي مانع من تحقيق ذلك لولا أنها تأبى

أن تفتاحه في الموضوع قبل أن يفعل هو؛ فيظن أنها كالفتيات اللاتي يبحثن عن عريس قبل الأكل وبعده، تريد أن تحتفظ بكرامتها أمامه.. هذا الرجل جميل العينين.. هذا الوحيد الذي يرى جمالها، يجب أن تنتظري كي يعرض عليها الزواج أولاً. وقتها سوف توافق دون أن تتردد للحظة، إنه صيدلي، بالتأكيد سوف يوافق والدها على ارتباطهما، هذا إن كان رأيه مهماً من الأساس، وسوف توافق والدتها، هي متأكدة من ذلك، المهم الآن أن يأخذ الخطوة الأولى ويتقدم لها رسمياً، يارب! غلبها النعاس، نامت، وحلمت به عشرات المرات، كانت أحلامها كلها معه، يعيشان بسعادة لا تتضب ولا يعكرها شيء! كانت تستيقظ لتتظر في جوالها، هل اتصل؟ لا.. تعرف أنه نائم الآن؛ ومع ذلك تنتظر اتصاله، أو رسالة منه بلهفة، العشاق دائماً في حالة انتظار، هذا هو قدرهم الأبدي الذي لا يتغير، تعود وتنام وعلى شفيتها ابتسامة لم تبسمها من قبل لأحد. ابتسامة خاصة خلقت عندما عرفته.. ابتسامة تخصه لا تخصها، وتلك هي ابتسامتها الوحيدة بين ابتساماتها، صادقة حد البراءة، ولا تعرف الزيف، تفتح عينها مرة أخرى، آه من حلم ليته يتحقق الليلة! ترى كيف سيكون فستان زفافها؟ هل تضع تاجاً على رأسها؟ أم تكفي بالطرحة البيضاء؟ هل ستشبه الملائكة ليلة عرسها؟ اتسعت ابتسامتها حتى أنارت وجهها، نامت هذه المرة بارتياح حتى أيقظها أخوها محب بعد صلاة العصر:

___ استيقظي يا كسولة! هل ستنامين إلى المغرب؟ ماذا بك؟

___ اتركني أنا.

___ لن أتركك استيقظي.

ظل يمزح معها ويشاغبها حتى استيقظت، لاحظ أنها تبسم على غير عاداتها، لاحظ تورد وجنتيها وخفّة روحها وراحة قلبها فسأل متعجباً:

___ مزاجك رائع اليوم، هل تريدين أن تحكي لي عن شيء ما؟

شخص ما؟

ابتسمت واحتضنته.. لأول مرة تشعر بالنار تبرد في عروقها..

لا تريد لتلك النار أن تُشعل من جديد، اعترفت بكل أريحية وسلام:

___ أنا أحب!

___ شعرت بذلك.. مبارك عليك يا أختي، أنا أحبك جداً، وأتمنى

أن تكوني سعيدة في حياتك.

نظرت له بحنو وبحب كبير وقالت:

___ هل تعلم يا محب؟ أنت أقرب لي من أخواتي البنات، أحبك

أكثر من أمي وأبي! أنت الوحيد الذي تفهمني، لا تتهرني.. لا تكره

شكلي، ربما هذه المرة الأولى التي أقول لك فيها أنني بالفعل أحبك، حتى وإذا كنا نتشاجر أو نختلف كثيراً، أظل أحبك برغم كل شيء..

— آه فهمت.. هل وقعت في غرامي أنا؟ أنا الشاب الذي تريدان

أن تتزوجيه أليس كذلك؟

ضحكا ومزحاً، ثم خرجا ليتناولوا الغداء الذي حضرته راجية.

— أخيراً استيقظت يا جودي هانم؟ مُحب حبيبي.. تعال واعط

قبلة لأمك.

اعتادت راجية أن تقبل ابنها كل يوم. تُعانِد نفسها، أو تُعانِد جدوة، بإظهار الحُب له وحده، تقول لهن دائماً أن «هذا ابني الوحيد»، تفتخر به، وتحتفي بذكوريته رغم كونها أنثى، زوجها، نديم، كان ينتظر أن تنجب له الذكر، ولما أنجبت البنات اسودَّ وجهه وامتعق، وضع اللوم كله عليها، وعندما أتى مُحب، احتفل وذبح خروفاً، كان أسعد رجل على وجه الأرض يومها، تباهى أمام البلد كلها ووزع عليهم اللحم والشربات، وقتها اشترى لها هدية لأول مرة، وكانت الأخيرة، أهداها خاتماً من الذهب مُرصعاً بالأحجار الكريمة، لا تعلم هل تعامل محب بطريقة مختلفة لأنها تُفضّل الذكور؟ أم لأن زوجها يحبه! أحياناً تشعر أنها تكيد به بناتها وخاصة جدوة. أحياناً تشعر أنها تعمدت تقبيله أمامها كي تكسر تلك الجامحة المتمردة بداخلها. ظنّت أنها، بطريقتها

في التعامل مع جدوة، قد نجحت فعلاً في كبت جماحها، خاصةً عندما لاحظت غيرة جدوة عليها من أخيها، غيرة جدوة عليها تُمتّعها.. تُشعرها بحب جدوة لها برغم كل شيء، وهذا الإحساس كان يطمئنّها أنها أحسنت السيطرة عليها كأُم دون أن تخسر حُبها.

لاحظت جدوة أن أمها قد همست لمحب بشيء ما كي لا تسمع، فقالت:

___ ما الذي تخفيانه يا ترى ولا تريداني أن أسمعهُ؟

رد محب ببراءة مبتسماً:

___ لا شيء يا جودي، أمك اختارت لي عروس..

شعرت بالاختناق دون أن تعلم السبب، نزل الخبر عليها كالصاعقة.

___ أحقاً؟ من هي؟

___ إنها مرام، ابنة الحاجة رقية صديقة أُمي، هل تتذكرينها؟

وكيف لا تتذكر مرام؟ إنها فتاة فاتنة! جميلة، عينيها واسعتان كحيلتان كما غزال الريم، شفيتها ممتلئتان، أنفها صغير ونحيف، وجسدها ممشوق كعارضات الأزياء، شعرها الأسود المموج طال حتى لامس خصرها الملفوف. مرام فتاة جميلة بحق، أخذت جدوة تُقلّب الطعام في صحنها يميناً وشمالاً دون أن تأكل منه شيئاً، سألته:

___ هل ستخطبها؟

___ إنها فتاة جميلة وطيبة، سوف أتقدم لخطبتها، ادع الله أن توافق.

قالت وقد قطبت حاجبيها وتركت الملعقة في الصحن:

___ أنا لا أوافق، إنها فتاة تافهة لا تصلح لشيء.

انضمت ذكاء في هذه اللحظة إلى المائدة وقد سمعت كلام جدوة الأخير، قالت وهي تسحب الكرسي لتجلس وتبدأ في تناول الطعام:

___ فتاة تافهة؟ هل تقصدين أننا إذا قارناها بك سوف نجد

أنها تافهة وأنت الفتاة المناضلة ذات الأهداف العظيمة؟ يا حبيبتي لا يوجد على وجه الأرض أتفه منك.

قالت راجية بعصبية:

___ لماذا تتكلمين عن أختك بهذا الأسلوب يا ذكاء؟ هذه قلة

احترام لها ولي! ألا تحترمينا؟

___ لا يا أمي أحترمك بالطبع، ولكنني أفهم جودي جيداً،

الموضوع ليس كما تدعي، هي تعرف أن مرام ليست تافهة، هي لا

تعرف عن مرام أي شيء كي تحكم عليها، إنها مجرد حجة واهية

تقولها لتخفي ما في قلبها.

قالت جذوة وقد غلي الدم في عروقها:

— وما الذي أخفيه يا ذكية هانم؟ هل دخلت قلبي وعرفت ما أخفيه؟ إنه أخي الوحيد وأنا أخاف على مستقبله، هو أفضل منها بكثير اجتماعياً ومادياً وثقافياً.. ببساطة هي لا تناسبه.

ابتسم محب عندما شعر أن جذوة تخاف عليه وتمدحه، ثم ما لبثت ابتسامته أن تلاشت عندما استرجع الجزء الثاني من كلامها: «ببساطة هي لا تناسبه»..

— بل تناسبني، أنا معجب بها.

قالت ذكاء بتحدي العارفين، مهاجمة أختها كما لو كانت ألد أعدائها:

— أمي، ابنتك ترفض مرام لأن مرام أجمل منها، الغيرة سوف تقتلها إذا عاشت مرام معنا في المنزل ورأتها أمام عينيها ليل نهار، فتاة جميلة وفاتنة، ابنتك تغار من خيالها يا أمي.

تلك الثلوج التي غمرت دماء جذوة بالسلام الليلة الماضية، انصهرت، سخنت، ووصلت حد الغليان حتى لسعت شرايينها، تلك الثلوج التي كانت برداً لروحها صارت بركان من نار، غَضَبَتْ غضباً أعجزها عن الكلام، تركت المائدة دون أن تأكل ودخلت غرفتها، أغلقت الباب بعنف، ظلت تلف وتدور في الغرفة كالمجنونة لا تعرف

ماذا تفعل؟! لم تفكر وقتها إذا كان كلام ذكاء صحيح أم لا؟! لم تحاول أن تفكر في سبب رفضها الحقيقي لمرام، كل ما كانت تفكر فيه هو ألا تتم تلك الزيجة، وكانت تفكر في شيء آخر.. كيف ستنتقم من ذكاء؟ لن تسامحها ولن تنسى هذه الصفة التي وجهتها لها بكل تحدي الدنيا، سوف تردّها لها.. حتماً سوف تردّها لها.

قالت ذكاء لراجية:

— أمي.. افهمي ماذا أريد أن أقول قبل أن تنتقديني، ابنتك مريضة نفسياً، لا بد أن تعرضيها على طبيب نفسي قبل فوات الأوان، إنها تغار من كل الناس، ومن كل شيء، لو مدحت محب تغار، لو قلت أن فتنة أجملنا تموت غيرة وحقدًا، لو قلت أن فلانة تزوجت يملأ قلبها الحقد، إنها لا تفرح لسعادة غيرها، ابنتك، إذا رأت السعادة جلية على وجه أحدهم، تموت كمدًا وغيظًا.. تموت قهراً، ابنتك ليست طبيعية يا أمي.

— ما هذا الكلام يا ابنتي؟ لماذا أنتم أعداء؟ أحبوا بعضكما ولا تتعاملا بهذه الطريقة أمامي.

— أنت طيبة يا أمي، وابنتك هذه سوف تجلب لنا مصائب من حيث لا ندري، هذه أختي وأنا أعرفها، لا تقولي أنني لم أحذرك، لو لم تعالجها نفسياً لا تلومي إلا نفسك.

اتصلت جذوة بمسعود، اشتكت له من إختوتها ومن أمها، قالت له أنهم يضطهدونها، ويسبئون فهمها دائماً، حتى أن ذكاء تتهمها بالغيرة من مرام عروس أخيها! قالت له أنها لا تعلم لماذا يعاملونها بهذه القسوة، هل يكرهونها؟ ماذا فعلت لهم كي يعاملونها هكذا؟ قالت له، بعد أن ترددت للحظة، أن أمها تضربها أحياناً بالسوط، وتحرق جسدها بالمعلقة الساخنة، قالت له أن أمها بطبيعتها لا تضرب أحداً من أولادها قط، تضربها هي فقط.. لماذا لا تضرب فتنة أو ذكاء؟ أو محب؟ غصت، بكت، بكت بحرقة:

___ هل تعلم يا مسعود أنني- في فترة من حياتي- شككت أنني لست ابنتها؟ وأنها زوجة أبي وليست أمي الحقيقية، وأنهم لا يريدون أن يصارحوني بذلك، لولا أنني رأيت صوري معها في جميع مراحل العمرية لكنت قلت أنها ليست أمي، حتى أنني بحثت في الأوراق الرسمية كي أتأكد من أمومتها! لا أعلم لماذا تعاملني، أنا الوحيدة، بهذه القسوة يا مسعود؟

أما مسعود فبكى لبكائها، بكى لأنه كان يحبها بصدق، لم يستطع أن يهضم إهدار كرامتها وتعذيبها، لم يقل لها أنه بكى. كتم أنفاسه ومسح أدمعه وتنهّد.

___ قابليني يا جذوة في منزل صديقي بعد نصف ساعة من الآن.

تقابلا بعدها عشرات المرات، كان صديقه طالباً، استأجر هذا المنزل الصغير بسعر زهيد ليكون قريباً من الجامعة، كانا، هو ومسعود، صديقين مقربين.. رغم صداقتهما، لم يكن معجباً بالوضع، مقابلات في أوقات مختلفة وكثيرة، ربما تضر بسمعته وبسمعة منزله، وربما يصل لصاحب الشقة خبراً فيطرده، لم يستطع أن يصارح مسعود باستيائه، أو أن يخجله فسكت، اكتفى بعدم الترحيب بهما بحرارة عندما يأتیان، شَعَرَ مسعود باستياء صديقه، ولكنه لم يستطع مقاومة رغبته في أن يكون بجوارها بين أربعة جدران دون أن يراها أحد، كان يفكر كثيراً أنه يجب ألا يلمسها إذا كان يحبها بصدق، لكنه لم يستطع أن ينفذ ما يؤمن به، أما هي، فقد أبرمت اتفاقاً مع نفسها، لن ترفض له طلباً، حتى وإن طالبها بالزواج في السر أو أن يتزوجا بورقة عرفية، لن تمانع أبداً، هي لم تحب أحداً من قبل، ولم يحبها رجل قبله، وربما لن يحبها رجل بعده، ليس لديها أي استعداد أن تخسر حبه لها مهما كان الثمن باهظاً.

لم يتقابلا في منزل صديق مسعود فقط، بل كانا يمشطان شوارع القاهرة وضواحيها دون أن يعلما أين هما، يمشيان وينسيان أنفسهما، يحكيان ويضحكان ويبكيان ويتشاجران ثم يتصالحان ثم يتوهان ولا يعرفان وجهتهما، ثم يسألان الناس عن عنوان الحي الذي تعيش فيه، فيعودان ويودعان بعضهما إلى أن يتقابلا صباح اليوم التالي،

أحبا بعضهما لدرجة أنهما أصبحا روحاً واحدة، يشعران معاً الشعور ذاته، يتفوهان بنفس الكلمة في نفس الوقت، ويحلمان بالأحلام ذاتها، أصبحا روحاً واحدة لها جسدان، حتى أن ملامحهما أصبحت متشابهة، لهما ابتسامة واحدة، ولزمت واحدة، وطريقة كلام واحدة، ومفردات واحدة، لم يعكّر هذه العلاقة إلا كابوس لاحق جذوة في نومها وصحوها.. ماذا لو مات مسعود وتركها؟ هل سيموت؟ في إحدى الليالي قررت أن تتوضأ وتصلي لعل هذا الكابوس يتركها لسعادة أيامها، دعت في صلاتها: «يا الله! اتركه لي ولا تأخذه، أرضى بقبح خلقتي في مقابلته! يا الله.. لا أعلم إن كنت تحبني أم لا، لكنك تعلم أنني أحبه، تعلم أن لا أحد غيره يحبني، ياالله، اتركه لي، اتركه لي ولا تأخذه».



(١٢)

حضرت صينية معكرونة بالباشميل، كانت ذكاء موهوبة في الطبخ، وكانت الساعة السابعة مساءً، شعرت أن شهيتها مفتوحة وتريد أن تطبخ أكلة شهية وتأكلها كلها وحدها، كما أن الملل مُخلص للشيطان، فهو عميل مزدوج، ومخلص لشهوة الأكل أيضاً. جلست على مائدة الطعام لتأكل فشاركها أبوها الجلسة، مزح معها فمئلت أنها تضحك. كانت في حالة مزاجية سيئة جداً، لا ينقصها أن ينغص عليها أبوها التلذذ بصينية المعكرونة، صورته وهو ينظر لصديقات أمها متفحّصاً أجسادهن لا تبرح خيالها، تستحقّره. تمقت كل كلمة يتفوه بها، تتقزز من نكاته حد الغثيان، لم يكن رجلاً في نظرها.

رن جرس الباب فتعجّب أهل البيت، لم يكونوا منتظرين ضيفاً الليلة، شرعت ذكاء في تناول المعكرونة بينما قام أبوها ليفتح الباب، سمعته وهو يقول: «ثري من؟».. لحظة.. هل قال أبوها ثري؟ قامت بسرعة البرق لتخفي صينية المعكرونة في المطبخ، ثم ركضت إلى غرفتها لتغير ملابسها. لم تكن تعلم هل هو ثري فعلاً أم أنها قد أخطأت السمع؟ لماذا أتى؟ ماذا سوف يقول لأبيها؟ سوف يقتلها لو عرف أنها تعرفت عليه على الفيس بوك، سوف يقتلها لو عرف أنها قابلته واستغفلته، يبخلق في النساء ثم يعاقب بناته على نزواتهن، كيف

يجمع بين الأخلاق والفساد؟ كيف يجمع بين أن يكون رجلاً على بناته شهوانياً صغيراً أمام ذاته وأمام الله؟ ما أحقره! لطالما تمننت أن يكون قدوة لها كبقية الآباء، لكن هذا الرجل لا يصلح إلا أن يكون قدوة للشيطان.

ارتدت فستاناً طويلاً رقيقاً تحسباً لأية مفاجأة، تريد أن يراها ثري في أبهى صورها، إحساس سادي هو حُب الفتيات لانتزاع الإعجاب من أعين الرجال! خرجت للصالة الخارجية لكي تُفاجأ بما رأت، ثري ومعه امرأة كبيرة في السن، رجّحت أنها أمه، يجلسان مع أبيها وأمها وجدوة، جميعهم مبتسمون وسعداء ما عدا جدوة التي ظلت تنتظر لثري من أعلى إلى أسفل، وتضحك فجأة ضحكات خليعة لتسترعي انتباههم، قالت راجية بحماس عندما رأت ذكاء واقفة تراقب من بعيد:

— تعالي يا ذكاء، تعالي يا حبيبي اجلسي بجانبني.

التزمت ذكاء الصمت وجلست، دارت الدنيا بها، لم تتوقع أن يتقدم لها بهذه السرعة. صدمتها المفاجأة حتى صارت أصواتهم بعيدة ومشوشة بالنسبة لها، لا تسمع بوضوح إلا صوتها: «ما هذا الجنون؟ هل سأتزوجه؟» برغم حالة الاندهاش والمفاجأة، كانت تشعر بالسعادة، وبالنجاح، لقد نجحت الخطة، ومن الجولة الأولى، حاولت

أن تلمم انتباهها المشتت وتستوعب جَلَّ الحَدَث، فهمت، من ابتسامة أمها وأبيها، أنهما راضيان ومرحبان بشريّ زوجاً لابنتهما، طبعاً، ولم لا؟ إنه ثريّ؛ لذلك لن يهتموا كثيراً بتلك الشعارات الفارغة.. أخلاق، ودين، وسلوك.. إلخ.

كلها شعارات لا معنى لها عندما يحضر الثراء والورق الأخضر.. الدولار، فَهَمَّت أيضاً من تعابير وجه جذوة أنها تموت كمدّاً، تارة تضحك بهيستيريا، وتارة تعبس وتقطب حاجبيها، حتماً تقتلها الغيرة الآن. الغيرة.. هذا المرض المزمن الذي يأكل أحشائها على مهل.

لم تكن ذكاء تعرف أن جذوة، بجانب غيرتها منها، لم يُعجبها أن تُكافأ هذا المساء بعريس بدل من أن تنال عقابها على يديها انتقاماً، سوف تراها بالفستان الأبيض قريباً وهي لم تأخذ حقها منها بعد.

مُحِب سيخطب مرام، وفُتنة تزوجت سراً من لؤي، وذكاء تقدّم لها ثريّ، ماذا عنها؟ هل سيسعدون جميعاً ويتركونها تحترق بنارها؟ لماذا يسعد من يظلمونها دائماً في النهاية؟ وتبقى هي حزينه وتعيسة إلى هذا الحد؟

لن تمضي الليلة، ولن تطلّ الشمس على كوكب الأرض، إلا إذا وضعت حداً لهذه المهزلة، سوف تطلب من مسعود أن يتقدم لها ويتزوجها، لا يهم التفكير في الكرامة والمظهر العام الآن، هو يعيشها

كما تعشقه، لم تعد تلك الحدود والأسوار موجودة بينهما، سوف
تتزوج هي أيضاً، ولمَ لا؟!



ظل لؤي يلح على فتنة بأن تعطيه الشبكة التي أهداها لها، أو أن
تقرضه ثمنها، وظلت فتنة تأبى وتتذمر حتى فقد التحكم في أعصابه
وضربها، أمسك شعرها بين يديه وسحبها منه كما تُسحب البقرة
بالحبل. طرحها أرضاً وجرحها جرحاً، وبعد أن استسلمت وخارت قوتها
صفعها على وجهها عدة صفعات متتالية، ثم تركها نازفة، ينزّ الدم
من شفثيها وتتساقط قطراته من أنفها، قال مُتعباً وأنفاسه تتلاحق:

— أين الذهب؟ أين أخفيتيه؟

استعطف نبرة صوتها لتتطق رغماً عن إرهاق روحها وشلالات
دموعها:

— لن أعطيك شيئاً.

— وهل تزوجتك لكي أفسس؟ أعطني كل ما صرفته عليك.

قالت وقد تأقلمت مع الصدمة الجديدة، والجرح الطازج:

— وهل تزوجتني كي تسترجع ما صرفته عليّ ثم تأخذ مالي؟

ألم تقل أنك تحبني؟

___ كذبت، أنا لا أحب نفسي كي أحبك، من أنت كي أحبك؟

وما هذا الغرور الذي جعلك تظنين أن كل الرجال يجب أن يقعوا في غرامك؟

توقّعت هذه الإجابة مُسبقًا، لماذا يُعينا الحُب لدرجة ألا نرى الناس على حقيقتها إلا بعد فوات الأوان؟ ربما تعريف الحُب هو: نظارة سوداء لا تشفّ ولا تُظهر ما وراءها. الحُب هو خدعة نفسية توهمك بمثاليّتهم، الحُب ساحر يوسوس لك أن الشيطان ليس إلا ملاك مظلوم حسن الهيئة جميل الوجه، تُعميك النظارة وتخدعك نفسك وتصدّق الساحر فلا تملك إلا أن تُحب، تُحب هذا الشيطان الذي لم يكلف نفسه عناء التمثيل في الفضائل، هو شيطان صريح، غير مُتكرّر، خرج لك في عز الظهر، وأنت الأعمى المخدوع الذي أحببته عن جهل، عن سذاجة.. وعن غرور!

___ لماذا تزوجتني يا لؤي؟

___ لكي آخذ مالك، ولن أطلقك إلا إذا أعطيتني مالك كله، أنت من سألت، وأنا لم أعتد الكذب.. ليس ذنبي أنك مغرورة بجمالك، تخدعك نفسك وتوهمك بأنني عاشق تراب قدميك، هيا قومي واعطني الشبّكة وإلا سوف أضطر أن أرتكب فيك جريمة قتل.

صرخ:

— قووووومي.

ركضت الأفكار في رأسها متخبطة على غير هدى، كيف تخرج من المنزل دون أن يقتلها ودون أن يأخذ منها كل ما تملك؟ هل تعطيه المال والذهب وتخرج مُخلصة نفسها من بين مخالفه؟ أم يجب ألا تعطيه المال وتموت في سبيل الدفاع عن ممتلكاتها؟ لا تعلم! كيف تحول لؤي إلى هذا الرجل الوحشي الذي ينظر لها بغضب وبكراهية؟ من هذا؟ كيف كان يخدعها كل هذا الوقت بهذه السهولة؟ كيف كانت ساذجة لهذه الدرجة؟ صرخ بصوت خشن أن: «قومي اجليي المال والذهب»، فارتعشت خوفاً، هزت رأسها موافقة بعد أن خذلها لسانها، دخلت غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح، أخذت نفساً عميقاً قبل أن تستجمع نفسها وتتصل بأبيها لتحكي له مشكلتها على عجل، خافت أن يكسر لؤي الباب ويدخل فيقتلها، لحسن الحظ كان هذا البيت قريباً من بيت أهلها، أتى أبوها بعد عشر دقائق اختبرت فتنة فيهم الإحساس بالرعب حد تمنى الموت، كان لؤي يطرق بابها بعنف حتى كاد ينكسر، اصطحب أبوها ثلاثة رجال مفتولي العضلات، رنّ الجرس، فتح لؤي الباب ليتفاجأ بهم يمسكونه ويضربوه حتى وقع مغشياً عليه، أخذ نديم ابنته ومتعلقاتها.. ملابسها، ومالها، وذهبها، ثم اصطحبها إلى المنزل، كانت فتنة جثة لها عيان مفتوحتان عن آخرهما، دامعتان في

صمت، يوجهها أبوها إلى الطريق دون أن تعلم أين هي، تتحرك كجثة هامة لا روح فيها.

___ لماذا تزوجتي هذا المحتال بدون علمي يا ابنتي؟

___ لا أعرف.

دخلا المنزل ليجدا راجية ودموعها في استقبالهما، في عيني راجية ألف نظرة عتاب، وألف دمعة شفقة، وحُب كبير، صرخت فتنة باكية مُترجية أمها أن تعطف عليها، ضمتها راجية بحُب الكون، وبكِتا كثيراً..

جذوة، كعادتها، تتفرّج عليهم من وراء ستار، تبتسم، وتُسّر في نفسها حُبث محموم: «هذه الفتاة سوف تصبح مُطلّقة قريباً، لقب مُطلّقة يكفيني لأنتقم منها يوماً مئة مرة!».



اتصلت جذوة برزان تدعوها إلى منزلها. كانت محتاجة لأن تفضض بما في قلبها لفتاة مثلها، وربما كانت تريد أن تعرف الجديد في علاقة رزان بفتى الحي المجهول راغب، لبّت رزان الدعوة بعد ساعة من المكالمة، جلستا سوياً في غرفة جذوة وبدأت الأحاديث النسائية تغمر الغرفة حدّ الغرق بين أمواج الحروف.

___ فتنة سوف تتفصل عن زوجها وتصبح مطلقة، ومحب سوف يتزوج من مرام، وذكاء سوف تتزوج من ثري، لا أعلم كيف عرفت هذا الشاب ومتى؟ لكن أبي وأمي فرحان جداً بالموضوع، تعاليني أُمي بكلمة (عانس) طوال الوقت، وأنا لم أكمل عامي العشرين بعد!

___ عوانس؟ كم أكره هذه الكلمة.. لماذا بعض الأمهات، أو ربما معظمهن يعالين بناتهن بهذه الكلمة الجارحة؟ تصبح أمك والزمن ضدك. ___ لا أعلم ياروزا! ولكننا في سباق من تتزوج أولاً، وقد قررت قراراً خطيراً أريد أن آخذ رأيك فيه.

___ خير إن شاء الله يا جودي..

___ لقد قررت أن أتزوج من مسعود.

فرحت رزان من قلبها وضحكت بمرح وقالت:

___ مبارك عليك يا حبيبتي، متى سوف نتسوق ونختار فستان

العرس؟

___ لا تستعجلين، لم أفتح مسعود في الموضوع بعد، أريد أن

أطلب منه أن يتقدم لي رسمياً، ما رأيك؟

___ لا يا جودي، لا يمكنك أن تطالين منه طلب كهذا، يجب أن

يقول لك أولاً أنه يريد أن يتزوجك ويسألك عن رأيك.

___ ولكن ليس بيننا هذه الحدود، نحن أصبحنا مقربين لدرجة
لا تتخيلونها يا روزا، ما بيننا ليس حباً كالحب الذي تشعرين به تجاه
راغب، ما بيننا يسمى عشقاً.

___ طالما الأمر هكذا، إذن كلميه بلا تردد . قولي له تعال وتزوجني،
العشق والكرامة لا يجتمعان.

___ معك حق، سوف أفعل.. كيف حال راغب؟

___ أنت تعرفين يا جودي أنني لا أعرف كيف حاله؟ لم أكلمه
بعد، لا أعرف رقمه، لا أعرف غير اسمه.

___ هل تعتقدين حقاً أنك تحبينه يا روزا؟ أهذا حب؟

___ لن تفهميني.. أنا لا أكف عن التفكير فيه ولو لثانية واحدة،
هل تعلمين أنني أشعر أنه يراني الآن؟ أشعر أنه يراقبني ويبتسم لي
أينما ذهبت، أشعر أنه معنا في الغرفة ويسمعنا وينظر إليّ، إذا لم يكن
هذا حب، فماذا يكون؟

___ فهمتكم يا روزا، ولكني أريدك أن تتحرري من قيودك قليلاً،
اعطه رقمك، حدثيه، قابليه، واجلسا معاً، افعلي أي شيء! أمرك
عجيب يا فتاة.

___ أكلمه؟ وأقابله؟ مستحيل! لا أستطيع. يجب أن يبادر هو بذلك أولاً، وإلا لن أبادر بشيء وإن مرت سنوات وبقينا على هذا الحال، أعترف أنني لست جريئة في الحب.

___ أنت صبورة جداً! أنا لا أستطيع ألا أقابل مسعود يوماً واحداً، نتحدث في الهاتف بالساعات، وأنت تكثفين بالنظرات!

تكلّما وفضفضا بما في قلوبهما حتى مرّت الساعات بسرعة.

___ جودي يجب أن أذهب لقد تأخرت وأبي سوف يغضب مني، اتفقت معه ألا أتأخر.

___ حسناً يا حبيبتي، سعدت جداً بلقائك اليوم.

قامت رزان تستعد للخروج لولا أنها رأت على تسريحة جذوة عطرها الضائع.. أخذت العطر وتفحصته بارتياح، إنه هو! العطر ذاته، غطاؤه مكسور من الجنب ذات الكسرة! قالت مُستكرة حقيقة لا تريد أن تصدقها:

___ ما هذا يا جودي؟ أهذا عطري الذي بحثت عنه ولم أجده؟

ارتبكت جذوة بشدة وتلاحقت الأفكار في عقلها، تريد أن تقول كذبة منطقية سريعة تبرر بها موقفها، فكرت أن تقول لها أن هذا عطرها الخاص، وأنها اشتريته أمس، لكن كيف ستقنعها أن غطاء

انكسر بالطريقة ذاتها؟ وكيف ستقنعها أن زجاجة العطر على وشك أن تفرغ في يوم واحد فقط؟

___ لماذا ارتبكتِ هكذا؟ هل سرقت عطري يا جودي؟

___ سرقته؟! هل أنت مجنونة كي تتهميني بشيء كهذا؟

أتتهميني بالسرقة؟

___ لا أتهمك، أنا أسألك سؤالاً واضحاً أريد أن أسمع إجابته،

ماذا يفعل عطري على تسريحتك؟

___ لقد.. لقد وجدته، نعم لقد وجدته في حقيبة ملابسي، أنت

وضعتيه في حقيبتي عن طريق الخطأ، كنت سوف أعطيك إياه لولا أنني نسيت.

___ أنا وضعتيه في حقيبتك؟ لا لم يحدث!

___ بلى.. وضعتيه بيدك في حقيبتي، لقد رأيتك تضعينه ولكنني

لم أبال، لم أدقق في الأمر.. ولكنني عندما فتحت الحقيبة تذكرت الأمر و...

قاطعتها رزان وقالت بغضب:

___ جودي، لا تكذبي عليّ، أنت تقولين أنني فعلت أشياء لم

أفعلها، هل أعاني من انفصام في الشخصية كي أصدق أنني وضعت

عطري في حقيبتك بيدي؟ لا تكذبي كذبة مكشوفة كهذه يا جودي..
لا تفعلي.

___ لا أكذب يا روزا صدقيني هذا ما حدث.

___ هل أصدقك وأكذب نفسي يا جودي؟ قولي كلاماً معقولاً!

___ روزا أنت حرة إذا صدقتيني أو لا ولكن هذه هي الحقيقة،

ربما كنتِ شاردة وأنت تضعينه في حقيبتني، ربما كنتِ تفكرين في
راغب أو شيء من هذا القبيل، لا تتهميني بالسرقة يا روزا وإلا لن
أسامحك، إنه اتهام خطير لو تعلمين.

وضعت روزا العطر في حقيبته يدها وقالت:

___ سأحاول أن أتغاضى عما حدث وأنساه تماماً كي لا أخسرك..

سلام.



(١٣)

كان صباح الجمعة الذي تقدّسه روزا معكراً هذا الأسبوع، كيف ستقابل جذوة بعد أن شكّت أنها سارقة؟ هي وجذوة أصدقاء منذ نعومة أظافرهما، ولطالما شاركتها أحزانها وأفراحها وحياتها، لماذا تقدم على فعل بشع كأن تسرق عطرها؟ لو أعجبها وصارحتها بذلك لأهدتها العطر دون تردد، أو ربما اشترت لها عطراً خاصاً بها كهدية من صديقة وقريبة عزيزة.. لم تلاحظ أنها سرقت منها أي شيء من قبل، فلماذا الآن؟ كانت تراها تبحث عنه في كل مكان دون أن تتبس ببنت شفه، والآن تدعي أنها وضعته بيدها في حقيبتها، كذب مفضوح ومكشوف للغبي، وهي ليست غبية إلى هذا الحد: «لماذا يا جودي؟!»

تعكر مزاجها ولم تعد تعرف كيف ستقابلها اليوم؟! كيف ستعاملها بودّ كما اعتادت دائماً؟! هناك ملاك رحيم يقبع في قلبها يحثّها على الغفران، تشعر أنها رغم هذا الفعل الذي عكر صفو علاقتهم، تستطيع أن تغفر وتنسى، لم تكن تعلم أن اليوم سوف يكون عسيراً على الجميع.



تجمعن النساء والفتايات- كعادتهن الأسبوعية- في بيت العائلة، في طنطا. استقبلا اليوم ببشاشة وسعادة، لم يتوقعا أن كل شيء

سوف يتغير اليوم، اجتمعت النساء في غرفتهن وبدأن يفضفن
ويثرثن، قالت طائفة:

__ لقد كنت أطيعه في كل شيء وما زلت. يقول لي افعلي، فأفعل
دون أن أسأل.. اطبخي واغسلي ودلكي ظهري واكوي ملابسي إلى
آخره من طلبات الأزواج، أفعل كل شيء دون أن أمتعض، هكذا علمتني
أمي.

قالت راجية:

__ كنت أفعل مثلك، ولكن الفرق بيني وبينك يا طائفة أنني لا
أطيعه إلى هذا الحد، كنت أتحايل عليه كي لا أنفذ ما لا أريده من
الطلبات المستمرة، أحياناً أقول أنني متعبة، أو أريد أن أنام، أو أتججج
بألم في ظهري، ربما شعر أنني عجوز لهذا السبب، لست نشيطة
مثلك، ولكن هذا ليس مبرراً كي ينظر إلى نساء غيري! انظري ماذا
فعلت الطاعة.. تطيعين زوجك ويفكر بالزواج بغيرك! إذن لا فرق،
ولكنني لا أعصيه بشكل صريح.

قالت صالحة:

__ وأنا أعيش مع صنم من أيام الكفار! يجب أن نطيع أوامره
ونتذلل له ونقدم له القرابين دون أن نسمع صوته! لا يتكلم أبداً كأن
هناك وحش أسطوري أكل لسانه وذهب بعيداً.. وإذا تكلمت يشير لي

بيديه أن اخرسى، حتى كلمة «اخرسى» يقولها بالإشارة ولا ينطق بها؛
لهذا الحد هو صامت! إله الصمت.

قالت طائعة:

— ليس بيدي حيلة.. سافر ولم يعد.. سأنتظره، ولكنني خائفة
أن يكون قد تزوج دون أن أعلم.

قالت سالحة:

— ما هذه الطيبة يا طائعة؟! لا تكوني غبية، لا بد أن نتمرد على
كل هذا، أمنا- رحمها الله- نصحتنا بأن نؤلهم.. نعبدهم، نساق
وراءهم كالخرفان، وهذه هي النتيجة، يجب أن يعرفوا أننا نستطيع
أن نتركهم في أي لحظة.

قالت راجية:

— الحق معك يا سالحة، لا بد أن نشعرهم بالخطر.. نهدهم
بأننا يمكننا أن نقلب الآية ونتركهم ونترك أولادنا ونذهب، يمكننا أن
نعيش حياتنا نحن، لا حياتهم هم..

قالت طائعة بخوف:

— وهل يعقل أن نفعل ذلك؟ لا يمكنني أن أترك ابنتي..

قالت صالحة:

— لن نتركهم، سوف نهددهم بذلك فقط، إما أن يلبوا طلباتنا أو أن يخلوا سبيلنا. إما أن يعاملني كما كان يعاملني منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، وإما أن يطلقني لأعيش حياتي وأستمتع بها! لقد مللت.. أشعر أنني ميتة، أريد أن أشعر بالحب والشوق واللهفة، أريد أن أشعر أنني أنثى ولست سيدة عجوزاً سوف تموت في أي لحظة!

هكذا عبرن عن غضبهن، اتفقن على التمرد. اتفقن أن يلجأن لأسلوب التهديد والوعيد. اتفقن أن يتغيرن ويتوحشن ويطالبن أزواجهن بالتغيير من أجلهن، وإلا سوف يتخلين عن كل شيء ويرحلن، لقد نفذن وصية أمهن- رحمها الله- بالحرف، والنتيجة أن حياتهن أصبحت بالية لا تُعاش؛ لذلك سوف يجربن أساليب أخرى ولا يوجد ما يخسرونه، علاقاتهن بأزواجهن ليست على ما يرام، فليخضع الأزواج لطلباتهن، وإما لتكن الثورة.



كانت الفتايات في غرفتهن ينظرن إلى علبة صغيرة بيد مهیضة، بها خاتم، قالت مهیضة بحماس والفرحة تلمع في عينيها:

— لم أصدق نفسي يا بنات! كنت أشتري الحلوى من البقال المجاور، وجدت راغب يقترب مني فجأة! كانت حقيبتني مفتوحة، كنت

سوف أخرج منها النقود لأعطيها للبائع، استغل الفرصة ودسّ اللعبة في الحقيبة وهمس لي: «هذه من أجل روزا» ثم هرب! اختفى فجأة.

انبهرت رزان بالحدث الجلل، دق قلبها كما الطبل في فرح شعبي، شعرت بقشعريرة تسري في جسدها ورعشة تعتري صوتها:

___ كنت متأكدة أنه يحبني.. لا تتخيلي مدى سعادتي! هذه أعلى هدية على قلبي منذ خلقت إلى الآن!

___ لا تفرحي إلى هذه الدرجة حفاظاً على صحتك يا فتاة، ستموتين من فرط السعادة. قالتها مهيضة ضاحكة.

أخذت رزان الخاتم وجلست تتأمله وتقبله وتحضنه، لم يكن الخاتم ذهباً ولم يكن فضة. كان خاتماً رخيصاً، لكنه لم يكن كذلك في عينيها، كان تقليداً لخواتم الماس التي يهديها الأثرياء لحبيباتهم ليطلبن منهن الزواج، به فص زجاجي كبير يلمع في الضوء. قالت جذوة مبتسمة:

___ مبارك عليك يا روزا، إنه جميل، واضح أن راغب يحبك فعلاً، أعطني الخاتم أريد أن أراه عن قرب.

أعطتها روزا الخاتم شاعرة بملاك الغفران يقول لها: «أنتما ما زلتما أصدقاء، من منا لا يرتكب الأخطاء؟»

لبسته جذوة لتجربه على يديها، ثم خلعتة ومسكت بيديها الفص
الزجاجي وشدته.. فانكسر، صرخت رزان وخطفت الخاتم من يديها
وظلت تبحث عن الفص تحت السرير وعلى الأرض.

قالت جذوة متصنعة الأسف:

__ أسفة! لم أقصد أن أكسره يا روزا، إنه خاتم رديء جداً..
كنت أتحسس الفص فقط ولكنه غير مثبت جيداً.

صرخت روزا في وجهها:

__ اخرسي يا جودي لا أريد أن أسمع صوتك، لا أريد أن أراك
أمامي بعد اليوم، في البداية سرقتي عطري وتغاضيت عن هذا الأمر،
والآن تكسرين هدية راغب عنوة! أنت إنسانة قبيحة من الداخل.

خفق قلب مهیضة وأخافها الصراخ، خافت أيضاً أن تنتزع علاقة
رزان بجذوة، فقالت محاولة لتلطيف الجو:

__ اهدأن يا بنات، روزا سوف أصلح لك الخاتم، يمكننا أن
نلصق الفص مرة أخرى، لا تحزني، جذوة لا تلمسي الخاتم مرة
أخرى.. أرجوك، إنه هدية غالية على قلب روزا. قدرني موقفها، لو
أهداك مسعود الخاتم وكُسر سوف تغضبين مثلها.

___ لم أقصد يا ماهي أن أكسره، لم أكن أعرف أن الفص مثبت على شعرة! واضح أنه رخيص جداً ورديء.

صرخت روزا بغضب:

___ لا تقولي على الخاتم رديئاً، ليس المهم كم سعره؟ المهم أنه هدية من شخص غال على قلبي، أنت حقودة وأنانية، أكرهك يا جودي.

___ تكرهيني؟ من أجل خاتم يا روزا؟

___ بل من أجل ما تُسرِّين يا جودي، كنت دائماً أشعر أن هناك شيء ما، أشعر أن هناك لؤم ما في نظراتك، أشعر بك تحترقين من الداخل عندما يمدحونني إذا نجحت في اختبار أو ارتديت ملابس جميلة أو فعلت أي شيء يستحق المدح، لكنني كنت أكذب نفسي وأقول صديقتي وقريبتي لا يمكن أن تغار مني أو تحقد عليّ أو تؤذيني.. أما وقد بدأت تسرقين ممتلكاتي؟ أما وقد كسرت الخاتم وأنت تدرين أنه أغلى هدية على قلبي؟ فهذه تصرفات لا تُغفّر ولا يمكن أن تمر مرور الكرام، لقد تماديت كثيراً، أنت مريضة نفسياً ومجنونة.

___ كفى يا فتايات لا تتكلمن وقت الغضب فتتدمن بعدها، كفى يا روزا، اهدأن..

___ مسعود يتصل بي، سوف أدخل لأحدثه في الشرفة ريثما تهدأ
روزا هانم.

دخلت جذوة الشرفة لترد على اتصال مسعود، بينما حاولت
مهيضة أن تهدئ رزان وتخفف عنها:

___ لا تحزني يا حبيبتي، تصليح الخاتم أمر بسيط جداً، سوف
يعود كما كان، أعدك بذلك.

قالت رزان بتوتر شديد:

___ ألا تلاحظين أنها كسرتة عنوة؟ كيف تكسر هدية تعرف أنها
غالية على قلبي؟ كيف؟

___ مستحيل يا رزان، جذوة لا تفعل شيئاً كهذا!

___ هل تعلمين أنها سرقت عطري؟ لقد وجدته على تسريحتها
في منزلها في القاهرة!

___ هل يعقل هذا؟ هل أنت متأكدة أنها سرقتة؟

___ قولي لي كيف وصل إلى تسريحتها في القاهرة؟ اقنعيني،
ألم أبحث عنه أمامك في المنزل كله ولم أجده؟ كانت تتفرج علينا في
صمت، لم تعلق ولم تقل أي شيء والعطر في حقيبتها. ثم تقول أنني
أنا من وضعته في حقيبتها بيدي.

___ ماذا؟ ما هذا الهراء! لا يعقل طبعاً..

___ إنها لثيِّمة، لقد اكتشفت ذلك، كنت أكذب نفسي طوال الوقت، ولكن عندما ظهر راغب.. أو بشكل أدق، عندما بدأت أعلن صراحةً أنني أحب راغب، بدأت تتغير معي.. بدأت تفقد عقلها!

___ لماذا؟

___ لا أعلم! ربما لا تحب لي الخير، لا تريدني أن أحب وأرتبط.

___ ولكن لديها حبيبها مسعود!

___ لا أعلم.. أنا حقاً لا أفهمها، كنت سوف أسامحها لأنها سرقت العطر؛ لكنني- وبعد الآن- لا أستطيع أن أفعل.

على الجانب الآخر كانت جذوة تبكي، وتشكي همها لمسعود:

___ لقد اتهمتني بالسرقة، هل تتخيل ذلك؟ وتتهمني أنني أغار

منها! هل يعقل ذلك يا مسعود؟

___ كيف تغارين وأنت الأجل على الإطلاق؟ أنا أثق بك يا

حبيبتي، دعيها وشأنها، هي ستخسر قلبك، وسوف أملكه أنا.. لا تبكي يا جذوة، أغمضي عينيك.

___ أغمضتها.

___ أنا أمسح دموعك الآن، وأضمك إلى صدري.

___ أحبك.

___ أحبك!

___ مسعود.. سوف أقول لك كلاماً ربما تجده غريباً، ثمّة إحساس يخالج قلبي دائماً أريد أن أشاركك إياه، ربما كان لديك علاج له، أنا أشعر بنار تشتعل بداخلي، شعلات صغيرة وكثيرة تنهش لحمي، أشعر أن تلك الشعلات سوف تزيد! أخاف أن تزيد وتحرقني! أنا خائفة يا مسعود.. ولا أجد أماناً في هذا العالم غير صدرك!

خرجت جذوة من الشرفة لتجد رزان ومهيضة قد كُفّا عن الحديث؛ كي لا تسمع كلامهما. نظرت إلى رزان نظرة المظلوم للجلاد، وخرجت إلى الصالة الخارجية لتجد ذكاء وفتنة مستغرقتين في تصفح الفيس بوك على جوالهما.

___ علميني يا ذكاء كيف يكون لي حساب على الفيس بوك؟

أشعر باكتئاب شديد وأريد أن أضيع وقتي.

___ حسناً يا حبيبتي.. أعطني جوالك.

___ كيف حالك أيتها المطلقة الفاتنة؟

ردت عليها فتنة ببرود:

— حالي خير من حالك أيتها العانس القبيحة.

شعرت جذوة أن عدد الشعلات الحارقة الصغيرة بداخلها قد ازدادت واحدة.

دخلت الفتاتان- مهیضة ورزان- ليجلسا في الشرفة خوفاً أن يصل صوتهما لجذوة في الصالة، وبينما كانا يناقشان مشكلة رزان مع جذوة، اتصل مالك بمهیضة. استجابت لمكالمته فصدمت من صوته الصارخ المليء بالغضب المحقون:

— ادخلي غرفتك الآن وأغلقي باب الشرفة وإلا سأخسرك، ولن أعود إليك يا ماهي، ما هذا الاستهتار وقلة الأدب! تجلسين في الشرفة وشعرك مكشوف وكل الرجال والشباب لو نظروا للشرفة لرأوك!
قالت حابسة دموعها:

— أنا مع رزان يا مالك، لا أريد أن أدخل الآن كي لا نسمعنا جودي، نتكلم في أمر مهم.

— سوف أتركك لو لم تفعلني، أفضلين رزان وكلامها عليّ؟

— هل تهددني بتركك لي يا مالك؟ هل تستطيع أن تتركني بهذه البساطة من أجل تفاهات؟

___ هل تعريِّك في الشارع تفاهات؟

___ مالك انتبه لكلامك، هل أنا عارية أمامك؟ لا أسمح لك أن..

لم يسمع بقية كلامها، أغلق الخط.. نظرت إلى هاتفها غير مُصدِّقة أنه فعلها! هل تركها؟ بكت كثيراً بعدها، واتصلت به كثيراً داهسة على كرامتها بجذائها، لكنه- برغم ذلك- لم يجب!



أول ما فعلته بعد إنشاء حساب باسمها على الفيس بوك أنها بحثت عن مسعود عبدالحى، لم تجده بسهولة، لكنها صممت أن تفعل، تعرّفت على حسابه من صورته الشخصية، دخلت على صفحته الشخصية وبدأت تقرأ تعليقات أصدقائه على صورته ومنشوراته، لفت نظرها فتاة اسمها رغد، تُعلِّق على صورته كلها بشكل مبالغ فيه. كانت تعليقاتها من نوع «أنت وسيم، جميل جداً، أحلى شاب.. إلخ» شكت أنها أخته، ولكنها تذكرت أنه قال لها أنه وحيد أمه وأبيه، إذن من تكون يا ترى؟ ربما هي ابنة خالته أو ابنة عمه؟ حتى لو كانت كذلك، هذا لا يعطيها الحق أن تغارله بهذا الشكل، وتمدح في جماله ووسامته علانية بدون خجل، بحثت عن أي رد له عليها حتى وجدت بعض الردود، كان يتقبل كل كلامها بسعة صدر، حاولت أن تكذب ظنونها، هو يحبها وهي تحبه، لن يستطيع أن يحب اثنتين في وقت

واحد، هي أيضاً لديها طريقة متحررة في الحديث مع أقاربها الشباب، هذا لا يعني أنها تخونه أو تحب غيره، ارتاحت لهذا الاحتمال أكثر، تذكرت أن محب وذكاء سيتزوجان قريباً، أما فتنة فاحتمالية أنها تتزوج كانت ضعيفة جداً، لؤي أرسل لها ورقة طلاقها، لن يتقدم أحد لخطبتها الآن، وخاصةً إذا عُرِفَ أنها تزوجت بدون رضا أهلها. ماذا لو طلبت من مسعود الزواج؟ سوف تفعل ذلك، يجب أن تتزوج من حبيبها لتموت فتنة قهراً، وتثبت لأمها ولرزان ولذكاء أنها مرغوبة، وتثبت للعالم أجمع أنها جميلة وهناك من يحبها بصدق، سوف تتزوج ربما قبل ذكاء وقبل محب، قررت أن تتصل بمسعود الآن وتخبره عما فكرت فيه وتحسم الأمر فقال:

___ جذوة، أنا أعشقتك، أعشقتك بجنون، لم أعشق سواك ولم أشعر بأحد غيرك، أشعر أنك تجرين في دمي، لا أتخيل حياتي بدونك.

___ أنا أيضاً أحبك يا مسعود، أحبك جداً لذلك قررت أن نتزوج في أسرع وقت.

___ جذوة.. أعشقتك، ولكنني لن أتزوجك.

شعرت أنه يمزح، ضحكت ضحكة مخلوطة بالخوف:

___ ولماذا لن نتزوجني طالما أنك تعشقني؟ لا تمزح الآن طالما أننا

نتكلم بجدية حول مستقبل علاقتنا.

— حبيبتي.. أنا لا أمزح، لم أكن حاسماً وجاداً هكذا مثل اليوم، اسمعي، لا أريدك أن تشكّين في حبي لك لحظة واحدة، أنا لا أحب إلا أنت، أحبك وتعلمين هذا جيداً، كل ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أتزوجك.

بُهِتت جذوة، انسحب اللون من وجهها وأطرافها، برد جسدها وجلي دمه، قالت مشدوهة:

— لا أفهم، إذا كنت تحبني، لماذا لا نتزوج؟

— لأن أمي وأبي لن يوافقا يا جذوة، مهما فعلت ومهما حاولت لن يوافقا، إنهما يريدان أن أتزوج من ابنة عمي، أنا من عائلة مغلقة لها عادات وتقاليد كأنها نزلت من السماء لا أحد يستطيع أن يخرج عنها، لا نتزوج من عائلات أخرى، أحبك وأريد أن أعيش معك طوال عمري، لا أريد أن أتزوج من غيرك، كنت أتمنى ألا يجبرني أحد على الزواج بغيرك يا حبيبتي، وهذا جلّ ما يعذبني.. فكّرت كثيراً في حل لهذه المشكلة ولم أجد، لا أعرف ماذا أفعل!؟

— يجبرونك؟ هل أنت فتاة كي يجبروك على الزواج؟ أنت رجل وسيد قرارك! هل تتخلى عني بهذه البساطة؟

— مستحيل أن أتخلى عنك يا جذوة! أقسم لك بالله أنني أحبك ولو تركتيني سوف أموت. ولكنني لا أجرؤ أن أعصي أهلي، لم يفعلها

أحد في العائلة قبلي، لا أستطيع، منذ ولدت وأنا أعرف أنني سأتزوج
رغد .

___ اسمها رغد؟

___ نعم.. عائلتها سوف تخسر عائلتي، وأبي سوف يخسر عمي،
وربما وصل بهم الخلاف إلى مقاطعة أبدية، سوف يغضبون عليّ
وعلى أسرتي، لو تزوجتك سوف يعذبونك ويضطهدونك.. بينهم وبين
أعمامي عمل ومشاريع، لو غضب عمي سوف ينتهي مستقبل أبي، لا
يمكن! مستحيل أن أتزوجك! أنا أريدك.. أحبك.. لا يمكنني العيش
بدونك. ظلي معي طوال العمر يا جذوة.

___ بدون زواج؟

___ نعم، لا يهم.. الزواج لا يهم، المهم أن نظل معاً، حتى لو
تزوجت رغد سوف أترك المنزل طوال اليوم وأجلس بقربك، يمكنني أن
أستأجر منزلاً آخر تسكنين فيه وأزورك دائماً، سوف أفعل المستحيل
كي أظل بقربك. أنا لا أحب رغد، لا أحب غيرك يا جذوة.

___ سوف تفعل المستحيل؟ أنت تناقد نفسك الآن! ألا تخاطر من

أجلي؟ ألا تترك عائلتك من أجلي؟

___ لا يمكن يا جدوة، لو كنت أعرف أنهم سوف يغضبون عليّ
وحدي لفعلت، ولكن ما ذنب أبي وأمي وجميع أفراد عائلتي؟ أبي
سوف يخسر كل مشاريعه، وأمي سوف تضيع بين خلافاتنا، وأنتِ ما
ذنبك أنتِ؟ لا أستطيع أن أهدم كل من حولي يا جدوة.

قالت والدموع قد بدأت تقف صفوفاً منتظرة السماح لها
بالهطول:

___ أنت لا تحبني!

___ بلى! أحبك.. سترين أنني لن أتركك أبداً.

___ مسعود، تزوجني! أنا لست عشيقتك ولا أرضى بوضع كهذا،
أريد أن أتزوج يا مسعود، أريد أن أتزوجك أنت!
قال باكياً:

___ لن أستطيع! سامحيني..

___ أهذا آخر كلام لديك؟

___ للأسف، نعم.

___ مسعود، لا تستعجل الإجابة، فكر، سأسألك مرة أخرى،
أهذا آخر كلام لديك؟

— نعم..

أنهت جذوة المكالمة وارتمت على الأريكة، سمحت للدموع بالهطول، وسمحت لليأس بنهش لحمها.

— جذوة ما بك؟ جذوة ردي عليّ!

قالتها ذكاء عندما وجدتها منهاره، لم تستطع أن تتطرق بكلمة، ظلت تبكي دون أن يصدر منها صوت حتى صار وجهها بلون رمانه دمويّة، وعينيها بلون حبتي فراولة ناضجتين، ارتعشت أطرافها وازرورقت ثم أغمضت عينيها وغابت عن الوعي، التقت النساء حولها يصرخن ويتسألن: «ماذا حدث؟!»، حتى أفاقت، سألتها راجية باكية: «ماذا أصابك يا ابنتي؟» لم تتلق إجابة. سألت البنات: «هل حدث شيء لا أعرفه؟» فهززن رأسهن بالنفي، خافت رزان أن يكون خلافهما والمشادة الكلامية التي حدثت بينهما هي السبب في حزن جذوة، أنبأ ضميرها وشعرت بالندم، شعرت أنها كانت قاسية في رد فعلها، ثم بدأت تشك في نفسها. ربما وضعت العطر في حقيبة جذوة بيديها ذات شرود! ربما جذوة لم تكسر الخاتم عمداً. لا يهم كل ذلك الآن، المهم أن تكون جذوة بخير ولا يصيبها مكروه، جلست بجانبها وطبّطبت على كتفيها، احتضنتها ثم قبلت جبينها، سألتها: «ما بك؟» ولكن دموع جذوة بدأت في الجريان على ضفاف خديها من جديد! سألتها مهيضة: «لماذا تبكين يا حبيبتى؟» فتعالت التهديدات

وبدأت في النشيج، ظلت حوالي عشر دقائق تنتحب بحرقه.. تصرخ
ألمًا وتتأوه، استجمعت الحروف الهاربة ونطقت غير عابئة أن أمها
وخالاتها متواجدات وسيسمعن ما تقول:

— لقد تركني! لن يتزوجني.. الأمان الذي وجدته لم يعد
موجودًا، الحب الذي نزل هدية من السماء لم يعد من حقي، دعوت
الله مرارًا ألا يموت، ترجيت الله ألا يأخذه مني، صليت من أجل
ذلك، لئيه مات قبل أن يتخلى عني. لئتك مت يا مسعود، لئتك مت!
آه من جرح يدمي قلبي ويحرقني، آه من غدر لم أتوقعه من أقرب
الناس إليّ.

صدمت راجية، وبهتت طائعة وصالحة، تساءلن: «من مسعود؟»
فلم تجب، ظلت تبكي حتى جفت دموعها فسكتت ولم تعد تتطق
بحرف، ظلّت شاردة مستسلمة لأيدي خالاتها المداوية بغير رجي..
قالت مهيضة:

— إنه شاب أحبته وأحبها من فترة ليست طويلة، لا أعلم ماذا
حدث؟! من الواضح أنه تركها.
قالت راجية:

— جودي يا حبيبتي، صارحيني أرجوك.. أنا أمك.. هل حدث
بينكما شيء؟

هزت جذوة رأسها نافية، فاطمأنت راجية وضمتها إلى صدرها
وقالت:

— لا يهملك يا حبيبتي، سوف أزوجك سيد سيده، لا تهتمي ولا
تحزني، حسبنا الله ونعم الوكيل.

قالت جذوة بصوت واهن ضعيف:

— أحبه يا أمي، لم أحب غيره، ولم يحبني غيره.

مسحت دموعها فجأة وحاولت أن تكف عن البكاء، وقالت بغضب
مغلّف بالحقد والجرح:

— ولكنني سأنتقم منه، سأجعله يندم أنه تركني.

ثم ما لبثت أن بكت بوهن قائلة:

— أنا أحبه يا أمي! أنا أموت.. قلبي يؤلمني، روعي تحرقني.

بكت راجية، وغفّت جذوة بين ذراعيها..



___ ما أنت؟

___ أنا الزقوم.. شجرة أهل النار.

___ لماذا أتيت؟

___ أنا لم آت إليك، أنت من جئت إليّ يا جذوة.

___ أنا؟ كيف؟ متى؟

___ أنت جزء مني، قطعة مني.. لا يمكنك الابتعاد عني كثيراً،

افعلي ما شئت وسوف تأتين إليّ في النهاية.

___ ولكنك تستعيرين، لو اقتربت منك ستحرقيني.

___ لا يمكنني أن أحرقك.. لا تحرق النار ناراً يا جذوة، اختبري

ذلك بنفسك، اقتربي مني. تعال..

___ لا.. لا أريد أن أنتمي لعالمك.

___ أنت خلقت من عالمي، أنت أنا.. تعالي، اقتربي..

استيقظت جذوة صارخة من فرط الرعب. تعرقت وشعرت

بجراتها ترتفع، وما لبثت أن هدأت عندما استوعبت أن ما رآته

مجرد كابوس.

___ ماذا بك يا ابنتي؟ هل رأيت كابوساً؟

— نعم يا أمي، رأيت شجرة الزقوم.

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! قومي يا حبيبتي صلّ الفجر
ونامي.. ادع الله أن يزيل همك.

قامت جذوة وتوضأت وصلت ثم جلست على سجادة الصلاة،
ما زالت خائفة من الكابوس الذي رآته، لم تشعر أنه مجرد كابوس،
شعرت أنه تحذير إلهي، يجب أن تتقرب من الله، ربما كان هذا الحلم
بمثابة تحذير من الله لأنها لم تصل بانتظام طوال حياتها، دعت
الله أن يسامحها على كل ذنوبها، ووعدته أنها لن تسرق مرة أخرى،
ابتداءً من هذه اللحظة، لن تدع أي رجل يلمسها إلا زوجها المستقبلي،
وسوف تتحجب ولن تخلع الحجاب أبداً، دعت الله مكسورة ذليلة
وتمنت أن يستجيب لها ويقبل توبتها عن جميع ذنوبها.. نامت شاعرة
بطمأنينة لم تشعر بها من قبل. ومع طلعة الشمس، نسيت جذوة كل
وعودها له.. لله.



أنا النار التي سوف تلتهم أعشابكم ،
سوف أحيل اخضرار قلوبكم إلى سواد ،
سوف أجعلكم تحضرون جنازاتكم بأجسادكم ،
تنظرون من تحت التراب إلى رماد أرواحكم ،
أنا الحريق الذي سينشب في ملابسكم ؛
ليحرق جلودكم ويحرق البلاد .
لن أدعكم تتراقصون على جثتي ،
لن أدعكم تضحكون والدمع يسكن أحداقي ،
سوف يلهبكم حريقي وسوف يُصهر اللهب أدمغتكم .

بعد عدة أشهر..

obeikandi.com

(١٤)

ازدحمت القاعة بالحضور، زين الورد الأبيض الأركان والجدران،
فُرشت الأرض بالسجاد الأحمر المزركش بالورود الذهبية، كَسَت
الطاولات الأقمشة الحريرية، والساتان الأبيض، تتناقل الكؤوس
المليئة بالشربات والعصائر بين الطاولات، جلبه الحاضرين مسموعة
بالرغم من صوت الموسيقى العالي. معظم الرجال والشباب اختاروا
أن يرتدوا بذات سوداء وقمصان بيضاء، أما النساء فقد ارتدين
فساتين ذات ألوان مبهجة، كان عرساً مزدوجاً، وفرحتين مجتمعتين
في ليلة واحدة.. فقد قرر محب أن يعقد قرانه على مرام يوم زواج
ذكاء من ثري، شجعت راجية هذا القرار بشدة، ووافقت عليه ذكاء
بصدر رحب، فُتح باب كبير يتوسط القاعة وبدأت المزامير تهز
الأرجاء، ترقّب الحاضرون ظهور الزوجين حتى أقبلا في طلة بهية
لها جلال الجمال، انبهر الحضور بجمال العروسين، خاصة مرام،
كانت كأميرة اعتادت الكمال وتشربت بالجمال المُطعم بالدلال والغنج،
توقفت المزامير عن الهجر بالفرح، وسكتت الطبول متيحة الساحة
لنغمات الأغاني الجديدة. توسّط معظم الحضور القاعة ورقصوا حدّ
التعب، بينما جلس بقية الحضور مكتفين بالمشاهدة من بعيد، ومراقبة
الناس، في العرس، لن تستطيع أن تُفرّق بين مُحجّبة وغير محجّبة،
كلتاهما يهزّان وسطيهما ويرقصان بهسيرية إلا قليلاً، لن تستطيع-

أيضاً- أن تفهم لماذا يحملون العرسان ويتلقفوهما كما لو كانا كرات طائفة جلبوها للتسلية وتمضية الوقت، كان العرس صاخباً، مزحوماً بالراقصين، والتائهين.. ومحقوقاً بدموع جذوة التي لم تستطع أن تنسى مسعود للحظة واحدة حتى الآن، هو أيضاً لا يعطيها فرصة جادة لتتساه، كلما شعر أنها سوف تُشفى منه أرسل لها رسالة تحمل معنيين، كلما شعر أنها سوف تستسلم وتبتعد رمى لها طُعماً حتى تعود راحة، ترجته أن يعودا كما كانا ولكنه جبن، لا يمكنه أن يكون لها، ولا يريد أن تصبح لغيره! بكت بحرقة أمام مرآة دورة المياه التابعة للقاعة، كان من الممكن أن يكون هذا العرس عرسها أيضاً، إذا وافق مسعود أن يتزوجها، الليلة، كانت سوف تصبح زوجة له، لكنه تخلى عنها وعن حبه. أدار ظهره لها وذهب بهذه البساطة! غسلت وجهها الباهت عديم اللون، وضعت بعض مساحيق التجميل علّها تسترجع نضارتها، ثم خرجت مستعيدة ابتسامتها الزائفة، وعنادها الحقيقي، جلست بجانب فتنة وقالت لها بصوت عال لتسمعها رغم صخب الأغاني:

___ كلهم سعداء، أما نحن فمثلنا مثل العجائز، نجلس ونراقب هذا وذاك ولا نفعل شيئاً.

___ تكلمي عن نفسك يا جودي، أنا مستمتعة بوقتي.. العرس رائع وذكاء ومحِب في قمة الجمال.

___ مستمتعة بوقتك؟ وهل المطلقات يستمتعن مثلنا؟

___ لماذا تصممين أن تخربي علاقتنا يا جودي؟ هل ستعايريني

طوال العمر بكلمة مطلقة؟ ما رأيك أن هذا الشاب.. هذا الذي يجلس

بجانب أمه على الطاولة التي على يسارك، معجب بي؟

ضحكت جذوة بسخرية:

___ لا تقلقي، عندما يعرف أنك مطلقة سوف يصرف نظره عنك

ويفر هارباً.

___ سوف أقوم لأرقص وأتركك هكذا وحيدة كالبهاء، الكلام

معك لا يفيد.

ظلت جذوة وحدها على الطاولة تنتظر لذكاء تارة ولمرام تارة،

ذكاء التي لطالما جرحتها بكلامها تعيش أسعد لحظات حياتها الآن،

ومرام ابتداء من هذه الليلة، سوف تعيش معهم في المنزل: «تبا لك

يا مُحِبِّ لِمَ تتزوج وتبلينا بمصيبة جديدة؟ هل انتهيت من كيد ذكاء

وفتنة لتجلب لي أنثى كقيادة أخرى؟»، تلك الفتاة المدعوة مرام سرقت

أخاها الوحيد منها، سرقت قلبه، سوف تنافسها على حبه من الآن

فصاعداً، أما هي.. فقد تركها مسعود وتزوج من ابنة عمه كي لا

يغضب أهله، تخلى عنها، ولكنه يعلّقها بخيط عنكبوتي رفيع حتى لا

تتساه. تلك هي أنانية الرجال، يريدون الاستحواذ على جميع النساء

دفعه واحده، كيف يعشقها بجنون ويقوى على فراقها؟ يعلّقها به ويشبع منها ثم يتزوج من غيرها، يقول (أحبك) لاثنتين ويصمم أنه صادق مع كليهما! وهل يمكن لقلب بشر أن يحب اثنتين؟ ولكنها سوف تجعله يندم ندماً شديداً، كيف؟ هي لا تعلم حتى الآن، لا تعلم ماذا يجب أن تفعل؟ ولكنها تريد أن تتزوج، سوف تتزوج لتثبت للعالم أجمع أنها مرغوب فيها، لا بد أن تعذبه وتجرحه بنفس سلاحه، طالما أنه تزوج، ستتزوج، سوف تهدم خيوطه العنكبوتية العالقة بها، ستجعله يموت غيرة وتعاساً، قامت ورقصت غير عابئة بمن حولها، تخيّلت أن القاعة خالية إلا منها، أغمضت عينيها وأخذت تدور وتدور. تخيلت أنها مرتدية فستان عرس أبيض له ذيل طويل، تبسّمت، وتخيّلت بذلة سوداء تقترب منها وتشاركها الرقص.



بعد أسبوع واحد من عرس محب وذكاء، كانت مهیضة تُزفّ على مالك في طنطا، كان مالك يحب مهیضة، يشعر أنها ملكية خاصة له، إذا استطاع أن يخبئها كي لا يراها أحد، سوف يفعل، يغضب غضباً شديداً إذا دخلت الشرفة مع أصدقائها، يعلم أن الشباب لو رأوها سيعجبون بها.. بجمالها، هذا الخاطر كان كافياً لجعله يغار كالمجنون، ربما كان يغار من أصدقائها أيضاً، يود أن يمتلك قلبها فلا يدق إلا له، يود أن يسرق عقلها فلا تفكّر إلا فيه، ولا تهتم إلا به؛

لذلك ففكر جيداً، وأعاد حساباته، قرر أن يضع لمشاكلهما المتكررة وخصامهما حداً، لا يريد أن تياس من حبه فتختار أن تبعد عنه، يجب أن يمتلكها ويضمنها معه ليريح رأسه من التفكير، وقلبه من الغيرة والعذاب، عندما يكون زوجها سوف يستطيع أن يتحكم فيها وفق إرادته، وبدون أن تقوى على الاعتراض، ستطيع أوامره رغماً عن أنفسها، سوف تعيش في منزله؛ لذلك وجب عليها أن تنفذ قوانينه، قرر أن يطلبها للزواج، وافقت طائفة فرحة بابنتها الوحيدة، أخبرت زوجها بموعد العرس من باب العلم بالشيء، حضر ظافر عرس ابنته كما يحضر الغريب للمجاملة، قبل جبينها وجلس بين الحضور محاولاً الابتعاد عن أماكن تواجد طائفة، كان ظافر قد تزوج بامرأة أخرى، منذ عدة أشهر، وكانت زوجته الثانية حاملاً في طفلة، أمرها ألا تحضر عرس ابنته خوفاً من المشاكل، خاصة أن هذه الليلة ليلة مقدسة بالنسبة لطائفة وبالنسبة لابنته، يعرف جيداً أنه جرح طائفة مرتين. الأولى عندما أعلمها بزواجه من امرأة أخرى، والثانية عندما صارحها بالسبب الذي جعله يفعل ذلك، أخبرها أنه يريد ولداً، وأنها معيوبة، لا تتجب ذكوراً، أنجبت له مهيضة ولم تحمل من بعدها، قال لها: «لقد أصبحت أرضاً بوراً، أنت كالصحراء لا حياة فيك، والدليل أنني عندما تزوجت حملت زوجتي بسرعة، إذن كان العيب منك، كنت دائماً على حق». كان كلامه كالسكاكين الباردة تقطع لحمها بتأني..

رويداً رويداً، لم تستطع أن تعترض على كلامه، لم تستطع أن تتهمه بأي شيء، استسلمت للسكاكين الذابحة، والآلام المبرحة، والأوجاع المتجددة، استقبلت الوجع في صمت، ولكن الليلة هي ليلة سعادتها، ابنتها مهيضة، قرة عينها، تتزوج من شاب صالح، تمت من قلبها أن يوفقهما الله في حياتهما الزوجية. تمت ألا تعاني ابنتها مثلما عانت، ودعت الله كثيراً: «يارب.. اجعل أول خلفتها صبياً».

انشغل الحاضرون بالتهاني والباركات والرقص والأكل والنميمة، بينما انشغلت جذوة بمراقبة أحدهم عن بُعد، لم تكن تعلم أن مالك وراغب أصدقاء، كان راغب حاضراً مع مجموعة من أصدقائه المشتركين بينه وبين مالك، لاحظت جذوة أن رزان لا ترفع عينها من عليه، ظلت تراقب الأجواء بدون أن يلحظها أحد، كما يراقب الحيوان الجائع فريسته حتى يحين الوقت المناسب للهجوم والصيد، وكانت جذوة صيادة ماهرة. وكذّابة بارعة، تكذب بصدق يجعلها تنسى الحقيقة، وتجعل الحقيقة هي الكذبة التي ادّعتها، تنظر لرزان بحقد المقهورين عن ظلم، تتذكر كيف اتهمتها رزان بالسرقة، بالغيرة، وبكسر الخاتم عمداً، تتذكر كل ذلك وتغضب كالصادقين الخائفين على سمعتهم. تتذكر خالاتها وهنّ يمدحن جمال رزان وقوامها وصبابتها، ثم يستاءون من قبحها وازدياد وزنها وحجم أنفها! سوف يرون الآن الحقيقة. سوف يعلم الناس جميعاً، الآن، من الأجل بحق!

اقتربت جذوة من راغب، نظرت له، في وسط عينيه، حتى انتبه
لنظراتها مستغرباً، غمزت له وأشارت له برأسها أن يتبعها، استأذن
أصدقاءه وتبعها إلى خارج القاعة، وقفت في أحد الممرات مبتسمة
ابتسامة غواية.

___ لماذا ناديتني؟ هل رزان من أرسلتك؟

قالت له برقة متناهية، وبصوت من شدة الغنج صار كصوت طفلة
في الخامسة من عمرها:

___ رزان لا تعلم شيئاً عن هذه المقابلة. أريدك.. أقصد أريد أن
أكلمك في موضوع مهم، أعطني رقمك قبل أن يرانا أحد.

أعطائها الرقم متعجباً، ترى ماذا تريد؟ هل هي معجبة بي؟
وقعت في غرامي؟ هذا أغلب الظن، ولكنها جذابة! كيف لم ألاحظ
وجودها من قبل؟

لم تنتظر جذوة أكثر من خمس دقائق حتى أرسلت له: «لو لم تكن
لرزان، كنت سأسرقك من نفسك.. كنت سأخذك لي!»

اندesh راغب من جرأتها وجنونها! كيف تجرؤ أن ترسل له
رسالة كهذه؟ جذابة ومجنونة ونظرتها قاتلة! هل يرد عليها؟ ورزان؟
لو عرفت رزان بالأمر لخسرها، ماذا لو كانت رزان متفقة معها

وتختبر إخلاصه؟ حتى لو كان الأمر كذلك، سيعرف كيف يحوِّله لصالحه، يمكنه أن يقول أنه كان يعرف منذ البداية بخطتهما؛ لذلك قرر أن يلقتها درساً كي لا تكرر هذا الاختبار مرة أخرى، كلام مقنع. تردد قليلاً قبل أن يحسم الأمر ويردّ: «أنت جريئة جداً.. لست هادئة كرزان.. بل مشاغبة، وأنا أفضل المشاغبين».

ابتسمت جذوة ابتسامة النصر، لقد فعلتها، هي لا تحتاج منه أكثر من هذه الرسالة، قالت أنها سوف تنتقم ممن جرحوها، سوف تنتقم من أمها أولاً، لطالما آلمتها جسدياً ونفسياً، سوف تنتقم من ذكاء وفتنة اللتين جلداهما بكلامهما الساخر. سوف تنتقم من مسعود الذي تخلى عنها وتزوج من فتاة لا يحبها فقط من أجل الابتعاد عن المشاكل، سوف تنتقم من رزان التي اتهمتها بالسرقة، إذا فعلت ذلك، لن يجرواً أحد أن يحزنها مرة أخرى، يجب عليهم جميعاً أن يفكروا ألف مرة قبل أن يؤذوها بالأقول أو بالأفعال.

تمهيداً لجولة الانتقام الأولى، جلست جذوة بجوار رزان التي شعرت في تناول الطعام كغيرها من الحاضرين:

___ بالهناء والشفاء.. كيف حالك يا روزا؟

___ بخير يا حبيبتي.

___ لقد رأيت راغب.

___ نعم أعلم ذلك، إنه هنا من أجلي.

___ من أجلك؟ حسناً.

___ ماذا بك؟ لماذا تقولين ذلك؟

___ أنا مترددة يا روزا، لا أعلم هل أخبرك أم لا؟! لا أريد أن

أجرحك ولكن..

___ ماذا حدث؟ لقد أخفتيني.

___ راغب.. لا أعرف ماذا أقول؟! راغب..

___ ماذا به؟ بدأت أفقد أعصابي.. هيا قللي ماذا حدث؟

___ وجد رقمي، لا أعرف من الغبي الذي أعطاه الرقم، أرسل

لي رسالة غريبة، يتحدث عنك بطريقة غريبة يا روزا! إنه لا يحبك.

قالت رزان بغضب غير مصدقة:

___ ماذا تقولين؟ أنت كاذبة، اسمعي يا جودي.. أعرف أنك

تكيدين لي، وأن علاقتنا تدهورت ولم تعد بخير، لن أسمح لك أن

تفسدي كل شيء بألاعيبك الحمقاء.

___ كم أنت مسكينة وبلهاء! لقد أشفقت عليك، خذي جوالي

واقرئي رسالته بنفسك.

أعطتها جذوة الجوال لتقرأ الرسالة، قرأت الرسالة عشر مرات
محاولة إيجاد أي مبرر يجعله يخونها بهذه البساطة، انتزعت جذوة
الجوال من بين يديها المرتعشتين وقالت كائدة باسمه:

___ لا تهمني يا حبيبتي، الرجال كلهم هكذا. لا يملأ أعينهم غير
التراب.

___ ربما هذا رقم من أرقامك المجهولة، ربما راغب لم يرسل لك
شيئاً من الأساس!

قهقهت جذوة بخلاعة ثم قالت هازئة:

___ بسيطة.. اذهبي واسأليه.

تركته رزان دون أن ترد عليها، أعماها الغضب لدرجة أنها لم
تعد تهتم بالناس. قررت أن تذهب وتكلمه أمام أصدقائه دون أن
تكثر، انفجر الكلام من بين شفثيها مشحوناً بالغضب، ومحقوقاً
بالبكاء المتمنع:

___ أنت عديم الأخلاق، لماذا أرسلت لها هذه الرسالة؟

___ هي أرسلت لي رسالة أولاً، وأنا أحببت أن أرد، أعلم أنك
اتفقت معها كي تختبرين إخلاصي.

___ ماذا؟ هل تتغزل بها ثم تدعي أنني أنا من فعلت كل ذلك؟ كم
تشبهها! وقح.

___ رزان لا تثيرين غضبي، أنا لم أعدك بشيء. أعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي أرى وجهك فيها عن قرب!

لم تعرف ماذا تقول؟ تركته وركضت دون أن تعلم أين هي ذاهبة حتى اصطدمت بأماها:

___ من الشاب الذي كنت تتحدثين معه؟ لقد رآك أبوك واستاء بشدة، أريد تفسيراً منطقياً يجعلك تتوسطين مجموعة شباب وتتحدثين مع أحدهم عن قرب، وأمام جميع الحضور، انطقي..
___ إنه.. إنه..

___ لا تبحتي عن كذبة، قولي الحقيقة، من هذا الشاب؟

___ كنت أحبه ولكنني اكتشفت أنه كذاب.

___ لي حساب عسير معك في المنزل، لو علم أبوك سيقتلك دون تردد، صدمتي فيك كبيرة!

لم تدر رزان ماذا تفعل، لقد اسودت الدنيا في وجهها، تعلم أن مهيضة عروس ويجب ألا تزعجها بمشاكلها في ليلة عرسها. لكنها سوف تموت لو لم تحك لها ما حدث. اقتربت من مالك وسلّمت عليه، باركت له وتمنت له جميع الأمنيات السعيدة، ثم انحنت موشوشة مهيضة الجالسة على عرشها متوّجة كالمكات:

— جذوة وراغب يتراسلان، قال لها أنها جريئة وتعجبه، رأيت الرسالة بعيني.

دُهِشت مهیضة من الخبر:

— شاب لا يفعل أي شيء في حياته إلا التسكّع في الشوارع ليل نهار، لا تتوقعي منه أفضل من ذلك.

— أسفة أنني أزعجتك الليلة، استمتعي بوقتك، لا تهتمي أنا بخير.

ابتسمت لها بحب، وابتعدت، طلبت مهیضة من مالك أن يقوما ويرقصا معاً، ولكنه رفض: «لا يمكن أن ترقصين أمام الشباب، ارقصي لي في المنزل». كانت تعلم الرد مسبقاً، فلم تحزن كثيراً، لا تريد أن تختلف معه اليوم على الأقل، ابتسمت ابتسامة واسعة مستمتعة بالأغاني وبالكاميرات التي تلتقط لها صوراً لا حصر لها مع عريسها.

أما جذوة فقد كانت سعيدة، هي اعتقدت ذلك؛ لأن السعادة تأتي أن تأتي داهسة جثث التُعاء، السعادة لا تأتي إلا من طريق مفروش بالإيمان، لم يسعد المنتقمون على مر التاريخ؛ لأنهم إذا انتقموا، صار من ظلمهم ضحيتهم، ستبقى أرواح الضحايا تنهش راحة بالهم بمخالب حادة كالسكاكين الحامية.

هي تشعر الآن بسعادة سمكها سُمك قشرة واهية، تحت القشرة جروح سميكة وأحقاد غليظة لم تتصهر بعد، لا يهم، راغب أحبها، أو أعجب بها، أو أنه على الأقل، أحب أن يغازلها.. شاهدت المشاحنة بينه وبين رزان منذ قليل، هذا مبشّر بالخير، تعرف شخصية رزان جيداً، لن تتنازل عن كرامتها حتى لو كان ذلك مقابل التنازل عن حبيبها، لن تعود له مجدداً، الرسالة التي أرسلها لها كافية لإثبات انتصارها، سيعرف الجميع أن حبيب رزان فضلّ جذوة عليها، فكّرت قليلاً، هل تتماذى أكثر من ذلك وتتزوج منه؟ لا.. هي لا تريده، تعتقد أنه ليس جاهزاً مادياً للزواج الآن، لن تنتظر أحداً، ليس هناك متسع من الوقت، لا بد أن تتزوج في أسرع وقت ممكن.

اتصل راغب بها عشرات المرات دون أن يتلقى منها رداً.. لم يفهم بالتحديد ما الذي حدث؟! تقربت منه فجأة وابتعدت عنه فجأة، ظن أنها متيمة به، كما كان ظاهراً وجلياً من نظراتها له، ولكنه الآن يراها تضحك وتمزح دون أن ترد على اتصالاته. تساءل: «هل ندمت هذه الفتاة لأنها خانت صديقتها معي؟ لا يمكن، وهل النادمون يرقصون ويضحكون كأن لم يحدث أي شيء؟ هذه الفتاة كانت تلعب بي!»

حاول التقرب من رزان مراراً وتكراراً ولم يتلق منها إلا التجاهل: «ما بال جميع النساء انفضوا من حولك دفعة واحدة؟!» شعر أن كرامته قد أهينت مرتين من فتاتين لا يساويان شيئاً بالنسبة له، كان

يلاحظ أن رزان معجبة به وتنتظر له خلسة، ولكنه لم يعرف قط كم تحبه، لو عرف أنها كانت تعيش معه في خيالها وتحكي له كل تفاصيل حياتها وتحضنه كل ليلة قبل أن تنام.. لو علم أنها أحسن عليه من أمه لما تركها. لكنه جاهل بحبها له، أحياناً الجهل يجعلك تخسر أشياء أجمل من أحلامك، لكن لأنك لا تعرفها، خسرتها، ولن تأسف عليها، انتهت قصة حب رزان، وفتى خيالها الوهمي، قبل أن تبدأ، سحفاً للتوق إلى الحب الذي يجعل الإنسان يحتال على عقله ليتصور الآخر صورة طبق الأصل للمثالية والعتاء، سحفاً للنظارة العمياء التي تعمي أعيننا عن حقيقة من نُحب، عندما كان بعيداً عنها كان أقرب لها من أنفاسها؛ لأنها لم تكن تعلم عنه غير صفاته التي حددتها هي، والآن، لا يفصل بينها وبينه سوى أمتار معدودة، وقد أصبح بعيداً عنها بعد السماء عن الأرض! لم تكن حزينه عليه وعلى نفسها فقط، بل كانت حزينه من أجل علاقتها بجذوة، تلك الصداقة الناشئة بينهما منذ ولدا، كيف تتحول إلى خيانة وغيره وكيد؟ هناك شيء ما بينهما قد انكسر، ولن يعود مثلما كان مهما حاولت، فكرت كثيراً في سبب منطقي يجعل جذوة تتحول من صديقة مقربة إلى خائنة متجحّة، ولم تتوصل إلى شيء. تذكرت عندما قال راغب أن جذوة هي التي راسلته أولاً، وما أرسله لها كان مجرد رد لا أكثر ولا أقل، هذا يعني أنها خربت بينهما عنوة مثلما كسرت الخاتم عنوة! أرسلت له رسالة

كطعم تصيد به رسالته، ثم تدّعي بعد ذلك أنه يلاحقها ويتغزل بها
كي تفرق بينهما، وهو كان مجرد أداة لكيدها . ما أغباه!



كانت الليلة هي الأجلّ والأبهى، مقارنة بكل الليالي التي عاشتها
مهيضة منذ خلقت وحتى الآن، تَكشّف لها وجه مالك الآخر، ليلة
دخلتها، مالك الودود الحنون الهادئ الذي لا يعرف للعناد طريقاً، لم
تكن تعرف أنه طيب إلى هذه الدرجة، وملاك بهذا القدر، وبشوش
كما لم يكن من قبل.. ولم تكن تعرف أن معظم الرجال، بمختلف
شخصياتهم، يتمثّلون في صور ملائكة ليلة عرسهم.. وبعد تلك الليلة،
يعود كل رجل لصورته الأصلية.

وكانت الليلة هي الأقسى على الإطلاق بالنسبة لـرزان، خسرت
حبيبها وصديقتها في آن واحد! لا تتخيل كيف ستنام دون أن تحتضن
الوسادة وتتخيل أنها تنام على صدر راغب، ألن تراقبه بعد الآن حينما
يمر من شارعهم؟ ألن تتخيّله يراها ويبادلها المشاعر؟ ألن تبكي كل
مساء اشتياقاً له؟ وماذا عن الزيارة الأسبوعية لطنطا؟ ويوم الجمعة
المُقدّس؟ كيف ستنظر في عيني جذوة وتتعامل معها بعد أن خانتها
وأفسدت علاقتها بالشخص الوحيد الذي أحبته وتهياً لها أنه يبادلها
الحب؟ «آه يا جودي! ما الذي كان يستحق أن تخسريني من أجله؟!»

انتهى العرس بزخم المشاعر المتوترة في أرواح أصحابه، ودعن النساء بعضهن، وتجنبت البنات أن يتقابلن، كانت ليلة تقابلت فيها الأحقاد بالأفراح، ليلة متعبة للبعض، ومرضية للبعض، نامت رزان في سيارة أبيها من فرط التعب والإرهاق.. والألم، انطلق محمد عائداً إلى القاهرة، وناظراً في مرآة السيارة الأمامية لابنته النائمة في شك.



(١٥)

بعد أن قضيا شهر العسل في شرم الشيخ، عاد مُحِب ومرام إلى القاهرة، شعرت مرام أن الحياة رضيت عنها وحققت لها أحلامها عن طيب خاطر، كان مُحِب زوجاً رومانسياً، ولطيفاً، ومُحِباً، حلمت أن تتزوج من رجل يُقدِّر العاطفة، ويفكر بقلبه، فهداها الله مُحِباً، استمتعت بحياة حريرية.. وردية معه، طوال الشهر، كأى فتاة ساذجة، عديمة الخبرة في أمور الزواج، ظننت أن حياتها الوردية ستظل كذلك عندما تأتي إلى القاهرة وتعيش في منزل أمه وأخواته، لم لا وهي تعرف حماتها راجية، وتحبها كما تحب والدتها؟ ولم تذكر أنها اختلفت مع إحدى بناتها من قبل، أما حماها نديم، فقد كان يمزح معها دائماً إذا أتت في زيارة مستعجلة، كانت تضحك على نكاته، وتعتقد أنه رجل خفيف الظل، من أجل تلك الظنون، بدأت يومها الأول معهم بأريحية، وبغفوية محمودة، قابلتهم بابتسامة وبوجه بشوش، لم تلحظ أبداً أنها ستنام، ابتداءً من الليلة، في عشٍّ أنثى النار، وأخواتها.

لم تعد راجية تسافر إلى طنطا أسبوعياً، بعدما أتى ابنها وزوجته ليعيشا معها في المنزل، فقد تضاعفت مسؤولياتها وانشغلت بحياة ابنها الجديدة، طائعة أيضاً انشغلت بزواج ابنتها وبمشاكلها الجديدة، فلم تُلح على أخواتها أن يزوروا كل أسبوع كما اعتدن، أما صالحة

فلم تشأ أن تكون ضيفة ثقيلة بعدما انغمست طائعة في حياة ابنتها الزوجية، كما انشغلت، هي أيضاً، بمشكلة رزان ابنتها التي صارحتها بحبها لشباب لا يستحق قلبها، اعترفت رزان لأمها بكل أسرارها، حتى أنها حكّت لها عن جذوة وكل ما فعلته معها ابتداءً من سرقة العطر وحتى سرقة حبيبها، بالرغم من صدمة صالحة في ابنتها البريئة الصغيرة إلا أنها لم تنهرها، إذا وبختها وعاقبتها سوف تخسر صراحة ابنتها إلى الأبد؛ لذلك فضّلت أن تصبح إسفنجة، تمتص حكايا ابنتها وأمها كما يفعل الأصدقاء.

استكرت صالحة أفعال جذوة ابنة أختها. تعجّبت من كل هذا الحقد المخفي وراء ضحكتها، خافت على رزان منها ولم تشأ أن تجتمع مرة أخرى مع أخواتها فتجتمع رزان بيناتهن، وكان هذا سبب قويّ لتقطع صالحة زيارتها الأسبوعية لطنطا، ومنذ أن غيرت النساء عاداتهن في التجمّع، لم تعد الأيام الأجمل في حياتهن تتكرر، صار تجمعهن ذكريات وماض لا يعود.

كُنّ- النساء- ينفذن اتفاقهن على التمرد والثورة دون أن يصارحن بعضهن بذلك، تمرّدت صالحة على صمت زوجها، رأت أن السلاح المناسب لمحاربة صمته هو الصمت! لم تعد تتكلم معه، لم تعد تشحد الكلمات من فمه، لجأت للفضفضة بأناملها، بدلاً من لسانها، على مواقع التواصل الاجتماعي. كانت ثرثرة جداً مع رجل لا تعرفه، دون

أن ينطق لسانها بكلمة! لاحظ محمد انشغالها الدائم بالكتابة على جوالها، لم يتكلم، لم يسألها ماذا تكتبين؟ بل شعر بالراحة عندما شعر أنها مشغولة وملهية في شيء آخر غير الشجار معه، كانت تعلم علم اليقين أنها ترتكب جرماً لا يُغتفر، تتحدث مع رجل غريب، وتشاركه أحداث يومها بالتفصيل. تحكي له عما لا تحكيه مع زوجها، تفرح معه وتحزن معه وتعبّر عن مشاعرها تلك بوجوه صفراء تبتسم وتبكي وتضحك.. لم تشعر أنها مخطئة فقط، بل دخلت في نوبة اكتئاب حاد. أحست أنها تترك النور مقترية من الظلام شيئاً فشيئاً، رغم ذلك، استمرت في المضي قدماً، متمردة على الخرس بالثرثرة الإلكترونية.. ثرثرة بدون صوت، لو تركت ثورة نفسها على جنب، وفكرت قليلاً بحلم وتعقل، لعلمت أنها الآن أسوأ من ذي قبل.. لم تعد بخير، لكنها لم ترد أن تفكر، تعلم أنها لو فكرت سوف تغلق حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي ولن تكلم ذلك الرجل مرة أخرى، لا تريد أن تقتل تمرداً قبل أن يشعر به محمد.

تمردت طائفة على زوجها بأن عصت أوامره. كان معتاداً أن يأمرها وهي تنفذ، حتى عندما تزوج من امرأة أخرى من أجل الولد، لم يجدها تستमित من أجله، لم تطالبه بالطلاق كبقية النساء اللاتي يثارن لكرامتهن، انسحبت في صمت غريب، واستسلمت للحياة كما هي، تركت الظروف تقلبها عن يمين وعن يسار كالمغشي عليها لا

تقوى على التحكم فيما يحدث لها، عندما قررت أن تتمرد تفاعلاً، ارتبك وعجز عن التصرف، كان- عندما يزورها وابنته في منزلها- يطلب طلبات بسيطة يطلبها كل زوج من زوجته، قديماً، كان يوقظها من نومها لتعد له الطعام، أو تدلك ظهره! كانت تطيعه كل مرة دون أن تتذمّر، والآن، لم يعد يقيم معها في المنزل، فضل أن يقيم مع زوجته الثانية ويكتفي بزياراته المتقطعة لها، عندما قال: «قومي اطبخي لي شيئاً آكله». قالت: «لا»، ولم تصحبها بأي مبرر.. لم تحاول أن تزين «لا» بأي شيء بجانبها.. لم تحاول أن تتحاشى غضبه أو تتول رضاه، فقط قالت: «لا».. لم يفعل شيئاً؛ لأنه ببساطة لا يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل؟ كان يعرف جيداً أنه جرحها جرحاً عميقاً عندما تزوج بدون علمها كي ينجب ولداً، وجرحها ثانية عندما تفاخر برجولته، وبسرعة حمل زوجته الثانية، كان يتفاخر بذلك أمامها، لا ليجرحها، ولكن ليبرر لها زيجته الثانية. يريد أن يعطيها سبباً مقنعاً قاطعاً غير قابل للنقاش يجعله يتزوج مرة أخرى برغم كل الحب الفائق، والعشرة الطويلة.

أما راجية، فقد حاولت أن تُصلح علاقتها بزوجها قبل أن تعلن التمرد، ولكنها لم تختار الطريقة المناسبة لفعل ذلك، لجأت فوراً لمسكنتها ولشحذها رضاه، ظلّت تبكي وتترجاه وتقبل قدميه كي يُخلص لها وحدها ولا ينظر لأخريات، مما جعله ينفر منها ومن

دُلّها ومهانتها باحثاً عن الأنوثة الأبيّة المُتمنّعة في نساء لا ينظرن له، ولا يبادلنه الإعجاب، فيتذلل هو لهن ليصبح رجلاً هارباً من دُل زوجته لذُل نفسه، وعندما يواجهه رفضهن وإبائهن، يعود لزوجته كارهاً نفسه وكارهاً كل شيء فيها، يسمعها كلاماً أليماً يجلدُها به قبل أن يجلد به نفسه: «ما أقبح مظهرك!.. ما أسمنك!.. أمقت شكلك». ترتجيه ألا يجرحها فيزيد علو سقّف إيلامها، كلما حاولت أن تتبع نظاماً غذائياً يُفقدُها نصف وزنها، حطّمها لسانه، فلا تجد سبيلاً للخلاص والسعادة غير الثلاجة، تتقيّ الحُزن في الصحن وتأكل بدلاً منه مأكولات لذيذة، حتى ازداد وزنها وتفاخمت المشكلة.. ونزف الجرح في قلبها.

لم يعد الرجاء مجدياً بعد الآن، ولم تعد تمتلك أية حلول لإصلاح العلاقة بينهما. وأخيراً قررت أن تعلن العصيان، كما ينظر للنساء بشهوة، سوف تنظر للرجال بإعجاب. فكّرت قليلاً، واكتشفت أنها متقبلة زوجها بكل عيوبه، اكتشفت أن زوجها قبيحاً! نعم قبيح، كيف لم تكتشف ذلك من قبل؟ شعره مجعد ومليء بخصلات بيضاء، بطنه كالبالون المنفوخ.. لحظة! هل كان يعايرها بانتفاخ بطنها من قبل؟ ماذا عن بطنه هو؟! أما وجهه فقد كان ذميماً مقارنة بوجهها الملائكي الأبيض المشرب بالحمرة، بشهادة الجميع هي جميلة، أنفها صغير وفمها دقيق وحاجبيها قوسان متناسقان وعيناها عسلية واسعة، لا يعيبها إلا سمنتها، هو أيضاً سمين!

هو أيضاً لا يمارس الرياضة.. هو أيضاً يأكل بنهم.. كانت جذوة تشبهه كثيراً، لم تُخلق جميلة مثلها، بل قبيحة مثله، بدأت تُعلق بصوت عال كلما رأت رجلاً وسيماً في التلفاز: «انظري يا فتنة كم أن هذا الرجل جذاب؟»، «انظري يا جودي جسم هذا الشاب..» وغيرها من تعليقات مشابهة، كانت تتعمد أن يسمع تعليقاتها، وكان يصمت ويتظاهر بعدم الاهتمام، لكنه فهم رسالتها، فهم أنها تحاول أن تعيره بقبحه كما يفعل هو، حتى وإذا كان كذلك، من حقه أن يستمتع بحياته ويتزوج من حسناء تدلّه ولا تعرف للذل طريقاً.



كانت جذوة تستشيط غضباً كل يوم منذ أتت مرام- زوجة أخيها- لتقاسمهم حياتهم في المنزل، كلما وجدتها تتدل على محب لينفذ طلباتها تموت غيرةً على أخيها، تمقت حسنها الذي يجعلها تنظر لنفسها في المرأة عشرات المرات يومياً، تركها لأنها سرقت اهتمام أخيها كله، لم يتبق لها منه إلا جملتان عقيمتان: «صباح الخير يا جودي.. تصبحين على خير يا جودي» لم يعد ينتبه إلا لمرام، ولم يعد يمزح إلا مع مرام، لم يعد يحكي لها عن أسراره ويوميته، فضل أن يحكي كل شيء لمرام، حتى أمها صارت امرأة لا تحتل. تعابرها بقبحها وبوزنها الزائد كل صباح، وتتدل لأبيها ألا يفعل ذلك معها في المساء! تقبل قدميه كي يعترف بجمالها، وتهدم ابنتها وثقتها بنفسها

في الوقت ذاته. كيف لامرأة أن تجمع النقيضين دون أن نشك في سلامة نفسها من المرض؟!

___ أبي، ألا تلاحظ شيئاً؟

___ ماذا يا جودي؟ ألم أعطك مصروفك في الصباح؟

___ لا أريد مالاً، بل أريد أن ألفت نظرك لشيء ربما لم تنتبه له من قبل.

رد عليها بدون اهتمام شاردًا أمام شاشة التلفاز:

___ خير.

___ أمي!

___ ما بها؟

___ أصبحت مهووسة بالرجال!

وجعته الجملة، وصفعت رجولته بقسوة، ولكنه رد ببرود مصطنع:

___ ماذا تقصدين؟

___ كلما رأت رجلاً انبهرت بوسامته وجماله! جعلتني أتساءل،

ألم تملأ عينيها أبداً يا أبي؟

لم يستطع أن يكبت غضبه أكثر من ذلك، فصرخ في وجهها
صرخة لم تتوقعها:

— اخربي يا قليلة الأدب، ما الذي تقولينه؟

خافت جذوة ورجعت للوراء، بينما قام نديم يبحث عن راجية
في المنزل كالمجنون، وجدها في الغرفة تشاهد التلفاز فجرجرها من
شعرها صارخاً بغضب شديد وصوته قد وصل للجيران في الشوارع
المجاورة:

— يا فاجرة.. كيف تخونين زوجك؟ كيف تنظرين للرجال؟ ألا

تستحين؟ أوتجاهرين بهيامك للرجال أمام بناتك يا فاجرة؟

ردّت صارخة باكية:

— ألم تر نفسك في المرأة؟ كم أنت قبيحاً! أريد أن يكون زوجي

وسيماً.. ليس ذا بطن منفوخ مثلك! وشعراً أجعد وأنفاً عملاقاً..

أكرهك وأكره خلقتك يا نديم.. أكرهك!

لم يترك نديم شعرها، بل سحبها منه حتى الصالة الخارجية،

ثم ضربها ضرباً مبرحاً.. كان كالثور الهائج، وهي الفريسة الضعيفة

لا تقوى على صد هجماته، كانت تبكي وتحاول أن تفلت منه بدون

فائدة.. كانت وراء الستار، جذوة، تراقب المشهد في الخفاء، لا تبكي،

ولا تضحك! ولا تحاول أن تتدخل لتنتهي المأساة الواقعة أمامها، حتى لمحتها أمها من داخل المعركة، وتلاقت أعينهما، وقالت الأعين ما لم تقله الألسن، لمحت راجية، في عيني جذوة، نظرة نارية تحمل حقداً ولهيباً.. وشماتة، نظرة كالأسهم الحارقة، صوبتها في صميم عيني أمها!

بعد أن تركها نديم منهاراً تاركاً المنزل، تسندت على الحائط حتى ألقت بجسدها على سريرها، نسيت زوجها ونسيت نفسها، ولم تفكر سوى في نظرة جذوة الملتهبة لها، تلك النظرة المجنونة في عيني ابنتها، نظرة مشحونة بالوعيد والتهديد والخطر!



في زمن مضى، خُلِقَت عمّة جذوة من نار، اسمها فتحية، كانت- وما زالت- امرأة غريبة الأطوار، بعد عنها أهلها وأولادها وظلّت وحيدة تصارع الموت، وتحتمي في أتباعها من الجهلة، عمتها فتحية سيدة عجوز نحيفة محنية الظهر، متلحفة بعباءة سوداء فضفاضة لا تخلعها عن جسدها أبداً، تستند على عكاز لا يفارق يديها، وكانت تستخدمه لأغراض متعددة، كأن تهشّ به الدجاج والأوز، أو تضرب به الأطفال المتجمعين أمام باب منزلها يلعبون بالكرة، منزلها كمنزل عبد متقشّف، تحصل فتحية على قوت يومها من تزويج رأسين في الحلال، برغم جهلها وعدم قدرتها على فكّ الخط، كانت لديها إحصائية

مصوّرة في عقلها بكل الشباب والفتيات الذين لم يتزوجوا من قبل، وإحصائية أخرى بالمطلقات، والأرامل وأعمارهن، وأعمار الرجال المتزوجين الراغبين في تكرار التجربة مرة أخرى، وحالتهم الاجتماعية والمادية، ما إن يطلب الشاب، أو الفتاة مواصفات خاصة في شريك حياته حتى تحضر له طلبه بالضبط، كانت محترفة في هذا، وتربح من ذلك أموالاً تكفيها للاستغناء عن البشر.

تذكرت جذوة عمتها، وبرق نور الأمل عندما شعرت أن عمتها يمكنها أن تساعدها من أجل الوصول إلى هدفها، فاتصلت بها دون تردد:

___ كيفك يا بتي؟ اشتقت لك كثيراً! ألا تأتي وتزوريني؟

___ سوف آتي يا عمتي إن شاء الله في أقرب وقت.

___ كيف حال محب؟ عريسنا.. وكيف حال عروسه مرام؟ ألم

تحمل منه بعد؟

كررت جذوة الكلمة وراءها وكأنها تذكرت شيئاً مهماً يتعلق بذلك

الأمر:

___ تحمل منه؟ لا ليس بعد.

___ الله يعطيها ويرزقها يا بتي، عقبالك.

— ادعي لي يا عمتي، لم أجد الشاب الذي يناسبني حتى الآن.

— أيعقل هذا؟ ألا تجديه وأنا ما زلت حيّة وأتففس يا بتي؟ تعالي

زوريني وسوف تجدينه إن شاء الله.

لبّت جذوة دعوة عمتها بعد ساعتين فقط من المكالمة، كانت تشعر بحماس شديد، هي اتصلت بها فقط كي تأخذ إذن الزيارة، وها هي دعته إلى منزلها، هذا يعني أنها سوف تتزوج في القريب العاجل، ربما خلال شهر من الآن. إذا تزوجت، سوف تغتاط رزان وتموت حقداً، وسوف تكون الفتاة الوحيدة التي لم تتزوج في العائلة، سوف تموت مرام غيراً وإذا لم تغار سوف تستطيع أن تجعلها تفعل، عندما تتزوج لن تعتمد على مال أبيها، سيكون لها منزلها الخاص ومالها الخاص، ومن فوق عرش زواجها، سوف تجد طريقة لتنتقم من أمها. يمكنها أن تقاطعها ولا تزورها إلى الأبد، ولكن هذا العقاب غير شافٍ بالنسبة لها. سوف تفعل المستحيل كي يعلم مسعود بخبر زواجها، لا.. بل سترسل له دعوة خاصة لحضور الزفاف، سوف تدهس على قلبه بحذاء عرسها المطرز بالماسات واللآلئ.

استقبلتها عمتها استقبالاً حافلاً، فقد كانت أحب بنات نديم إلى قلبها، بل لم تكن تحب منهن إلا جذوة، جذوة تذكرها بشبابها، وقتما كانت تغار من كل النساء على زوجها، وتغار من راجية على نديم،

أخيها. ربما لأنها تشعر بجذوة.. تشعر بها جداً، وتقدر مشاعرها؛ لأنها مرت بها، كانت النيران تشتعل بداخلها فيما مضى، لكنها سيطرت عليها مع الوقت، كان لديها زوج خائن، وأمّ أنانية، وأبّ متغطرس، وشعلة نار كبيرة وهاجة تسكن صدرها، خفتت مع الوقت، أما جذوة، فكان لديها شعلة نار صغيرة جداً، كان من الممكن إطفائها بنفخة حنان، غير أن أحداً لم يفعل ذلك، حتى ازدادت وتوهّجت كلما مر الوقت.

— قولي لي يا بتي، كيف تريدينه؟

— أريده وسيماً، صغيراً في السن، وثرياً يا عمتي.

— أولو كان غير ثري؟

— لا يا عمتي، لا بد أن يكون ثرياً، لا أستطيع أن أستغنى عن هذا الشرط.

— أولو كان غير صغير؟

— حسناً.. لا يهم، ولكن يجب ألا يتعدى الأربعين.

— تسعة وثلاثون؟

— حسناً.

___ وسيماً، ولكنه سمين.

___ لا يهم.

___ على بركة الله، هذه صورته.

___ ليس وسيماً يا جدتي!

___ أبيض البشرة ووجهه مستدير كالقمر..

___ لا أحب الرجل الأبيض، أفضل الرجل الأسمر ذو الوجه

البيضاوي أو المربع.. ولكن لا يهم، لا يهم.. ليس سيئاً على أية حال.
أهو ثري؟

___ جداً.

___ على بركة الله، موافقة، ولكن لا أريد أن يعرف أحد بقدومي

إليك يا عمتي.

___ لا تخافي على أسرارك طالما أنها معي أنا يا بتي.

___ شكراً لك يا عمتي.

كانت سوف تهم للرحيل لولا أنها تذكرت شيئاً:

___ ولكن من قال لك أنني سأعجبه؟ ربما يرفض ولا يأتي!

___ سوف يأتي لخطبتك غداً.

___ ولماذا أنت متأكدة إلى هذا الحد؟

___ لقد طلب فتاة بنفس صفاتك يا بتي.

___ وما هي هذه الصفات؟

___ لم يشترط في أنثاه إلا أن تكون لها مشاعر ملتهبة كالنيران!

قبل أن تتفوه جذوة بكلمة، ضيّقت العمة فتحة عينيها وتأمّلتها جيداً، ثم قالت وهي تربت على كتفيها:

___ أعلم ما ينمو بداخل قلبك يا بتي. اعلمي أنها لو وجدت الفرصة للخروج، سوف تؤذيك أنت قبل أن تؤذيهم.

قالت جذوة وقد شعرت بالخوف:

___ عمّن تتحدثين؟

___ عن النار يا جذوة، أقصد النار..

لم تتسّ جذوة كلمة عمّتها الأخيرة عن النار التي سوف تحرقها إذا سمحت لها بالخروج، ظلّ كلام عمّتها يرنّ في عقلها، حاولت أن تتناسى أمر النار الساكنة بداخلها كي تعطي اهتمامها كله لزواجها الذي بات قريباً جداً.



(١٦)

قالت صالحة لرزان وهي تنهرها:

— أتحبين كل يوم شاباً؟ هل أنت عديمة الأخلاق يا فتاة؟

— أمي.. أنا أحببته، ماذا أفعل؟ كيف أمنع نفسي أن أحب؟ إنه شاب مثالي ويريد أن يتقدم لي رسمياً! أي أنه ليس مثل راغب ندل وخائن، يريد أن يدخل الباب من بابه كما تقولون.

— أنا لا يهمني من يكون؟ لا أهتم إذا كان صالحاً أم طالحاً، كل ما أريد أن أفهمه الآن، كيف نسيتِ راغب وقصة الحب الفاشلة الماضية في عدة أشهر، ثم أحببت شاباً آخر في شهر واحد؟ هل تحبين كل يوم شاباً بهذه السهولة؟ هل تمتلكين قلباً كبيراً جداً إلى هذا الحد؟

— أمي أنت تهينيني بكلامك.

— يا حبيبتي، تعالي اجلسي بجواري.. أنا لا أقصد أن أهينك، أنا أريد أن ألفت نظرك لشيء في غاية الأهمية، أنت لم تحبي راغب، ولم تحبي هذا الشاب الجديد المدعو (مؤمن).. أنت تحبين الحب نفسه، تحبين أن تعيشي في حالة حب. لكن مع من تعيشينها؟ لا يهم.. تبحثين عن رجل لتعيشي معه تلك الحالة، أما الحب الحقيقي فأنت لم تقابليه بعد.

___ لا يا أمي، أنا أحببت مؤمن فعلاً، أشعر أنه قريب مني ويهتم بي، شاب متدين ويخاف الله، يصلي ولا يدخن، نعم هو فقير إلى حد ما ولكنني سأتحمل معه أية صعوبات ستواجهها. أنا أحبه.

___ بالطبع لن تعترفي- حتى لنفسك- أنك لا تحبينه، أنت تريدين أن تعيشي حالة الحب ولو على حساب مستقبلك وراحتك! احذري يا روزا، نفسك تخذعك، لا يجب أن تنفذي رغبات نفسك لأنها تأمرك عن هوى.

___ لا يا أمي صدقيني.. عندما تتعرفين عليه سوف تجدينه شاباً رائعاً بحق، اسألي عنه وسوف تجدين الجميع يمتدحون أخلاقه.

___ ماذا تريدين يا روزا؟

___ أريدك أن تقنعي أبي أن يتقدم لي. اعطوا لنفسيكما فرصة لتتعرفا عليه، وإن لم يعجبكما ارفضوه.

___ حسناً يا روزا، سوف أفعل.

خافت صالحة على ابنتها من هوى نفسها. شعرت أن ابنتها ربما تخطئ! ربما تسلم نفسها لأي شاب يقابلها في سبيل البحث عن الحب، بسبب هذا الهاجس المخيف، وافقت أن تقنع محمد ليزوجوها ويزول الهم ويطمئن قلبيهما من هذه الناحية، طالما أنها تبحث عن

الحب فلتتزوج وتحب وتسعد، رزان مصيرها الزواج عاجلاً أم آجلاً،
إذا كانت ستتزوج من فقير يخاف الله، فهذا أرحم بكثير من أن تخطئ
مع من لا يعرف الله من الأساس.



تعبت مهیضة من الأعباء المنزلية، تحاول جاهدة أن تستيقظ
مبكراً؛ كي تجهز الغداء لمالك، يجب أيضاً أن تتظف المنزل وترتبه
وتمسح الغبار يومياً، يجب أن تجلي الصحون وتمسح الأرضيات
وترتب ما تبعثر هنا وهناك، عليها، بعد الانتهاء من كل ذلك، أن تأخذ
حماماً ساخناً وتتجمل لكي يراها في أبهى صورها، برغم محاولاتها
المتكررة أن تقوم بكل ذلك على أكمل وجه، إلا أنها لم تستطع أن
تفعل، اعتادت قبل الزواج أن تستيقظ بعد صلاة الظهر بساعتين،
غير أن أمها كانت تتحمل كل الأعباء المنزلية وحدها، أما الآن، عندما
كانت تنوي أن تستيقظ في التاسعة صباحاً، لا تجد نفسها إلا وقد
استيقظت بعد الظهر، تستيقظ مهرولة لتتظف المنزل بغير اتقان، ثم
تبدأ في طبخ أكالات خفيفة على عجل، وتستغنى عن الحمام الساخن،
ثم تكتفي بوضع أحمر شفاه يصرخ من بين ملامحها المصفرة المرهقة،
برغم من كل ذلك، كان مالك دائم التزمُّر، لم يكن يعجبه أي شيء،
يريدها مثالية ولا يقبل منها الخطأ: «ما هذا الذي ترتدينه؟ لماذا لم
تتظفي هذه الغرفة؟ الطعام ملحه كثير.. الطعام محروق.. لا أحب

هذا النوع من المأكولات.. ما الذي حدث لشعرك؟ تبدين ذابلة!» إلى آخره من هذا الكلام اللاذع الذي لم يزد لها إلا همماً على همّها، تريد بشدة أن تكون مثالية في نظره لكنها لم تستطع إلا أن تكون هي! أما هو فلم يتنازل، يجب أن تكون مهیضة مثلاً يريدّها، أما خروجها مع أصدقائها كل يومين أو ثلاث، فقد منعها منه، حتى إنه أمرها أن تنهي علاقتها بكل صديقاتها؛ لأن أخلاقهن لا تعجبه، بعد أن فاض بها الكيل اشتكت لأمها باكية:

— يريد أن يستعبدني يا أمي! يريد أن أكون خادمة تحت قدميه، لقد تعبت.. تعبت.

— أطيعي زوجك يا ماهي، أطيعيه ولا تعصي أوامره، لو عصيت أوامر زوجك سوف يعاقبك الله عقاباً شديداً.

— ولكن يا أمي.. هذا ظلم، أنا متأكدة أن الله يشعر بي، يعرف أنني تعبت ولا أتحمل كل هذه الأوامر، لا أستطيع.

— بل تستطيعين، أسعديه وأطيعيه واحملي في أطفاله كي لا ينظر لغيرك، وإلا سوف يتزوج عليك ويذكرك كالمعلقة.

— ولكنك لا تطيعين أبي! لقد أصبحت ترفضين أبسط طلباته.. كيف تتصحيني بما لا تفعلينه؟

— ماهي.. أبوك تزوج عليّ وانتهى الأمر. لن أخسر شيئاً إذا
جرّبت العصيان، هو ليس لي بعد الآن.

أنا لا أعلم ما الخطأ الذي ارتكبته يا ماهي ولا أعلم كيف أصلح
الشرح الذي أصاب علاقتنا! لا يوجد لدي ما أخسره.

— ربما لم تخطئي أبداً يا أمي.

— أطيعي زوجك يا ابنتي، وكوني له مثلما يريد.

أطاعته، على الأقل حاولت بقدر الإمكان. كان يسعد عندما تلمي
طلباته الصعبة، كأن تتخلي عن صديقاتها من أجله، وتتخلي عن
ملابسها التي تحبها، لترتدي الخمار والجلباب من أجله، أصبحت
تتخلي عن أجزاء من طبيعتها شيئاً فشيئاً حتى تغيّرت، تغيّر شكلها،
ملامحها، وشخصيتها، لم تعد مهیضة. لقد أصبحت نسخة طبق
الأصل من أمها.. أصبحت طائفة صغيرة.



obeikandi.com

(١٧)

إنه يقدر القصة التي جمعتها سوياً . الصورتان الرمزيتان اللتان كانا يعبران عن الحزن، دمة انشطرت لنصفين وسالت على خديهما، دمة جمعت بينهما في الحلال، كانا يحتاجان بعضهما البعض، يمسح دموعها وتططب على ألمه، لم ولن يعلم أبداً، أنها وضعت صورتها الرمزية طُعماً لتصيده، كانت ذكية، تريد المال والمشاعر معاً، فلعبت على وتره الحساس، أهو حزين؟ سوف تبكي في حضنه؛ كي يشعر أنها تشاطره الألم، أما بعد أن تزوجا، فقد انتهى وقت الصيد، وحن وقت التمتع بالحصاد، أخذت منه ما يكفيها من المال، لم تكن تتكلم إلا على المنزل الذي تريد أن تشتريه، والسيارة التي تليق بهما، والملابس التي تناسبها وتناسبه، ثم المطاعم الفخمة التي يجب أن يكونوا من زائريها المنتظمين، طلباتها لا تنتهي. مشروعاتها في ازدياد وتضخم، أما مشاعرها فقد كانت باردة كجبال الثلج في القطبين، بينما كانت مشاعره ملتفة كالبراكين، قال لها شاكياً، ذات سهرة:

— ألا تحبينني يا ذكاء؟ ألم يدق قلبك لي؟ ألا تشتاقين لرائحتي، وتحضنين قميصي وتحلمين بي و..

قاطعته ضاحكة باستهزاء:

— كفى كفى.. ما كل هذا؟ واضح أنك تأثرت بالفيلم الذي نشاهده.

___ لا يا ذكاء.. هذا السؤال شغل بالي كثيراً! لماذا لا تحبينني؟

___ أحبك يا ثري، من قال أنني لا أحبك؟

___ لا.. أنت تتطقينها بفتور، تتطقينها ببرود، ولا تشعرين
بمعناها.

___ ثري.. ماذا تريد؟

___ لا شيء!

صمت وصمتت، كانت تفهمه جيداً، ولكنها لا تملك أن تعطيه ما
يريد، لم يكن لديها أي شعور تجاه أي أحد، كيف ستشعره بالحب؟
هي غير مؤمنة بالحب، لماذا تعكر صفو حياتها وتربط قلبها بأي
مخلوق على وجه الأرض؟ لن تكون سعيدة لو أحبت؛ لأنها دائماً سوف
تنتظر حبيبها، سوف تنتظره يأتي من العمل، سوف تنتظره إذا سافر،
وسوف تنتظره إذا تخاصما أن يصلحها، وسوف تنتظر الموت بفارغ
الصبر إذا مات! أما الآن، فمهما حدث، لن تتأثر كثيراً، أما التسوق
فهو متعتها الأبدية المضمونة القادرة على إحياء الحب فيها، حب
تملك الأشياء دون أن يمتلكها أحد.



بعد أن وافق نديم على تزويج ابنته لكاظم، بدأت جدوة في شراء لوازم العرس. كانت تجهز لليلة كبيرة تكون حديث الجميع لفترة طويلة، تريد أن تكون ملكة متوجة ليلة عرسها؛ لذلك حرصت أن تتابع كل كبيرة وصغيرة وتجهز كل شيء بنفسها، منذ آخر خلاف بينها وبين رزان، لم تكلمها أبداً، ولم ترها، لكنها أحبت أن تتصل بها وتدعوها بنفسها لتحضر عرسها، كانت تريد أن تشعر بغيرة رزان منها، ولكن رزان بدت سعيدة ومباركة للزواج! لم تكثرث.. أو هكذا شعرت جدوة، وبعد تفكير لم يدم كثيراً، اتصلت بمسعود، حبيبها القديم، وأول من كوى قلبها بالنار وذهب.

___ جدوة أنا.. لا أستطيع أن أتحدث معكِ وخاصة أنني رجل متزوج و..

قالت ضاحكة باستهزاء:

___ ومن قال لك أنني أريد التحدث معك يا مسعود! أما زلت تعتقد أنني متيمة بك حتى اليوم؟ لا يا حبيبي، أنا أريد أن أدعوك لحفل زفافي، أتمنى أن تحضر أنت و.. ماذا كان اسمها؟ آه.. رغد، سوف أكون سعيدة برؤيتكما.

قال مسعود وقد استشاط غضباً وغيرة:

___ هل ستتزوجين؟ كيف؟ كيف تتزوجين من شخص لا تحبينه يا جدوة؟ أنت لا تفعلينها، أتحداك أن تحبينه مثلي..

قالت كائدة:

___ بل أحبه بجنون، في الحقيقة وبعد كل هذا الوقت الذي مضى، لقد اكتشفت أن ما بيننا ليس حباً، كانت مجرد نزوة عابرة. أما كاظم، فهو حبي الحقيقي الذي طالما بحثت عنه.

___ أتحداك! أنت لا تحبين غيري، هل تفهمين؟

ضحكت وقالت:

___ لن أستطيع أن أطيل الحوار أكثر من ذلك كي لا يغضب زوجي، أتمنى أن تحضر زفاي، سلام.

___ لحظ..

أغلقت السماعرة قبل أن يكمل كلامه. ارتعشت روحها من الداخل، لقد ألمته، الآن فقط استردت كبرياءها الضائع، ظلت صامته للحظات قبل أن تضحك بهستيرية حتى بكت بحرقرة! لا تتخيل نفسها زوجة لأحد غيره.. لماذا تركها بعد أن أعطته كل مشاعرها؟ لماذا فضل أن يمشي بجوار الحائط، دون أن يحدث صخباً؟ لماذا هو جبان إلى درجة ألا يغامر من أجل حب عمره؟ غبي! تسبب في إتعاس نفسه وإتعاسها في سبيل إسعاد عائلته، لم تشعر بالنصر كعادتها بعد أن تشعل فتيل الكيد ليحرق أحدهم، شعرت بالضعف والهوان وقلة الحيلة، ماذا

جنت من كيدها لمسعود؟ في النهاية سوف تُسلم نفسها لرجل لم تره
حتى الآن ولو مرة واحدة!



تزيّنت كما لم تفعل من قبل، ارتدت الفستان الأبيض ذا الذيل
الملوكيّ الطويل. كلّل رأسها تاج يشبه تيجان السلطانات العثمانيات،
مساحيق التجميل الثقيلة حولت شكلها من حال إلى حال، ظهرت
بشرتها المليئة بحبّ الشباب، ناضرة صافية، عينيها مكحلتين بكثافة
أعطتهما جمال عيون الفراغنة، العدسات اللاصقة بلون الغروب لاقت
بها، وأضفت عليها جمالاً، شعرت لأول مرة، عندما نظرت لنفسها في
المرآة، أنها جميلة، تذوّقت طعم الجمال، «إذن هكذا يشعرون؟ ليت
هذا الإحساس يدوم».

الليلة ليلة العرس الكبير، ليلة زواج أنثى النار، كانت ملكة زفافها،
لم تكن خجولة كبقية العرائس الوديعات، بل كانت تنتقم من الفرحة
انتقاماً، كانت تغتصب الضحكة، وتنتهك حرمة الرقص! ظلت ترقص
وترقص بهستيرية، ممسكة بيد كاظم، تحركه في يديها كعروس
ماريونيت، لم تتس العالم من حولها، كأية عروس، وترى كاظم فقط،
بل لم تر كاظم من الأساس، لم تشعر به، كانت تسحبه في يديها أينما
ذهبت كالמידالية. ركزت اهتمامها كله على أوجه الفتيات، رزان وذكاء

وفتنة ومهيضة، كانت تحاول أن تبحث عن الغيرة في عيونهن.. تلك الغيرة التي طالما جعلتها تحترق بها، ووجدتها، وجدت الغيرة ظاهرة على وجه فتنة فانتعشت، لكنها فاترة على وجه ذكاء.. ولم تظهر أبداً على وجه رزان! بل على العكس تماماً. كانت رزان مفعمة بالحياة، مفعمة بالجمال، والابتسامة العفوية لم تفارق وجهها، وعندما تعبت جذوة من الرقص، أخذت كاظم وجلسا على العرش المتوج بالورود.. فبدأ الحضور بالذهاب للعروس والعريس ليلتقطون الصور معهما، ويباركون لهما، ويتمنون لهما أطيب الأماني، مدت رزان يدها لتسلم على جذوة وتبارك لها، سلمت عليها جذوة، وضغطت على يدها وجذبته لتوشوشها:

— أتمنى لك السعادة يا روزا، أعرف أنك لم تتزوجي إلى الآن، ويضايقك أن يطلقون عليك لقب عانس، خاصةً أنك مازلت صغيرة على هذا اللقب القبيح.. لا تحزني يا حبيبتي، سادعو الله أن تتزوجي قريباً.

قالت رزان وقد فهمت ما ترمي إليه جذوة:

— أنت قلتها بنفسك يا جودي، مازلت صغيرة، وصغيرة جداً.

ابتسمت رزان وذهبت لتجلس بجانب مهيضة:

— هل تتخيلين أنها تقول أنني عانس؟ لقد دخلت الجامعة من

عدة أشهر فقط! كيف أكون عانساً بحق الله؟

___ لا تهتمي يا روزا، أنا لا أعلم من أين أتى كل هذا الحقد فجأة؟ كانت وديعة وطيبة! ماذا فعلنا لها لكي تكرهنا وتتحول إلى مصاصة دماء بهذا الشكل؟

___ بل كانت أفعى تتلون كل يوم بلون ونحن مغيبون لا ندري عنها شيئاً، كم كنت مخدوعة فيها! أحكي لها كل أسراري، وهي تستغل كل ما بيننا كي تؤذيني! تسرق حبيبي، وتسرق ممتلكاتي، وتكسر هداياي! كل هذا من أجل ماذا؟ لا أعلم!

___ هل يجب أن أسلم عليها؟ لا أريد..

___ بلى، اذهبي وافعلي الواجب، وإلا سوف تقول أنك لم تسلمي عليها لأنك تغارين منها.

___ آه معك حق، سوف تفعلها بالطبع، حسناً سوف أذهب، على كل حال أنا متزوجة، لن تستطيع أن تخرجني وتدعي أنني عانس.

قامت مهیضة بثقة، مدت يدها لتسلم على جذوة، ولكن جذوة جذبتها من يديها توشوشها كما فعلت مع رزان، فلم تطمئن. «تري هل ستتعنتي بلقب عانس بالرغم من زواجي من مالك؟ ما هذا الجنون؟!»

___ شكراً يا ماهي، لو لم تتعبي نفسك وتأتي إليّ! لربما كنت حاملاً في الأسبوع الأول وأنت لا تعلمين! لا تقلقي يا حبيبتي، سيرزقك الله بطفل، لا تستعجلي الحمل! وارتاحي.. اذهبي واجلسي مكانك.

رجعت مهیضة إلى مكانها بجانب رزان متعجبة:

___ أنا لا أصدق ما سمعت! لقد قالت لا تستعجلي الحمل! إنها

تعايرني لأنني لم أحمل حتى الآن!

___ ما بك يا ماهي؟ ما زلت في الشهور الأولى من زواجك! هذا

أمر طبيعي جداً، وهذه الفتاة ملعونة.

___ أعرف أنه طبيعي، ولكنها شككتني في نفسي، ماذا لو كنت؟!..

___ لا لا.. ماهي.. هذا بالضبط ما تريده. هي تريد أن تجعلك

تشكين في نفسك، أنت بخير. أعرف نساء لم يحملن إلا بعد مرور عام

أو عامين على زواجهن، هذا أمر طبيعي، إنها إرادة الله.

___ حقاً؟

___ طبعاً يا حبيبتي! أنا لا أفهم كيف تقول لك ذلك! هذه الفتاة

لا أحد يسلم من لسانها.

كانت صالحة ومحمد، وراجية ونديم، وطائفة وظافر، يجلسون

كلهم على طاولة كبيرة واحدة، بدا كل زوجين سعيدين جداً، لا يعلم

الرجال ما تخفيه نساءهم في صدورهم، ولكن كل منهما- الرجال

والنساء- حرصاً أن يستمتعن بالأجواء ويفرحوا، وكذلك فعلاً.

قام محب ومرام ليرقصا سوياً على أنغام أغنية حاملة، رأتهما
جذوة، المراقبة للجميع كالصقر الذي يراقب الفريسة، فغارت، تركت
زوجها جالساً وحده كالأبله، وقامت من على كرسيها المحفوف بالورود
متوجهة إلى مرام ومحب، سحبت يد محب المستقرة على خصر مرام،
وجذبتة إليها، رقصت معه متعمدة أن تتجاهل مرام وتعطيها ظهرها،
عندما وجدت مرام نفسها وحيدة وسط ساحة الرقص استنحت
وعادت إلى طاولتها كاظمة غيظها.

قالت جذوة لمحب:

— خذ زوجتك واذهبا إلى الطبيب يا حبيبي. لقد تأخرتما
كثيراً في الحمل، لربما كانت عقيماً.

ضحك محب بسلامة نية وهو يدور بأخته راقصاً على أنغام
الموسيقى، وقال واثقاً:

— لا تقلقي يا أختي العزيزة.

قالت جذوة ناصحة:

— اسمع كلامي يا محبي الوحيد، أنت أخي الغالي، خذها إلى
الطبيب ليكشف عليها. افعل ذلك.

قال محب وابتسامته اتسعت:

— جودي.. مرام حامل في شهرها الثاني.

امتع وجه جذوة وعقدت حاجبيها وقالت غاضبة:

— هل تخفيان الأمر عني عن عمد؟

— لا يا حبيبتي، مرام قالت لي ألا أخبر أحداً حتى تتأكد من الأمر..

— وماذا؟ حامل في شهرها الثاني ولم تتأكد بعد؟ لا بد أنكما

زرتما الطبيب أكثر من مرة لتطمئنا على صحة الجنين، منذ متى

وأنت تخفي عني أشياء مهمة كهذه يا محب؟

— لم أقصد يا جودي أن أخفي شيئاً بالطبع. أنا فقط..

— أنت لبيت أوامر زوجتك يا محب، أمرتك ألا تقول لي فنذت

أوامرها، هل سأحسدها مثلاً؟ لماذا تخاف أن أعلم بالأمر؟ حسناً يا

مرام، لن أسامحك أبداً على فعلتك هذه..

— لا تغضبي يا جودي فهذه ليلة زفافك، هيا عودي إلى زوجك

واجلسي بجواره.

حاولت جذوة أن تكظم غيظها، سحبت يدها من بين يديه بعنف،

وعادت لتجلس بجوار العريس الكومبارس حتى نهاية الحفل.

عندما انتهى الحفل، وأغلق عليهما باب واحد، تذكرت جذوة أن هذه هي المرة الأولى التي تكون لحالها مع كاظم، لم يختليا ببعضهما قبل اليوم! ولم يمض على مقابلتها الأولى، عندما تقدم لها رسمياً، سوى شهر واحد، تم كل شيء بسرعة، حتى حفل الزفاف، شعرت جذوة وكأنه قد انتهى بسرعة.

___ كم أنت جميلة في الفستان الأبيض!

___ هذا من ذوقك.

___ لم أكن أتوقع أنني سوف أتزوج بهذه السرعة!

___ ولكني توقعت.. أقصد توقعت أن أتزوج بهذه السرعة، كان

هذا حلمي..

___ أتمنى أن أكون الرجل الذي تحلمين به.

___ وأتمنى أن أكون مثالية في عينيك.

___ أنت مثالية بالفعل، لقد قالت لي الخالة فتحية أنك شعلة

من النيران.

___ لم أفهم ماذا تقصد بالتحديد؟! هي قالت لي أنك تريد زوجة

مشتعلة كالنيران، ولكنني لم أفهم..

___ أقصد أنني أمقت البرود، أريد أن أعيش الحياة بعنفوان.

___ فهمت قصدك، وأنا مثلك، أمقت البرود. أنا أكره الشتاء
بالمناسبة، لا أستطيع أن أتأقلم معه.

___ الشتاء للنار شيطان مارد، والصيف للنار الملاك الحارس.

___ أحب الصيف، هل تعلم؟ أنا أحب أن أموت من حرارة الجو،
ولا أعيش ارتعاشة برد واحدة!

___ مثلما قالت عمته، أنت شعلة نار، أنت ما تمنيت.

ابتسما وتحدثا وأكلا وشربا ومزحا معاً. اعترف لها لماذا يكره
البرود؟ ولم يرد أن يتزوج إلا بامرأة ملتهبة المشاعر:

___ أحببتها بعنف، هي أحبتي، ولكن ببرود. كانت قطعة ثلج،
لا تشعر بشيء.. لا تحب ولا تكره، لا تبكي ولا تضحك، لا تسعد ولا
تحزن! شعرتُ أنني أحب صنماً، ومع ذلك كنت أحبها. حتى خيرها
والديها بيني وبينهما، لم يوافقا عليّ لأنني ليس معي شهادة عليا، هم
من النوع الذي يفضل تزويج ابنته لطبيب فقير ولا يزوجونها للملياردير
غير متعلم، وبكل بساطة تخلت عني! دون أن يهتز لها رمش. أتتخيلين!

___ كنت أتمنى أن أصبح مثلها، جماداً لا يشعر. ولكن مشكلتي
في الحياة هي زيادة حساسيتي تجاه الأشياء، أحزن بشدة، وأفرح
بشدة وأغضب بشدة!

___ لأنك حية، أما هي، فقد كانت ميتة. لذلك حلفت أن أتزوج من امرأة عكس شخصيتها تماماً.

___ أحببته بكل مشاعري، لم أقل له: «لا» على شيء، حتى أنه قبلني، واحتضنني، ولم أقل له هذا حرام، أطعته وعصيت الله، وعندما قلت له: «نتزوج». قال: «أهلي».. استغنى عني وتركني.

___ هو الخسران.

___ هي أيضاً خسرت كثيراً.

قاما ورقصا، وشربا عصيراً طازجاً، ثم دخلا الشرفة حيث الهواء والجو الجميل وجلسا على كرسيين متجاورين:

___ أتعلمين؟ أنا لست راضٍ عن نفسي، في البداية أهملت دراستي، أدفع ثمن ذلك كل يوم عندما يسألني الآخرون: «ما شهادتك؟»، ثم أهملت في صحتي! صرت أكل بشراهة حتى زاد وزني، لم أعد أستطع أن أكف عن تناول الطعام، أصبحت مدمناً! ولكني أشعر أنك سوف تغيريني.

___ أنا أيضاً لست راضية عن نفسي، ولكني لا أكل كثيراً، أنا فقط.. بعيدة جداً عن الله! أحياناً أشعر به موجوداً بداخلي، فأقوم وأتوضأ وأصلي بخشوع، وأظل أبكي وأدعو. ولكن هذه الحالة لا

تحدث كثيراً، بل لم تحدث إلا ثلاث أو أربع مرات في حياتي كلها، وكل مرة كان يوجد سبب لهذه الحالة، تارة لأنني سمعت برنامجاً دينياً خوِّفني من عذاب النار، وتارة لأنني واجهت مأزقاً لا يمكنني الخروج منه.. وهكذا، ولكنني لم أستطع أن أواظب على الصلاة أبداً، لا أتذكر الصلاة! بل لا أتذكر الله!

__ الله؟ أحياناً يغيب عن بالي! أنا أيضاً لا أصلي، أنسى الصلاة دائماً! ولكنني أصوم في رمضان، ليس كل الأيام بالطبع، أصوم أول أسبوع، أسبوع ونصف.. ثم يصيبني الفتور. أجوع وأكل، سأقول لك سرّاً، أنا آكل قبل المغرب بقليل، لا أستطيع أن أتحمل آخر ساعة صيام!

__ أنا أصوم دائماً، إلا إذا كنت مريضة، أو لا أشعر أنني على ما يرام، أكل كي لا أدوخ وأتعب.

لاحظنا أن نور الصباح قد أشرق، سرقهما الوقت وأخذتهما الحكايات إلى عالم آخر. فضحكا، ثم دخلا غرفتهما وأغلقا الباب..



بعد أن تزوجت جدوة، وانتقلت إلى منزل زوجها، لم تجد راجية إلا فتنة لتأمرها بإنجاز جميع أعمال المنزل، فكانت تقوم بغسل الصحون وكي الملابس وتلميع الأرضيات وغسل الفاكهة، أما الطبخ

فكان من نصيب مرام، كانت فتنة تتأفف وتتذمر وتعترض ولا تملك إلا أن تنفذ أوامر والدتها.

— يا أمي لقد مللت، جذوة كانت تتحمل الكثير! كيف كانت تقوم بكل هذه الواجبات بدون أن تعترض؟

— لأنها ليست مدللة مثلك، أنت لا تصلحين لشيء؛ لذلك طلقك زوجك من الشهر الأول، لم يتحملك.

— أمي لا تثيري غضبي الآن.

— هيا اغسلي لي بعض الفواكه لآكلها.

— يا أمي وزنك في ازدياد دائم، سوف تنفجرين.

— كيف تجرؤين يا غبية أن تقولي ذلك؟ هيا قومي.

ذهبت فتنة لتنفيذ أوامر أمها ثم عادت ومعها صحن ممتلئ بالفواكه المشكلة.

— ما هذا؟ العنب معصور عصراً! لا بد أنك كنت غاضبة وأنت

تغسلينه، تفعلين مثل أختك جودي، فتايات لا تحتملن!

— كلي في صمت يا أمي، هذا البيت أصبح لا يطاق.

— هل ستمكثين في هذا البيت الذي أصبح لا يطاق، كالبضاعة

البور كثيراً؟

___ وماذا بيدي أن أفعل؟

___ تزوجي.

___ هل أنزل الشارع وأشحذ عريساً لله؟

___ فتنة، لا تستخفين بكلامي؟ أنت تعلمين جيداً ما الذي أقصده، هناك بدلاً من العريس ثلاثة ينتظرون رأيك، اختاري واحداً منهم.

___ ثلاثة؟ قولي لي ما المميز فيهم؟ الأول متزوج ويريد أن يتزوج للمرة الثانية بلا أي سبب منطقي، زوجته الأولى لا يعيها شيء! ولكنه قرر أن يتزوج لأن الشرع سمح له بذلك! يُطبّق الدين على حسب هواه. والثاني مطلق ولديه ثلاثة أولاد في المدارس، قال بدلاً من أن يستأجر خادمة ويدفع لها راتباً شهرياً، فليدفع مهر زوجة تخدمه طوال العمر بدون أن تطلب أجارة. أما الثالث فهو أعزب.. حمداً لله! أعزب، في عقده الخمسين! أي أنه من جيل أبي! ومن جيلك..

___ اخرسي.. أنا لم أتعد الأربعين بعد.

___ أهذا كل ما أزعجك في كلامي؟ بل تعديت الأربعين منذ زمن.. اكذبي على أصدقائك كما شئت، ولكنك لن تكذبي عليّ، رأيت شهادة ميلادك آلاف المرات.

___ فتنة، اعلمي أنك تطلقت، ومن الشهر الأول، لن يطلبك للزواج إلا هذه النماذج المتاحة أمامك، لا تحلمي بأن يطلبك شاب أعزب صغير في السن، لا تحلمي ولا تفكري في ذلك أبداً، أنت مجبرة أن تختاري من هؤلاء.

___ لن أختار منهم يا أمي، لن أتزوج، سوف أعيش هكذا أفضل.

___ لا يمكنك أن تفعلي ذلك، لن أسمح لك، سوف تتدمين وقت لا ينفع الندم.

___ ولماذا سأندم؟

___ لأنك محتاجة أن تتجبي، محتاجة أن يكون لك بيت ورجل يحميك، هذه هي سنة الحياة، لا بد أن تتزوجي، وإلا سوف تعيشين وتموتين وحدك. ولن يشعر بك أحد!

شعرت فُتنة بالمهانة والندم، ليتهما لم تتسرع وتتزوج من لؤي قبل أن تعرفه جيداً، لم تخرج من تلك المحنة فُتنة الفاتنة، بل أصبحت فتنة المطلقة الموصومة بالعار، المشكوك في أسباب طلاقها، حقّ الزواج من رجل آخر مناسب، قد سلبَ منها ولم يعد من حقها، وألسنة الناس كالجراد الملتصق تلاحقها أينما كانت، يبصقون: «أنتِ مُطلقة» في وجهها كلما صادفوها، إذا فكّرت أن تفرح وتفرح، ذكروها بأنها باتت مطلقة، وأن سعادتها تعني عدم تحملها المسؤولية، وعدم شعورها

بكبّر المأساة التي أصبحت تعيشها، كأن المطلقة ارتكبت جرماً يستحق
الرجم!



obeikandi.com

(١٨)

جلس محمد يفكر في كلام صالحة بتآن، هل يزوج ابنته في هذا السن الصغير؟ قبل أن تنتهي دراستها في الجامعة؟ لا.. لا يمكن! لقد رسم لها مستقبلاً آخر، ماذا لو انشغلت بالزواج عن دراستها؟ سوف يضيع مجهوده لسنوات إذا خطى خطوة غير مدروسة؛ لذلك قال لصالحة حاسماً الأمر:

___ لن تتزوج رزان إلا بعد أن تنتهي دراستها، التخرج أولاً، إذا كان يريد أن يتزوجها فلينتظرها.

___ وهل ينتظرها ثلاث سنوات يا محمد؟

___ إذن لا ينتظر! هو حر، ولكن ابنتي لن تتزوج إلا بعد تخرجها من الجامعة.

___ أنا خائفة عليها يا محمد، لا أعلم كيف أقول هذا لك؟ ولكنني أشعر أن قلبها يميل للشباب سريعاً، تحب بسرعة، أقصد أن لديها استعداداً أن تحب و..

___ ما هذا الكلام الفارغ يا صالحة؟ ابنتي عاقلة ومحترمة، ولا يوجد زواج قبل التخرج. هي كلمة واحدة.

لم يقتنع محمد بالرغم من محاولة صالحة، لم تلح عليه كثيراً لأنها كانت مقتنعة بسبب رفضه، لم تتخيل أبداً أن ابنتها ستتزوج قبل التخرج من الجامعة، ولا تستصيح الفكرة، ربما انشغلت بزوجها وأهملت دراستها دون أن تحصل على الشهادة، فيضيع مستقبلها تماماً، فكّرت كثيراً حتى توصلت إلى حل وسط يرضي جميع الأطراف: __ اتفقت، أنا وأبوك، أن يتقدم لك مؤمن رسمياً؛ لنتفق على موعد الخطبة، فليخطبك حتى تتخرجين من الجامعة.

__ خطبة؟ قلت لك اقنعه بالزواج، هل سيخطبني لمدة ثلاث سنوات؟

__ نعم، وما المشكلة؟

__ أريد أن أعلم ما مفهوم الحلال والحرام عندكما؟

__ ماذا تقصدين؟

__ هل حلال أن يخطبني مؤمن بدون عقد نكاح لمدة ثلاث سنوات؟
وحرام أن يعقد عليّ النكاح كما هو معروف في الإسلام؟ كيف؟

__ لماذا تريدان أن تكتبا عقد نكاح من الأساس؟ لا أفهم!

__ حتى إذا سلّم عليّ، صار السلام حلالاً! وإذا اقترب مني، صار اقتربه حلالاً، لماذا تريدون أن تجعلانا نغضب الله؟

— روزا .. لو علمت أنك سلّمت عليه، بيدك فقط، سوف أقتلك، هل تفهمين؟ طوال فترة الخطبة لا تقتربي منه أبداً، ولن نسمح لكما بالخروج سوياً بدون محرم، ولن تجلسا بمفردكما أبداً.

— ولماذا لم تمنعوني من السلام باليد على جميع رجال العالم من قبل؟ هل إذا سلّمت على غريب يصير حلالاً، وإذا سلّمت على خطيبي يصير حراماً؟

— أنت مجادلة كبيرة، وأنا اختتقت، سوف أذهب لأشم الهواء في الشرفة.

— بل تهريين لأنك لا تستطيعي أن تجاوبي على أسئلتني.

رزان كلامها صحيح، هم لم يمنعاها من قبل أن تسلّم باليد على أي رجل من قبل، ولن يكتبها عقد النكاح، وسوف يطيلان فترة الخطبة لسنوات، هذا غير محبب، ولكنهما يجدان أن هذا الحل هو الأنسب، إذا كتبا عقد نكاح، سوف يترتب على ذلك مشاكل هم في غنى عنها، ربما حملت رزان قبل يوم زفافها! ستكون فضيحة كبيرة، نعم هو زوجها، ولكنهما لم يزفا إلى منزلها بعد؛ لذلك يجب ألا يعقدا قرانهما، حتى وإن اكتسبا ذنوباً متشعبة من لمسة هنا وغمزة هناك، تظلّ ذنوب صغيرة حراماً، خير من فضيحة كبيرة حلالاً! نحن في زمن يخاف فيه الناس من كلام الناس، ولا يخافون من خالق الناس، نغضب الله كثيراً، في مقابل أن ننال احترام الناس.

تمت الخطبة بسرعة، حضرت جذوة والبنات والنساء وأزواجهن، كان حفلاً عائلياً صغيراً في منزل رزان، أقرب إلى جلسة تعارف بين عائلة رزان وعائلة مؤمن، ليلتها، حاولت جذوة أن تُلطف الجو بينها وبين البنات، حتى أنها أهدت رزان عطراً رخيصاً بمناسبة خطبتها، هذا التصرف أثار استعجاب الفتايات! ما الذي جعل جذوة تحاول أن تصلح العلاقة بينها وبينهن؟ هل عادت إلى رشدتها؟ أم أنها تخطط لشيء غير مفهوم؟ لقد رجحن جميعهن الاحتمال الأول. جذوة تغيرت وأصبحت ودودة! ماذا لو أعطوها فرصة لتصبح واحدة منهن مرة أخرى؟ ربما تغيرت فعلاً، لن يخسرن أي شيء. أصفياء القلوب دائماً يرجحن الاحتمالات الإيجابية، أصفياء القلوب غالباً يعجزون عن فهم كُنه الشر المحيط بهم.

بعد الخطبة، لاحظت رزان أن جذوة تتصل بها يومياً بحجة الاطمئنان عليها وعلى أحوالها. تتودد لها، وتحكي لها عن أسرارها مع زوجها، تحاول أن ترجع علاقتهما كما كانت من قبل، رزان كانت سعيدة بمبادرة جذوة لاسترجاع الصداقة القديمة، ولكن ظلّ شعور بداخلها يقول: «احذريها، ربما لدغتك فجأة» ظلّت رزان في حالة ترقّب، هل سوف يرجعان أصدقاء مثلما اعتادت؟ أم أن جذوة تضمر الشر؟ رجّحت الاحتمال الأول!

قالت جذوة لرزان في مكالمة فضفضة:

— أوتعلمين يا روزا؟ أشعر أن كاظم لديه استعداد أن يحبني بصدق، قال لي أن بيدي مفتاح تغيير حياته كلها إلى الأفضل! قال لي «يا جودي أنا أشعر أنك سوف تجعليني إنساناً بحق» هل تتخيلين؟

— أشعر أنه شاب محترم ونقي يا جودي، لا تحزنيه أبداً.

— بالطبع، لن أجعله يحزن، إنه رائع.. على الأقل معي، قال لي أنه سوف يخسر نصف وزنه من أجلي.

كان كاظم على استعداد كامل بأن يسلم نفسه لجذوة، يترك لها ذاته لتشكلها كيفما تشاء، يشعر بحماس شديد لكي يبدأ حماية ليخسر وزنه، سوف يفعل ذلك في وقت قياسي من أجلها، حتى أنه لم يعد يتناول وجبة العشاء منذ أسبوع.

— اتفقنا أن نذهب للتنزه، أنا ومؤمن، ولكن يجب أن أصطحب أحداً معي، أمي وأبي لا يسمحان لي بالخروج معه بمفردنا.

قالت جذوة بحماس زاهد يريد أن يقدم معروفًا للبشرية:

— لا تقلقي، إذا أردت سوف آتي معك، المهم أن تتقابلا.

— حقاً؟ شكراً لك يا جودي، أنا بالفعل بحاجة أن أقابله غداً.

___ أنا تحت أمرك يا حبيبتى.. متى شئت أن تقابليه افعلي، أنا موجودة دائماً. تذكري ذلك!



اصطحبهن مؤمن إلى مطعم فاخر، ارتدت رزان فستاناً بسيطاً زهري اللون، وطرحة شيفون تخفي شعرها، بينما فضلت جذوة أن ترتدي فستاناً أحمر ضيقاً، قالت لزوجها أنها سوف تصطحب رزان لمقابلة خطيبها، وهو لم يمانع. ولكنه سألها لماذا لم ترتدي الحجاب، فقالت أن أباهما كان يغضبها عليه، وطالما أنها مستؤلة منه الآن، لن ترتدي الحجاب مرة أخرى إلا عن اقتناع.

___ مبارك عليكما الخطبة يا مؤمن.

___ شكراً يا..

___ جودي.. قلت لك اسمي في حفلة الخطبة، ولكنك ربما لم تنتبه.

___ آه آسف، أنت تعلمين.. كنت مرتبكاً قليلاً.

قالت رزان:

___ اسمها جذوة، ولكننا نناديها بجودي.

___ جذوة؟ وما معنى هذا الاسم؟ لم أسمع به من قبل!

قالت جذوة ناظرة في صميم عينيه بجرأة:

___ نار.. شعلة من نار.

شعر مؤمن بأن هناك شيء ما مريب خلف نظرتها، ولكنه تجاهلها ووجه كل تركيزه لخطيبته رزان، امتدح جمالها، وفستانها، وطرحتها، وضحكاتها، وخجلها، والخصلة الهاربة من تحت غطاء رأسها.. قابلت كل هذا المدح بضحكات خجلة ناظرة إلى الصحن الفارغ أمامها، لم تستطع أن تنظر إلى عينيه من فرط الخجل، كان ينظر لجذوة بين الفينة والأخرى، فيجدها مبتسمة كنمر مفترس ينظر إلى فريسته، تنظر في عينيه مباشرة ولا ترف.. فيبعد نظراته عنها هارباً، ويتساءل: «أهذه طبيعتها أم أن هناك شيء غريب وراء تلك النظرات الغامضة؟ هناك شيء ما لا أستطيع أن أفهمه!»

عندما أحضر النادل الطعام، تناولت رزان الملعقة بعفوية؛ لتأكل الأرز، فنظرت لها جذوة وقالت:

___ أتأكلين الأرز بالملعقة يا روزا؟ هذا ليس من «الإتيكيت»!

خجلت رزان، وخاصة أن خطيبها موجود وسمع هذا الكلام، لم تستطع أن ترد، سكتت وتوقفت عن تناول الطعام.. تفكر كيف يمكنها أن تداري خجلها أمامه دون جدوى.

— لا يهتمك يا حبيبتي، كنت مثلك قبل عام أو اثنين، انظري لي،
سوف أعلمك كيف تأكلين بأناقة، الأرز يؤكل بالشوكة، هكذا..

تناولت جذوة الشوكة الخاصة بها لتعلم رزان كيف تأكل الأرز،
ولكن مؤمن قاطعها:

— هل الأرز يؤكل بالشوكة؟ كم أنت صبورة يا جودي.. أنا لا أكل
الأرز إلا بالملعقة، مثل روزا.

قالت جذوة بارتباك حاولت أن تخفيه:

— حقاً؟ إنها حرية شخصية على كل حال. ولكني أفضل أن
أتبع «الإتيكيت»..

عدى موقف الشوكة والملعقة، لم يحدث أي شيء يعكر صفو
المقابلة، عادت رزان إلى منزلها سعيدة، كانت تفكر كيف أحببت راغب
دون أن تسمع صوته أو أن تعرف عنه أي شيء؟ كيف اختلقت شخصية
من وحي خيالها وركبتها على صورة راغب وأحببتها؟ كيف حبست
روحاً من صنعها في غرفتها وطالبتها بأن تكون حقيقية كالروح التي
ينفخ فيها الله حياة؟! تأكدت الآن أنها كانت مراهقة، تريد أن تحب
من أجل الحب، تحب الحب، وتصنع الروح، ولم يكن ينقصها إلا
الصورة الخارجية.. الجسد. وعندما اختارت راغب، اكتشفت أنه
ليس إلا الجسد، أما الروح، فوجدتها في مؤمن تماماً كما تخيلتها،

أحبت فيه أنه حقيقي جداً . يمكنها أن تلمسه لتتأكد أنه موجود، لحم
ودم وحب ..

لم تعطِ مؤمن أي مميزات مسبقه، بل كانت تكتشف فيه كل يوم
ميزة تفرض نفسها، أما راغب، فقد كان يفقد المميزات التي وهبتها
له كلما مر الوقت .. حتى اكتشفت في النهاية أنه لا يملك ما توقعت
أنه يملكه .

لم تندم، فقد كانت تجربة مهمة لتتعلم منها الكثير .



obeikandi.com

(١٩)

قالت لهن أمهن ذات يوم، أظعن أزواجكن، وكن لهن كما يشاءون،
«كما يريدك زوجك كوني يا ابنتي».. نفذن كلام أمهن كل على طريقتهما،
وحرصن أن يرضين أزواجهن بقدر المستطاع، ولكن النتائج جاءت على
غير أهوائهن، تحملن النتائج برضى، ثم سخطن بالتدريج حتى وصلن
لمرحلة الغضب فتمردن. أما طائفة فقد جرحت جرحاً لن يندمل
أبداً، زوجة زوجها أنجبت الصبي! هذا جرح، وشخصية زوجته، جرح
آخر.. لم تسأله أبداً «من هي؟»؛ لأنها لم تتوقع أبداً أنها تعرفها:

___ قمر يا ظافر؟ قمر جارتنا؟

___ نعم قمر، وما المشكلة؟ هل كنت ستفرحين لي إن تزوجت من

غيرها؟

___ لا أصدقك! كيف؟ ولكن قمر.. قمر متزوجة! كيف تتزوج من

امرأة متزوجة؟ هذا يعتبر زواج باطل.

ضحك ظافر بهيستيرية وقال:

___ لا تعلمين ما الذي حدث؟! لقد تطلقت من زوجها قبل زواجنا

بيومين فقط، في البداية أعجبت بها، كانت مازالت متزوجة من المعتوه

زوجها، بادلتني نظرات الإعجاب وتقابلنا في منزلها.

فغرت طائعة فاها وقالت:

___ في منزلها يا ظافر؟

___ نعم نعم.. (أكمل ضاحكاً) تسلكت إلى منزلها وكان زوجها نائماً في الغرفة المجاورة، لم أحدث صخباً، اتفقنا على الهرب سويًا، وبعد أن نهرب، تطلب منه الطلاق. لكن خطتنا فشلت، سمعت صوت خشخشة داخل الغرفة فهربت قبل أن يراني، ولكنها حكّت لي بعد ذلك أنه سمع صوت رجل يحاكيها، وأنه متأكد من ذلك، فطلقها في اللحظة ذاتها وطردها خارج المنزل، ذهبت لتبيت عند صديقتها ليلتين حتى رتبت أموري وأجرت شقة صغيرة ورخيصة، قريبة من هنا، انتقلت لتقيم معي في الشقة وتزوجنا.

قالت طائعة مصعوقة:

___ تتزوج امرأة مطلقة أثناء عدتها يا ظافر؟ حرام، هذا الزواج باطل!

قال ظافر غاضباً:

___ هل كلما حكيت لك شيئاً تقولين حراماً وحلالاً؟ هل صرت

مفتياً دون أن أدري؟

___ ولكنها في أشهر العدة يا ظافر، تحمل منك في أشهر العدة؟

هذا يعتبر زنا.

قال ظافر رافعاً يده يهددها بالضرب:

— اخرسي وإلا صفعتك على وجهك، قمر زوجتي، وأم ابني،
أنت عجزت أن تلدي الصبي، أنت السبب في كل ذلك.

— وما الفرق بين الولد والفتاة؟ ثم هل أنا التي عجزت عن
ذلك؟ بل حيواناتك المنوية هي التي عجزت عن ذلك! أنا لا أهب ذكوراً
ولا أهب إناثاً أيها الجاهل، بإذن الله سوف يجازيك الله على ظلمك
لي، وسوف تتعذب في نار جهنم يا من تزوجت في الحرام من امرأة
في شهور العدة، رجل لا يخاف الله مثلك سوف ينال جزاءه، وبعد أن
صارحتني بكل هذه المصائب التي فعلتها، لا بد أن تطلقني الآن.

— لن أطلقك.. سوف تظلّين معلقة هكذا. بيتٌ أنت فيه أصبح
لا يطاق، سوف أذهب إلى أم ابني.

خرج ظافر مغلقاً الباب خلفه، وخرج قلب طائعة وراءه لبيتوه
وسط زحام الشوارع وصخب صراخ قلوب البشر.



obeikandi.com

(٢٠)

أخذ محمد أجازة من العمل لمدة يومين عندما شعر أنه بحاجة إلى الراحة من أعباء العمل، استيقظ، على غير العادة، متأخراً، تناول وجبة الغداء مع زوجته وابنته واقترح عليهما أن يخرجوا للتنزه.

قالت صالحة باستغراب:

___ هل أنت جاد فيما تقول؟ أم أنك تمزح معي؟

___ بل جاد جداً، وهل من الغريب أن نخرج سوياً للتنزه؟

___ بل الغريب أنني سمعت صوتك من الأساس! أنا لا أصدق

أذني! هل أنت تتكلم معي الآن فعلاً؟ أم أنني أتوهم؟

ضحك محمد وكان مُقدراً ومتفهماً:

___ أعرف أنني مقصر في حقك يا صالحة، عيب النساء أنهن

يجبن الثرثرة، لا بد أن تكوني متأكدة، خاصةً بعد هذا العمر، أنني

أحبك. لا يهم أن أقولها يومياً حتى يطمئن بالك. صرنا أكبر من هذه

الظنون السوداء التي تستحوذ على أفكاركن، ثقي بي، وبحبي لك.

سألته صالحة وهي تعلم الإجابة مسبقاً:

___ أتحبني حقاً؟

— بالطبع يا صالحة أحبك! وهل لي غيرك؟ أنت أمي وأبي

وأختي وحياتي يا صالحة، بدونك أنا لا شيء!

دمعت عينا صالحة وقالت محاولة أن تخفي تأثرها بكلامه:

— ولكنك لا تحدّثني أبداً، تشعرني طوال الوقت أن التلفاز

والبرامج السياسية أهم مني.

ضمها محمد إلى صدره بحنوّ وقال:

— صالحة.. يا عزيزتي.. أنا أعمل طوال النهار، وأعود إلى

المنزل متعباً، وتعرفين أنني لا أستطيع أن أغفو وسط النهار، فأظل

مستيقظاً حتى المساء بنصف عقل، لا أقوى على الكلام أو الحركة

من فرط التعب، أنت تعرفين.. الشمس حارقة والجو حار، بالإضافة

إلى أنني طعنت في السنّ، وعقلي، تباً له، لا يتوقف عن التفكير،

رزان ومشاكلها ومتطلباتها وتجهيزها للزواج وجامعتها، واحتياجاتك

واحتياجات المنزل وتوفير المال وكل هذه الأمور، وأنت لا تهتمين إلا

بالثرثرة، ربما لأنك تملّين وتشعرين بالضجر. أقدّر مشاعرك، أنا

نويت اليوم أن أخرج معك، هيا قومي وارتي ملابسك.

بُهتت صالحة من هذا الكلام، هيأ لها الشيطان أن محمداً صنم

لا يحسّ، ولكن مشاعر الود التي تكنّها له بدأت تحيا من جديد بعد

أن أذاقها جرعة صغيرة من حنانه القديم، انتهت عندما قال:

— هيا قومي وإلا سوف أتكاسل وأغير رأيي.

— لا لا سوف أقوم حالاً..

قامت صالحة مسرعة فرحة لتجهّز نفسها للخروج، ما لبثت فرحتها أن تلاشت عندما تذكّرت الجرم الذي ارتكبته في حق زوجها! تحدّثت مع رجل غريب على الفيس بوك؛ مُنتقمة من صمت زوجها، أو من زوجها نفسه، لا تعلم، ولكنها لم تستفد شيئاً. كيف أقنعت نفسها أن ما تفعله يسمّى انتقاماً وهو لا يعلم عن أفعالها شيئاً؟ فكّرت أن تعترف له بالأمر وتتهمه بأن سكوته القاتل هو السبب، وربما يُغيّر من طبعه ويعود مثلما كان، ولكنها لم تجرؤ على فعل ذلك، تناولت جوالها وأغلقت حسابها على الفيس بوك، لن تودّع هذا الرجل الإلكتروني، ولن تعتذر له، لن تتحجج بأي شيء وتخلق الأعداء كي تتركه. سترحل عنه في صمت كما أتت إليه في صمت. يمكنها أن تخفيه من حياتها نهائياً بضغطة زرّ، ولكن هل يمكنها أن تكفّر عن ذنبها بضغطة زر أيضاً؟ تعرف أنها لا تستطيع، وهذا أكثر ما ألمها، جلدها كرباج الندم وحرقتها نيران ضميرها الملتهب، لم تعد تفكر إلا في شيء واحد: «كيف سيسامحني زوجي؟ بل كيف سأسامح نفسي؟»

أجيال جديدة تولد من أرحامنا، إما أن نُسقيهم الفضائل
التي افتقدناها، أو نلعنهم بقيّة العمر بذنوبنا..

___ حامل؟ لا أصدق! هل سأصبح أباً؟!

قالها ثريٌّ باكياً بدلاً من الدمع سعادة، لم يتمالك مشاعره عندما تخيل أنه سوف يصبح أباً لطفل من صلبه، ومن حبيبة قلبه ذكاء! حملها مبتهجاً ودار بها مُتمنياً أن تظهر له جناحات ليطير بها فوق البنايات مخترقاً السحاب السابح في السماء، لم يقطعه عن هذه الأمنية إلا تأفّفها وضيّقها عندما قالت ممتعضة:

___ ما هذا الأسلوب؟! هل أنت مرهق يا ثري كي تحملني هكذا؟
اتركني أنا متعبة.

قال لها مصدوماً بقيح الواقع مقارنةً ببهاء الخيال:

___ لماذا يا ذكاء؟ لماذا تفعلين معي ذلك؟

___ وماذا فعلت؟ هل أتركك تحملني وتعرضني للخطر أثناء حملي وإلا تغضب؟

___ لا، بل لماذا صرت بهذا البرود؟ ألا تشعرين بنفسك؟ أنت كالثلج جامدة وباردة!

___ هذا أنا.. ولن أغير.

___ هل تضغطين عليّ لأنك تعلمين مدى تعلقي بك؟

___ ثري.. اجلس، سوف نتحدث قليلاً؛ كي ننتهي من هذا الموضوع برمته.

جلس ثري محاولاً أن يستمد الصبر من السماء، على أمل أن يسمع تبريراً ما يريح قلبه، أما ذكاء فقد جلست بجواره وأمسكت كفه بحنان وقالت بجديّة:

— ثري.. أنا سوف أكون صريحة جداً معك. ربما لم نتعرف ببعض بما فيه الكفاية قبل زواجنا، أنت تعلم أننا تزوجنا على عجل. لا.. لن أقول أنني نادمة أو أنني تسرعت أو أي شيء من هذا القبيل، على العكس تماماً، أنا فخورة وسعيدة لأنني تزوجتك. ولو رجع بي الزمن مرة أخرى لاخترتك زوجاً لي، أنا سعيدة لأنني سأنجب منك طفلاً. ولكن.. يجب أن تتفهم طبيعتي يا ثري، أنا لست تلك الأنثى ملتهبة المشاعر، لا أتأثر كثيراً بقصص الحب، ولا تدمع عيناى إذا شاهدت مسلسلاً رومانسياً! لا أبكي بحرقة إذا توفى أحدهم، هذا لا يعني أنني عديمة الإحساس بالطبع، ولكنني لا أفرط في مشاعري. أنت تعتقد أن هذا برود، ولكنه ليس كذلك، ربما تعتقد أيضاً أنني لا أحبك، ولكن هذا غير صحيح، أنا أحب كل الناس ومن ضمنهم أنت، ولكنني لا أعشقتك، نعم أنا لست مغرمة بك، وأعرف أن صراحتي ربما تكون جارحة، لا تحزن، لا أقصد أن أحزنك، أنا فقط... لست كبقية الفتيات، لا أهتم بالمشاعر على حساب عقلي، هل تفهمني؟ هذا لا يعني أنني لا أحبك..

سألها ثري بحزن مترجياً:

___ ألا يمكنك أن تغيري هذه الطبيعة من أجلي؟

___ لا يمكنني يا ثري، وهل يمكن لأحد ما في هذا الكون أن يغير

من طبيعته التي فطر عليها؟

___ لا أعلم، ربما لو طلبت مني أن أتغير فسوف أفعل ذلك من

أجلك.

___ إذن سأطلب منك أن تكون مثلي، لا تكن مفرط المشاعر

وحساساً هكذا، كن مثلي! هل تستطيع؟

سكت ثري وهو يعلم أنه لا يمكنه أن يصبح ككومة الثلج جامدة

مهما حاول! لا يمكنه أن يسيطر على مشاعره وألا يبكي كلما رأى

مشهد فراق في مسلسل أو فيلم! لا يستطيع.. إنها طبيعته؛ لذلك قرر

متفهماً أنه سوف يحاول أن يتقبل زوجته كما هي، باردة كالثلج.



___ روزا.. أريد أن أقابلك بأي طريقة اليوم.

قالها مؤمن ولم يستطع صبراً- افتقد رزان واشتاق لها- أما هي

فردت عليه بسعادة:

___ ولكننا تقابلنا أول أمس!

___ أريد أن أقابلك الليلة وإلا سوف أموت شهيد الشوق!

قالت:

___ استأذن من أبي ربما يوافق.

___ سوف يقول لي تعال إلى المنزل، ثم يجلسون، هو وأمك، يراقبوننا بأعينهم ويسمعون كل كلمة ننطق بها، لا أرتاح هكذا، أريد أن آخذ حريتي في الكلام.

___ حسناً.. سوف أحاول، اغلق الخط الآن وسوف أتصل بك بعد قليل.

فور انتهائها المكالمة مع مؤمن، اتصلت رزان بجدوة:

___ جدوة أرجوك، أريد أن أقابل مؤمن الآن.

___ الآن؟ لماذا هل حدث مكروه؟

___ لا لا لم يحدث شيئاً، لقد اشتاق لي ويريد أن يقابلني الليلة، لن يوافق أبي إلا إذا علم أنك معي.

___ اشتاق لك؟ حسناً سوف آتي.

قالتها جذوة ضامرة شيئاً ما في نفسها. أغلقت الخط مع رزان ثم توجهت إلى الحمام. أملاّت حوض الاستحمام بماء ساخن حدّ الغليان، لمست الماء بأطراف أناملها فانتشت، تُحب الماء مغلياً، خلعت ملابسها وانغمست في المياه غارقة في أفكارها، لم تتحرك ولم تفتح عينيها المغمضتين إلا بعد أن اعتادت حرارة الماء، جففت جسدها وشعرها ثم ارتدت بذلة سوداء أنيقة اشتراها لها زوجها، رفعت كفها الأيسر متأملة خاتم زواجها لبضع دقائق، ثم خلعتة ووضعته في درج الإكسسوارات، كحلت عينيها، ودهنت شفاهها بأحمر شفاه فاقع اللون صارخه.

— إلى أين يا حبيبتي؟ لم تقولي لي أنك سوف تخرجين الليلة.

قالت له مبتسمة:

— وكيف لا أقول لك؟ كنت آتية لتصطحبني إلى المطعم الذي

سيقابل فيه روزا ومؤمن.

— حقاً؟ هل ستقابلينهما الليلة؟

— نعم، عزمتي روزا لكي أتناول العشاء معهم، والدها متشدد

قليلاً، ولا يسمح لهما بالخروج وحدهما.

___ نعم نعم مفهوم، إذا كان الأمر كذلك سأوصلك إليهما وأتركك معهما لأزور صديقي وأمضي معه بعض الوقت حتى تنتهوا من العشاء.

حرصت جذوة ألا تدخل المطعم مع زوجها. ودّعته على البوابة وداعاً سريعاً ثم دلفت إلى المطعم على عجل، كانت تعلم أن رزان لم تصل بعد، فقد اتصلت بها وأخبرتها أنها مازال أمامها ربع الساعة على الأقل حتى تصل المطعم، جيد.. لقد تعمّدت أن تسبقها ونجحت في ذلك، تلفتت يميناً ويساراً باحثَةً عن مؤمن، حتى وجدته جالساً يحتسي مشروباً ما، تبسّمت ومشّت إليه، عندما رآها حيّاهما فجلست على الكرسي المقابل له:

___ ألم تصل رزان بعد؟ توقّعت أن أجدكما قد وصلتما قبلي.

___ ربما علققت في الزحام.

___ نعم بالطبع، لكنها محظوظة جداً أن تجد شاباً رائعاً ويحبها مثلك.

___ أشكرك.

تنهّدت بحزن مصطنع، قطبت حاجبيها ونظرت إلى الأسفل ببؤس، لاحظ ذلك فسألها:

___ خير إن شاء الله يا مدام جذوة.. هل حدث مكروه؟

امتعضت، ولكن هذه المرة كان امتعاضها حقيقياً، رغم أنها حرصت ألا تظهر أمامه بجانب زوجها لؤي، إلا أنه ما زال متذكراً ولقبها بـ «مدام»، لا يهم، لن تفسد الخطة من أجل كلمة تفوه بها.

___ لا أعرف ماذا أقول لك يا مؤمن؟ يمكنك أن تقول أنه أمر شخصي جداً.

___ آه.. أعتذر، لم أقصد التدخل.

لم يكن ردّه هو المنتظر، كانت تريده أن يستفسر أكثر ويلح عليها بالبوخ بأمورها الشخصية، لا يهم.. ستصحح الوضع.

___ لا تعتذر، أنت صرت فرداً من العائلة. يمكنك أن تعرف أسراري.. أقصد أسرار العائلة، في الحقيقة يا مؤمن.. لدي بعض المشاكل الزوجية، أنت بالتأكيد لا تعرف ماهية هذه المشاكل لأنك لم تتزوج بعد، أنا متعبة جداً يا مؤمن، ربما سوف أصبح مطلقة قريباً!

استغرب أنها تحكي له عن علاقتها بزوجها بهذه البساطة، رجح أن هذه طبيعة أغلب البنات، لا يحتفظن بسر أبداً، حتى وإذا كان سرهن الشخصي، قال محاولاً إنهاء الحديث في موضوع لا يخصه:

___ إن شاء الله خير.

___ لا يوجد خير، أنا متعبة جداً.. لا يمكنني أن أعيش معه.

بكت، ارتبك! لم يعرف كيف يجب أن يتصرف وتمنى أن تأتي رزان بسرعة كي تخلصه من هذه الورطة، جلست تبكي بحرقرة وتتأوه، وهو حائر لا يعرف هل يسألها عن مشكلتها أم يصمت؟! حتى وجدها تضع يدها على رأسها وتضغط عليها بقوة:

___ ما بك؟ ما بها رأسك؟

___ أنا .. أنا .. سوف أموت!

خاف! هل ستموت حقاً؟! ماذا عليه أن يفعل؟ هل يأخذها إلى مشفى قريب؟ نهضت جذوة ممسكة برأسها متأوهة، ثم هوت على الكرسي فاقدة الوعي، نهض مؤمن مسرعاً، حملها بين يديه وتوجه إلى بوابة، قرر أن يذهب بها لمشفى قريب لأنه يعرف أنه لن يستطيع أن يسعفها بنفسه، قبل أن يخرج من البوابة وجد رزان أمامه فاغرة فاهاً. وبصدفة مُرتَّب لها، استفاقت جذوة وفتحت عينيها، ابتسمت قائلة:

___ أنا بخير يا مؤمن.

ثم وجهت نظراتها لرزان، وصوبت تجاهها ابتسامة لؤم:

___ مؤمن .. أنزلني من فضلك.

لم تكن رزان وحدها هي التي صُعِقَت عندما رأت مؤمن يحمل جذوة بين يديه، كاظم أيضاً كان يشاهد الحدث مشدوهاً، تضاربت الظنون في عقله، وكانت كلها ظنون سوداء، يقف في مكانه كاظماً غيظه، مُحاولاً أن يستوعب الأمر، تركها مؤمن مُتَعَجِّباً مُتَسَائِلاً: «كيف أفاقت فجأة وصارت بخير حال بعد أن كانت حالتها في غاية السوء مغشياً عليها؟!» لم تبهت ابتسامة اللؤم على وجهها إلا عندما لمحت زوجها مُقبلاً إليهم مسودّ الوجه، قالت مرتبكة:

___ كاظم؟ لماذا عُدت؟

قال ضاغطاً على أسنانه من فرط الغيظ:

___ نسيت جوالي في حقيبتك فعدت لأخذه.

قالت محاولة أن تبتسم:

___ تعال لأعرفك على رزان وخطيبها، هل تعلم ماذا حدث لي؟

اقتربا، كاظم ورزان، في صمت، وما زالت الصدمة مستولية على عقليهما، قالت جذوة مبررة لزوجها ما حدث:

___ لقد تعبت فجأة وشعرت بدوار، فقدت الوعي؛ لذلك حملني

مؤمن، ولا بد أنه فكر أن يذهب بي إلى المستشفى و..

___ جذوة.. تعالي معي.

قالت بجدّة مُعاندة ومكابرة:

— لم أفعل أي شيء، ولم أبتسم، أنت تتوهم. أنا كنت متعبة ولم أبتسم أبداً، حتى أنني قلت له: «أنزلني من فضلك» بضيق شديد.

— أتوهم؟ هل أكذب عيني وأصدقك أيتها الكاذبة؟

— نعم.. تتوهم لأنك مريض نفسياً، تحسب أن كل النساء مثل حبيبتيك الأولى؛ لذلك توهمت أنني سوف أتركك وأحب غيرك، إنه خطيب ابنة خالتي يا مريض، كيف سأحبه وهو خطيبها وسيتزوجان قريباً؟ أرايت؟ أنت مريض.

صمت، لم يتكلم، شكّ في نفسه للحظة: «هل أتوهم؟ لا لستُ مريضاً، بل هي.. هي المريضة، تحاول أن تشككني في نفسي» رآها بعينيه! كيف يكذب عينيه؟ كيف يكذب أذنيه؟ لقد كانت تبتسم وتتكلم بدلال، هو يعرف صوتها عندما تحب أن تتدلّل! يحفظه كما يحفظ اسمه.



اتصلت رزان بمهيضة باكية، حكّت لها كل ما حدث:

— لقد ارتعبت من المنظر الذي شاهدته أمامي! تذوّقت طعم الموت ألف مرة في دقيقة واحدة! لا تعلمين كم الألم الذي يمزقني من الداخل الآن! أريد أن أموت.

— اهدئي يا روزا، لا تفقدي أعصابك كي نحل المشكلة.

— نحل المشكلة؟ جودي مشكلة لا حل لها! كلما حاولت أن

أصغح عنها وأتقرب منها طعننتني في ظهري يا ماهي.

— إنسانة غريبة فعلاً!

— هل تحاول أن تسرق خطيبي كما سرقت راغب؟ هل ستتجح

وتسرق مني مؤمن أيضاً؟

— لا.. مستحيل أن تتجح، مؤمن إنسان محترم ويحبك جداً يا

روزا، يريد أن يتزوجك. وخطبك من أهلك ودخل بيتكم، لن يخونك.

— لقد كانت تبتسم في وجهي يا ماهي! نظرت في وسط عيني

وابتسمت، كأنها تريد أن تكيد لي كيداً، هل تتخيلين شكلهما؟ مؤمن

واقف أمامي، يحمل جودي بين يديه، وهي تلف يديها حول رقبته

وتبتسم لي! هل تتخيلين المنظر؟

— ياالله! نعم أتخيل! ولكنه بريء يا روزا. لقد قالت أنها كانت

فاقدة الوعي، وهو كان يحملها كي يوصلها إلى المشفى.

— ولكني لم أرها فاقدة الوعي، رأيتها بكامل صحتها! لم تكن

فاقدة الوعي!

___ ربما استفاقت بعد أن دلفتِ المطعم مباشرة يا روزا، مؤمن
لا يكذب.

___ ماذا أفعل؟

___ لم يحدث شيء، لن يستطيع أحد أن يفرق بينك وبين خطيبك
يا روزا، لا تخافي يا حبيبتي، تكلمي مع خطيبك وافهمي منه الأمر، أنا
واثقة أنه سوف يشرح لك كل شيء بصدق.



___ هل تريدان الطلاق؟

قالها كاظم بهدوء شديد في صباح اليوم التالي، أربكتها الكلمة،
لأول مرة تشعر بالخوف أن تخسره، لا تريد أن تتركه، حتى وإذا كانت
لا تحبه، تعرف أنها لم تخنه، كانت تخون رزان، أما هو، فلم تخنه،
تذكرت- في هذه اللحظة- أختها فتنة، لطالما نعتتها بـ «المُطلّقة»،
لو طلقها كاظم، سيجعلها علكة في فم أختها، قررت ألا تناقشه في
الموضوع، وتحسم الأمر إلى الأبد؛ كي لا يفكر في الطلاق مرة أخرى.
___ لا يمكنك أن تطلقني.

___ لماذا؟

___ أنا حامل في ابنك.

نزل عليه الخبر كالصاعقة، كان يفكر بجدية أن يطلقها، لن يتحمل فكرة أن تكون زوجته فاجرة تهوى الرجال.

___ حامل؟ هل أنت متأكدة؟

___ نعم، ذهبت إلى الطبيب، وأكّد لي ذلك.

في ظروف أخرى، لو سمع هذا الخبر، كان سوف يشعر بالسعادة الحقيقية لأول مرة في حياته، أما الآن، هو يشعر بتعاسة لا يعرف لها نهاية، هذا الطفل ربطه بامرأة خبيثة. امرأة تتشبث برقبة خطيب صديقتها، تقرب أنفها من ذقنه لتشم رائحته، وتحدثه بغنج! كيف سيأتونها على ابنه ومنزله؟ طلب من العمّة فتحية أنثى مشاعرها نارية دائمة الاشتعال، ولكنه لم يفكر أبداً، هل سيكون حبها الملتهب من نصيبه فقط؟ أم من نصيب جميع الرجال؟



قالت راجية وهي تويخ فتنة وتنهرها:

___ أخواتك، ذكاء وجذوة، حوامل، زوجة أخيك- مرام- حامل أيضاً، وأنت جالسة في منزل أبيك كالبضاعة البور! لا ينفع هذا الحال.

قالت فتنة باكية:

___ ماذا تريدان يا أمي؟ هل ستغصبيني على الزواج؟

— نعم سوف أغضبك طالما أنك لا تعرفين مصلحتك، لا يمكنك أن تظلي مطلقة هكذا. اختاري عريساً قبل أن يهربوا ثلاثتهم.

— حسناً يا أمي، كما تشائين، اختاري لي أنت، لكنني لا أريد أباً لديه ثلاثة أولاد، لا ينقصني أن أتزوج من رجل لا أعرفه ولا أحبه، وأصبح خادمة لأطفاله.

هللت راجية وزغردت:

— هذه هي ابنتي الحبيبة العاقلة الرزينة. أرى أن فادي شاب محترم، عمره خمسة وثلاثون عاماً فقط، ولا يوجد لديه أولاد، هو متزوج من أخرى ولكنه سئم منها، ربما لأنها لا تتجب، أنت سوف تتجبن له صبيهاً وسوف يتعلق بك لأنك أم أولاده، ومع مرور الوقت، ربما يفكر جدياً أن يطلق الأولى.

سكتت فتنه، أجبرت نفسها أن تتأقلم مع ظروفها كي لا تموت قهراً، خطأ واحد منها دمّر حياتها بالكامل: «لو لم أتزوج من لؤي النذل!» على كل حال، الزواج من أي رجل أفضل من لقب مطلقة، ومنزل زوجها سوف يكون منزلها، لن تذللها أمها وأخواتها بعد ذلك، ولن يهينوا كرامتها، لن تشعر بأنها ثقيلة على أحد، سوف تكون حرة وخفيفة في منزل زوجها، لا يهم.. ربما كان شاباً محترماً فعلاً!

رېما سناعنهم بذنوبنا!

بعد مرور عامين

obeikandi.com

(٢١)

أصبح منزل راجية مبهجاً بعدما أصبح مليئاً بالأطفال، الألعاب الملونة متناثرة في كل مكان، وضحكات الأطفال، وحتى بكائهم يبعث الآمال الجديدة لحياة أفضل، مرام- زوجة ابنها- وضعت ذكراً وأسمته تيم، أما ذكاء، فقد وضعت أنثى وأسمتها مي، وكانت حاملاً في طفلها الثاني، جذوة وضعت ذكراً وأسمته راجي، أما فتنة فقد وضعت ذكراً وأسمته مجد، كان وضعها مستقراً مع زوجها فادي، لم تكن سعيدة، ولكنها- على الأقل- لم تكن تعيسة، بعد أن أصبحت أمّاً لصبي، ضمنت أنها سوف تمتلك زوجها إلى الأبد، حتى وإذا كان يزور زوجته الأولى كل فترة، هذا لا يعني أنه يحبها، ولا يعني أنه سوف يعود إليها ويتركها، إذا أراد أن يتخلّى عن إحداهما، لن يتخلّى عن أم الصبي، كما أنه ليس بحاجة الآن إلى الزواج من ثالثة، كانت مطمئنة من هذه الناحية، أقلمت حياتها على هذا الحال ورضت به، هذا لا يمنع أنها كانت تشفق لإحساس العشق الذي أحسته تجاه طليقها لؤي.

كانت راجية سعيدة بأحفادها، تشغل وقتها بإطعامهم وتغيير حفاضاتهم، كانت تلعب معهم وتدللهم، ولكن يظلّ ابن جذوة هو الأقرب إلى قلبها، عندما امتلأ البيت بأحفادها، نسيت أمر التمرد على زوجها. تركت حياتها كما هي دون أن تغيّر فيها شيئاً، لم تعد

تنتظر نظرة إعجاب من زوجها، لقد فقدت الأمل منه تماماً، قلبها أيضاً قد تحجّر، ولم تعد تغار إذا رآته يتفحص أجساد الراقصات والنساء في التلفاز، ذبل جرحها ومات حبها له، لم تغير عاداتها، ما زالت تحب الفاكهة والمسلسلات الكوميدية، تضحك سريعاً وتغضب أسرع، تنهر بناتها وتقبل ابنها، وتغلف حبها الكبير لجدوة بالكره المصطنع، وتدلل أحفادها.

كانت البنات يزورونها كل أسبوع، أصبح بيتها هو بيت العائلة بالنسبة لهن. يتجمعن فيه كلهن ليتسامرن ويأكلن من يد أمهن، لم يعدن يقضيا يومين في طنطا كل أسبوع، بل نصف يوم كل سنة، انشغلن بأولادهن وأزواجهن ولم يعدن كما كن أيام زمان.

انشغلت طائفة أيضاً بحفيدها (أحمد) بعد أن انفصلت عن زوجها ظافر، كان أحمد فرحة مهيضة الحقيقية، وقرة عين مالك اللذان استقرت أمورها تدريجياً، فهمت مهيضة طبيعة زوجها المتحكمة، يجب أن يملكها. عندما كانت تقاوم هذا الحب كانت تتعب وتغتم؛ لذلك قررت أن تجرب معه طريقة أخرى، كانت تُشعره بما يتمناه، تكرر له: «أنا ملكك» أكثر من مرة في اليوم الواحد، تُطيع أوامره طالما أنها لا تتعارض مع رغباتها، تتنازل كثيراً وتعرض قليلاً. وجدت أنه إذا شعر بالسعادة سوف يحملها من على الأرض ويطيئها ببساط سحري فوق السحاب، أرضت حبه لتملكها وعاملته كما يجب حتى

ترتاح، وكان هذا تفكيراً جيداً، حيث أتى بثماره سريعاً، هذا لا يمنع أنها كانت تختلي بنفسها أحياناً، تبكي وتنتحب، تعصر قلبها وتغسل ضيقها بدموعها حتى تفرغ نفسها المشحونة من الأحاسيس السلبية. تُتقي نفسها وتخرج من غرفتها باسمه طائئة سعيدة بزواجها من حبيب عمرها مالك! عندما رزقهما الله بأحمد، لم تعد تترجى مالك لتخرج مع صديقاتها للتسوق، لم تعد ترغب في الخروج من المنزل، انشغلت بابنها وبطعامه وشرابه وبأمور المنزل التي لا تنتهي أبداً. صارت بيتوتية إلى أقصى درجة، وكان هذا في صالح مالك الذي أحب أن يبعدها عن جميع البشر لكي تتفرغ له وحده، لم تعد تطلب منه تلك الطلبات التي كان يمقتها، فهدأت حياتهما كثيراً.



حتى الآن، وبعد أن مرَّ عامان على محادثة صالحة لرجل غريب على الفيس بوك لبضعة أيام، قبل أن تغلق حسابها نهائياً، لم تستطع صالحة أن تسامح نفسها، تعرف أنها أخطأت في حق زوجها خطأ لا يُغتفر، حاربت صمته بثرثرتها مع رجل آخر، ومازالت تُكفّر عن ذنبها بجلدها لنفسها ولومها كل يوم. لم تعترف لزوجها بذنبها، لقد سمعت الشيخ يقول أن المسلم من الأفضل أن يداري ذنوبه طالما ستره الله، إذا أخبرته طالبة غفرانه ستخسره، وإذا سامحها سوف تخسر جزءاً منه. جزء صغير في عقله سوف يحتفظ بخيانتها إلى الأبد،

وجزء صغير من قلبه سوف يلفظ حُبها. كانت كلمة من أربعة حروف كفيّلة بتجديد حُبّهما، نعم، هي تعلم أنه يحبها، ولكن أحياناً، النساء يرغبن أن يسمعن (أحبك) ولو كذباً! ولكنها عاهدت نفسها ألا تخونه مرة أخرى ولو بالكلام، إذا ملّت صمته ستتحادث مع صديقاتها، أو أخواتها.. أصبحت تمارس الرياضة في نادٍ صحي بشكل مستمر. تعرّفت على صديقات جدد، اقتنت مجموعة كتب متنوعة وأخذت تقرأ وقت فراغها، شغلت وقتها حتى لا يسوقها الملل لفعل ما يُنقص من قيمة نفسها.

محمد لم يتغير، إلا أنه شعر براحة نفسية عندما وجد زوجته سعيدة ومرتاحة، تقضي وقتها في القراءة وممارسة الرياضة وإعداد طعام الغداء والاهتمام برزان، لم يتغير. ولكنه كان يحاول أن يأخذ أجازة كل فترة كي يقضي يوماً بطوله مع زوجته وابنته.

أما رزان فقد كبر حبها لمؤمن، صارت قصة حُبهما الملائكية يُستشهد بها في أحاديث العائلة، مما شجّع والدها أن يوافق على طلبها ويزوجها له هذا الصيف، لم تصدّق أنه وافق بدون أن تبذل مجهوداً جباراً لإقناعه، عندما أخبرها أنه موافق على زواجها، بعد عامين من الخطبة، رقصت في غرفتها كفراشة وجدت- بعد طول عناء- حقلاً مليئاً بالورود، تخيلت نفسها بالفستان الأبيض ومؤمن في بذّته السوداء كأمر سندريللا، تخيلت أن جذوة تنظر لها بحقد متوعّدة أنها سوف تهدم هذا الزواج فخافت، وخفق قلبها.

حب ثري لذكاء أجبره أن يتفهم طبيعتها الباردة، نتيجة عشرتهما، عرف بعض الأسرار التي تُسعدُها وتجعلها لطيفة معه، فأخذ ينفذها، متممداً، وقت الحاجة، فهي، مثلاً، تسعد إذا أعطاها مبلغاً إضافياً فوق مصروفها، وعندما تقول أن خاتم أو سلسال ما قد أعجبها يهديها إياه في اليوم التالي أو في مناسبة قريبة، اعتاد طبيعتها وتأقلم عليها مع مرور الوقت. كان يحب مي- ابنته- حباً جمّاً.. يدللها كثيراً ويحاول أن يفرس فيها طبيعته المشتعلة، يُطعمها حُبُه الجياش وإحساسه المرهف حتى إذا كبرت تسقيه من حنانها وتُعوّضه عن السنين العجاف.

كانت ذكاء سعيدة بحياتها، زوجها يحبها، وابنتها جعلتها تشعر بإحساس فريد لم تشعر به من قبل، لقد أحبت ابنتها بصدق! ربما هذه هي المرة الأولى التي تتحرك فيها مشاعرهما، خفق قلبها وارتعشت روحها عندما رأتها، وسمعت صوتها متناهي النعومة لأول مرة! مخلوقة صغيرة خارجة من رحمها، وتتغذى من صدرها! صغيرة لا تفقه شيئاً غير الأمان في حضن أمها، إذا ابتعدت عن حضنها تبكي خائفة، إحساس لا يوصف! وقتها عرفت ذكاء أن ثمة شيء ما تغيّر في قلبها الحَجَر. خافت أن يرق قلبها تجاه كل شيء ويرتعش خوفاً من أي إحساس عابر، أحست أنها تغيرت بعد أن أصبحت أمّاً، ولكنها لم تصارح زوجها بذلك، خافت أن يستغل ضعفها ضدها، فمثلت

أنها مازالت باردة ثلجية كما اعتادها أن تكون، بعد أن أصبحت ذكاء
أمّاً، شعرت بشري وكأنه ابنها، شعرت أن أمها وأخواتها هن بناتها،
مثل مي! فأصبحت تعطف عليهن وتحبهن وتشعر بأحاسيسهن أكثر
من ذي قبل، لقد وجدت نفسها تبكي وهي تشاهد فيلماً رومانسياً!
تفاجأت بدمعة تتسلل هاربة من عيناها، فلاحقتها دموعات كثر! لم
تصحّ أحاسيسها إلا عندما أتت مي.. لدرجة أنها لم تعد تحقد على
جذوة مثل الماضي، كانت ذكاء تتخيل كل الناس محتاجين لها مثلما
تحتاجها مي، فأحبت كل الناس كما تحب مي، قلب بداخله طفل،
ليس كقلب خاوٍ من الداخل.



(٢٢)

— أرجوك يا طائعة، أتوسّل إليك، عودي إليّ ولن أغضبك أبداً
بعد اليوم.

قالها ظافر باكيّاً متذللاً، بعد أن تركته زوجته هاربة مع عشيقها،
تركت ابنها لأمها، وهربت راکضة وراء نزوتها مع أحد أصدقائه،
وعندما ذهب ليأخذ الولد قالت له أمها أن الولد ليس ابنه، بل ابن
نزوة أخرى مع رجل قبله، وقتها شعر ظافر أن الكون أصبح أسود
اللون مُعتمّاً، لم يجد إلا حضن طائعة ليبكي طالباً العودة للسكنى
فيه، قالت مشفقة عليه:

— أرجوك لا تطلب مني ما لا أستطيع أن أفعله، لقد اخترت
طريقك يا ظافر، لقد تركتني وتركت ابنتك ولم تسأل عنا! تركتنا
وتزوجت زواجاً باطلاً من امرأة في شهور عدتها، كنت تعلم ذلك،
وتماديت في الخطأ عمداً غير خائف من الله! وأنا أخاف الله يا
ظافر، لن أتزوج من زانٍ، لقد أجمرت في حق نفسك قبل أن تجرم
وتجور على حقي، وفي النهاية ما الذي حدث؟ لم تتجب لك الولد.
الولد ليس ابنك، لم تجلب لك إلا الفضيحة والعار.

— أرجوك يا طائعة، سوف أتوب إلى الله، ولكن عودي إليّ.

قالت بجديّة حاسمة أمرها :

— اخرج من بيتي يا ظافر ولا تعد مرة أخرى، لا أريد أن أراك ثانية، لن أعود لك حتى لو كنت آخر رجال الأرض.

خرج ظافر خائباً باكياً، مشى في الشوارع على غير هدى، ظل يمشي تارة ويركض تارة، ويبكي كما لم يبكي من قبل، شعر أنه أضاع كل حياته هباءً، ترك زوجته التي تحبه وتحافظ على شرفه من أجل امرأة عديمة الشرف، كيف كان يثق بها بالرغم من خيانتها لزوجها الأول، وهي على ذمته؟ يا له من إنسان غبي! هواه أعمى بصيرته، كان أمّله الوحيد أن تعود طائعة له، لكنها رفضته، تستحقه كما يستحق نفسه، ما بال الدموع تغطي عينيه هكذا؟ تشوّشت الصورة أمامه، لم يعد يرى إلا أضواء السيارات الباهتة وأصواتاً غير واضحة. كانت الدموع بحاراً تنزلق على الأرصفة، وتغسل نفسه من الوسخ الملتصق بها، لأول مرة شعر بالندم! شعر أنه كان منغمساً في ملذّات حياته ناسياً الآخرة! ناسياً الله، في الحقيقة، هو لم يتزوج قمر لأنه يريد صبياً. كان الصبيّ حجة يُغلّف بها هواه، لقد تزوجها لأنه أعجب بها وتمنّاها، هذه هي الحقيقة التي لا تعرفها طائعة، ولن تعرفها أبداً، لقد ذلّ طائعة وعابرها بإنجابها فتاة، وعذبها بذلك طوال الوقت لكي يبرر نزواته، جرحها وهو يعلم أن الذكر والأنثى هدايا من الله، لا من النساء، أما الآن، فلم يعد يهوى شيئاً، ولا يريد من هذه الحياة أي

شيء، لا يهم أي شيء طالما أنه خسر طائعة، وخسر احترام ابنته له،
وخسر قمر، وقبلهن خسر نفسه.

شعر أن هناك غصة في حلقه، حاول أن يبتلعها ولكنه فشل، زاد
هذا الإحساس سوءاً، لم تعد غصة، صارت حجارة كبيرة، لها مخالب
مسنونة، تمزق حلقه، حاول أن يصرخ مُستجداً بالناس، لم يستطع،
حاول أن يستغيث صارخاً، ولكن الكلام وقف في فمه لا يقوى على
الخروج، فجأة.. زال هذا الإحساس، ولم يعد يشعر بأي شيء له
علاقة بجسده الذي ارتمى أرضاً!

___ لا حول ولا قوة إلا بالله.

___ احمלוه احمלוه.

___ لا لا.. اتركوه في مكانه حتى تأتي سيارة الإسعاف.

___ هل هناك نبض؟

___ لا.. لقد مات!

___ لا حول ولا قوة إلا بالله! إنا لله وإنا إليه راجعون.

___ هل رأيت السيارة؟ لقد دهسته السيارة وهو يعبر الطريق.

___ الطريق سريع وهو لم ينتظر الإشارة! ولكن السائق هرب

خوفاً من المساءلة القانونية بالطبع.

— عديم الضمير! قتل روحاً وهرب!



حزنت طائفة، وبكت على ظافر، بالرغم من كل شيء، كانت تشفق عليه، حضرت أخواتها وبنات أخواتها وأزواجهن الجنازة، لم تجرؤ رزان أن تحدد موعد زفافها بعد أن مات زوج خالتها السابق، احترمت إحساس مهیضة قبل إحساس خالتها طائفة، ولغت الفكرة من عقلها تماماً، أما مهیضة فقد بكت كثيراً وارتدت الأسود حداداً على روح أبيها، لم تكن تحبه كما تحب البنات آبائهن، لم تكن تتخذه قدوة، بل كانت تكره أفعاله وتكره إيلامه لأمها، ولكنها لم تقو إلا أن تبكي عليه، اكتشفت أنها رغم كل شيء لا تكرهه. عز عليها فراقه، وأنها لن تراه مرة أخرى، ندمت وعاتبته نفسها كيف لم تحاول أن تتقرب منه من قبل؟ كيف لم تحاول أن تجعله صديقاً لها؟ كيف لم تحاول أن تتصحه وتتقرب منه فلربما تغيرّ وسمع بنصيحتها؟ شعرت أنها قصرت في حقه، لماذا فكرت بأنانية؟ لماذا كانت تفكر دائماً في حقها عليه، ولم تفكر أبداً في حقه عليها؟ لماذا لم تقف بجواره؟ لقد كان في أمسّ الحاجة لناصح أمين، ولصدر حنون، لن يرجع الزمن إلى الوراء أبداً. لقد مات وانتهى الأمر، جلدها ضميرها. ولكنها أصبحت حريصة أكثر، سوف تتقرب من كل أحبائها كي لا تفقدهم فجأة وتندم. سوف تحب مالك بكل قلبها، كم كانت تافهة عندما أحست أنه

يحاول تملكها! كم كانت تافهة وسطحية عندما كرهت حبه للسيطرة عليها! المهم أنه بجوارها، تنام في حضنه وتشعر بدفء أنفاسه كل يوم، المهم أنه يحميها ويحبها، ولا يهم بعد ذلك أي شيء آخر!

بكت جذوة في عزاء زوج خالتها، لم تتوقع أنه سوف يموت! شعرت بالخوف لأول مرة من الموت، هل يمكن أن تموت فجأة؟ هل يمكن أن تموت قبل أن تتوب عن ذنوبها؟ وهل إذا ماتت سوف ترى الله؟ هل سوف تجد الله غاضباً منها؟ أم أن الله سوف يجازيها بالجنة؟ لأنها صبرت على إيذاء الناس لها واستحقارهم لخلقها؟ تعلم في قرارة نفسها أنها مخطئة، ولكنها أقنعت نفسها أن الله سوف يجازيها بالجنة، لقد صبرت وتحملت في الدنيا؛ لذلك سوف تسعد وترتاح في الآخرة، ارتعدت خوفاً عندما تذكرت الله والحياة الآخرة والموت. ارتعشت وبردت أطرافها وازرورقت من فرط الخوف، وقررت أن تتوب في القريب العاجل.

أما رزان فكانت تبكي لبكاء مهيضة، ما أصعب أن تشاهد عزيزاً عليك يتوجع ويتألم أمامك، وأنت عاجز عن تطيب جراحه، خطر على بالها أنها يمكن أن تفقد والدها في لحظة، كما فقدت مهيضة والدها فجأة. استعادت بالله من أفكارها السوداء وضمت مهيضة إلى صدرها.



ترك الرجال زوجاتهم لقضاء ليلة العزاء مع طائفة ومهيضة
المكلومتين، جلست راجية وصالحة تخففان عنها حتى طلوع الصباح،
أما البنات، فقد جلسن في الشرفة كعادتهن القديمة، كان الجو- برغم
الحزن الهائم في الهواء- معبأً برائحة الياسمين والفل والليمون..
والحنين، جلست البنات الثلاث، جذوة ورزان ومهيضة، متجاورين،
ناظرين إلى السماء، قالت رزان شاعرة بالحنين لأيام السعادة الأقلة:
___ هل تتذكرون أيامنا في تلك الشرفة؟ ورائحة الياسمين
والليمون.

قالت مهيضة ماسحة دموعها على فراق أبيها:

___ هل تتذكرون الغيبة والنميمة؟ لا نحن لا نم.. نحن نغتاب
فقط.

ابتسمت رزان ابتسامة حزينة وقالت:

___ نغتاب الجيران، هل تذكرون الرجل الذي تغار عليه زوجته
من كل النساء؟

قالت جذوة بصوت خافت حزين:

___ نعم.. يقطن هنا (أشارت بسبابتها إلى الدور الأول في العمارة
المقابلة للبيت)

قالت مهیضة:

— والرجل الذي تضربه زوجته ضرباً مبرحاً.. وفارس الذي
كتب خطاباً لرزان يعترف فيه بحبه لها.. كانت أجمل أيام!

قالت رزان:

— ليت تلك الأيام تعود.

طرقت راجية الباب، ثم دلفت إلى الغرفة، ومعها راجي ابن
جدوة، نادتها قائلة:

— يا جدوة، تعالي وخذي ابنك إنه يبكي، ويريدك.

قالت جدوة بحدة:

— خذيه أنت، لا أريد أن أشعر بالصداع الآن.

— أقول لك الولد يبكي يا عديمة الإحساس. ربما كان جائعاً.

— صار يأكل من طعامنا الآن، أطعميه أي شيء، المهم أن
تأخذه من وجهي، ولا تذكريني أنني متزوجة ولدي ولد مرة أخرى.
اتركيني وشأني.

أخذت راجية الولد محاولة أن ترضيه بدون فائدة، ظل يبكي
حتى غلبه النوم.

قالت رزان مستنكرة:

— أليس هذا ابنك؟ كيف تتركينه يبكي كل هذا الوقت؟ وأنت

تجلسين هنا؟ ألم يرقّ قلبك له؟

— يبكي كثيراً ويؤلم رأسي.

قالت مهیضة باستعجاب:

— ولكنه ابنك، ألا تشعرين بمشاعر تجاهه؟ لقد أوجعني قلبي

عليه! ألم يوجعك قلبك وأنت تسمعين صوت بكائه؟ هل يحتاجك ولا

تضمينه إلى صدرك؟

قالت جذوة بعصبية:

— هل تقصدان أنني غريبة الأطوار مثلاً؟ بالطبع أحبه فهو

ابني! ولكنني أشعر بالاكئاب الآن ورأسي يؤلمني، سوف يبكي قليلاً

وينام، لم أعذبه وأكويه بالنار كي تشفقا عليه إلى هذا الحد.

سكتت مهیضة وعاودت النظر إلى السماء. هناك شيء بين جذوة

وبين البنات قد انكسر ولن يعود كما كان مرة أخرى! لم يعودوا يشعروا

بالفرحة وهي معهما، أصبحوا يحرصون على كل كلمة يتفوهون بها

أثناء وجودها، فلم يعودوا يتبادلوا الأسرار الشخصية أمامها.

قالت مهیضة لرزان:

— هل تعلمين يا روزا، لقد اكتشفت أن الحياة قصيرة جداً،
اكتشفت أنني قصرت في حق والدي، وقررت ألا أقصر في حق أحبائي
مرة أخرى، ولا أريد أن أقتل فرحتك.

— تقتلين فرحتي؟ ما هذا الكلام؟

— تزوجي يا روزا، تزوجي من مؤمن.. لا تؤجلي الزواج بسببي،
أعرف أنك تراعين مشاعري ومشاعر والدي، ولكن الحياة أقصر
مما تتخيلين.

— لا يصح يا ماهي! كيف أتزوج وأبوك لم تجف تربته بعد؟ هل
أفقدك الحزن عقلك؟

— بل لم أكن عاقلة إلى هذا الحد قبل الآن! تزوجي يا روزا،
أريدك سعيدة.

قالت جذوة بحدة:

— ما هذا الهراء الذي تقولينه يا ماهي؟ والدك توفي اليوم وأنت
تقولين لروزا تزوجي؟ ما هذا الكلام؟ سوف يجلدنا الناس بكلامهم،
وماذا عن أمك؟ أمك ستموت قهراً لو علمت أن روزا لا تُقدر حالة
الحداد وستقيم احتفالاً، رزان لن تتزوج من مؤمن.. ليس الآن.

شكّت رزان في غرض جذوة الحقيقي، تشعر دائماً أنها تكيّد لها وتُخطط لإفساد علاقتها بخطيبتها، تذكّرت كلّ المواقف السيئة والخيانات المتكررة التي فعلتها جذوة مُتعمّدة، قالت بـسرعة بدون أن تُفكّر في أي شيء إلا إفساد خطط جذوة:

— هل تعلمين يا ماهي؟ معك حق، سوف أليبي رغبتك، سوف أتزوج من مؤمن هذا الشهر.

صرخت جذوة محتدة:

— هل أنت مجنونة؟ هل تعاندينني لمجرد الغند؟ أقول لك الرجل متوفى! ألا يوجد لديكما أية إحساس؟

قالت مهيضة مُدافعة عن رزان:

— لا تتكلمي عن الإحساس يا جودي لأنك لا تعرفينه، حتى ابنك لا تشعرين به، لا تحبينه ولا تطعمينه إذا جاع، ما أقسى قلبك!

— أنا قاسية القلب؟ إذا كنت قاسية القلب، فأنت بلا قلب من الأساس، والدك توفي، وأنت تدفعين روزا للزواج دفعاً! من فينا عديمة الإحساس؟

قالت رزان:

— هذا قراري يا جودي، سوف أتزوج هذا الشهر، لا أحد يتكلم معي في هذا الموضوع مرة أخرى.

قالت جذوة مُحْتَدَّة:

___ لا أصدِّقُ كم أنتِ أنانية! لا تهتمين إذا توفِّيَ زوج خالتك أم لا،
كل ما يهمك سعادتك الشخصية.

قالت رزان متحدية:

___ قولي الحقيقة، موت زوج خالتك لا يهمك. قولي أنك تغارين
مني، قولي أنك تكرهين لي الخير، قولي أنك تموتين غيظاً كل يوم
لأنك- طوال العامين الماضيين- لم تستطعي أن تسرقني مؤمن مني
كما فعلت مع راغب، وكما فعلت بعطري.. عطري الذي سرقتيه
ووجدته في غرفتك، قولي أنك تكرهين إعجاب الناس بجمالي.. قولي
أنت معقدة نفسياً تكرهين الناس وتكرهين نفسك، قولي أنك مؤذية،
حتى ابنك لم يسلم من أذاك.. هيا قولي، اعترفي بالحقيقة.

اشتعلت النار في نفس جذوة ولم تستطع أن تخمدها، قالت
صارخة:

___ أنت غبية ولا تفقهين شيئاً، أنا أكرهك.. يا غبية لقد أضعت
كل شيء جميل بيننا بكلامك هذا!

___ هل كلامي هو الذي أضع كل شيء جميل بيننا أم أفعالك؟
كنت دائماً كأفعى تختبئ وراء جلدها الجميل بنفس قبيحة، أنتِ

منافقة وذات وجهين، لقد عرفتك على حقيقتك منذ سرقت راغب وجعلته يتركني، ثم جعلته يركض وراءك كالكلب الجائع دون أن ترتبطني به، ماذا استفدت عندما جعلته يتركني؟

قالت جذوة بتحدٍ:

— راغب لم يحبك، أحبني أنا، ولكنني لا أحب رجلاً نظرت أنت له بإعجاب، تركته لك. خذيه واشبعي منه.

ضحكت رزان باستهزاء وقالت:

— أعجب بك؟ لقد قلت أيضاً أن فارس- ابن الجيران- مقيم بك، والحقيقة أنه أرسل لي خطاباً في اليوم ذاته يعترف فيه بحبه لي! أنت تعتقدين أن كل الرجال معجبون بك، بينما هم معجبون بوقاحتك وجرأتك المفرطة، يطمعون فيك ثم يتركونك.

شعرت جذوة أن النار تلسع شرايينها، ظلّت تنطّ وتقفز كالمجنونة لاطمة خديها، قلبت الطاولة بكل ما فيها من كؤوس زجاجية وأطباق صارت أشلاء متناثرة.

— روزا لا تتمادي، اخرسي، لا أريد أن أسمع صوتك.

— اخرسي أنت أولاً أيتها المريضة.

قالت مهیضة صارخة:

— كفى! حاولا أن تقدرا مشاعري، أرجوكِ يا جذوة اهدئي،
اجلسي مكانك وكفافي صراخاً وجنوناً، لا تفعلنا ذلك من أجلي.

اعتذرت رزان لمهیضة وقبّلت جبينها، خرجت جذوة من الشرفة
منهارة لتفوص في سريرها وتتلحف بكامل جسدها بالغطاء، ظلّت
تبكي وتتحب حتى غلبها النعاس.



— تعالي إليّ، أنتِ مني وأنا منكِ.

— من أنتِ؟

— أنا شجرة الزقوم.

— هل تركضين ورائي؟ اتركيني وشأني، أنا خائفة منكِ.

— بل أنتِ من تلهثين لتأتي إليّ، لا يمكنكِ العيش بدوني، أنا

الأصل وأنتِ الفرع. تعالي وارثوي مني.

— هل إذا أتيت سأرتوي؟

— بالطبع! ألا تحبين الصيف؟ والنار؟

— نعم.. ولكني لا أريد أن أتعذب في جهنم. أريد أن أدخل الجنة.

ارتعدت الشجرة واهتزت بعنفوان حتى تتأثر منها شرر، قالت
غاضبة:

___ أنت النار، كيف تدخلين الجنة وأنت النار؟ سوف تعذبين أهل
الجنة بأنانيتك يا جذوة، لا يمكنك أن تحرقى أهل الجنة.

___ هل أنا النار؟

___ أنت تعرفين الإجابة جيداً، أنتِ تشعرين بنفسك، هيا تعالي.

___ إلى أين؟

___ إليّ، اندمجي بي، ضيعي بين أغصاني، أنتِ الغصن الأكثر
حرارة.

قامت جذوة من نومها مفزوعة، استعادت بالله من الشيطان
الرجيم: «كان مجرد كابوس، مجرد كابوس لا يمكن أن يتحقق، أعوذ
بالله». شربت القليل من الماء، ثم نامت خائفة أن ترى شجرة الزقوم
مرة أخرى في منامها.



عادت النساء إلى بيوتهن في القاهرة، أقنعت مهيضة خالتها
صالحة بأن تزوج رزان لمؤمن في أقرب وقت، أخبرتها أنها تعيسة
ولن تسعد إلا إذا أسعدت من حولها، وأنها أخذت عهداً على نفسها
أن تحاول مساعدة وإسعاد أحبائها كي تعوّض خطأها في التخلّي عن
أبيها، أخبرتها أنها تريد أن ترى رزان بالفستان الأبيض، وأن الزفاف
سيكون في القاهرة، فلن يعلم أحد من الجيران في طنطا بخبر الزواج؛
لذلك لن يستغرب أحد الوضع. وافقت صالحة بعد إلحاح شديد من
مهيضة تارة، ومن أختها طائعة تارة، بدأت رزان في التجهيز ليوم
الزفاف وقد عادت حيويتها وفرحتها، أخيراً، وبعد صبر دام عامين
سوف تصبح زوجة للرجل الذي اختارته وأحبته، حملت جميل مهيضة
فوق رأسها، وازدادت غلاوتها في قلبها.

مرّت الأيام سريعاً، وحن وقت الفرح، إنها الليلة التي انتظرتها
رزان طويلاً.. ليلة زفافها، تجمّعت النساء، في الغرفة الملحقة بالفندق
الذي سيقام فيه الحفل، يُزيّن العروس.. طرحتها البيضاء، فستانها
الدانتيل الأبيض، جسمها اللامع كاللؤلؤ المكنون، ومكياجها الذي
أضفى على وجهها سحراً أنثوياً، كانت تقف أمام المرآة كالمملكة المتوّجة،
تاركة نفسها لأبيادي أمها وخالاتها، كلهن يضعن لمساتهن لتصبح الملكة
جاهزة لمقابلة عريسها.

أثار هذا المشهد غيرة جذوة، بعد أن ظلّت عامين تحوم حول مؤمن في محاولة منها أن تغويه، سيتزوج الآن من رزان، لم تفلح كل محاولاتها في الإفساد بينهما، لم تُكن تحبه، ولا تريده لها، مشكلتها أنها تريد أن تثبت أنها الأجل والأبهى دائماً، تريد أن تثبت لأمها، وللناس، أنها جميلة، وليست قبيحة كما يدعون، في سبيل ذلك، هي مستعدة أن تستخدم أقذر الحيل، تركت النساء يُجهّزن العروس ودخلت دورة المياه الملحقة بالغرفة، وقفت أمام المرأة الصغيرة المعلقة على الجدار، تتأمل وجهها المحقون بنيران الغلّ والانتقام، كانت تُفكّر: «هل بعد كل هذا الجهد، يسعدون هم، وأحترق أنا؟ لن أسمح لهم بإيذائي أكثر من ذلك. أنا تعيّسة، وهم سُعداء». سمعت صوت ابنها يبكي في الخارج، ثم صوت راجية تناديها لتهتم به، تجاهلت أصواتهم وظلّت تتأمل وجهها في المرأة وتفكر: «هل سأصبح خادمة لرجل لا أحبه، وطفل يُشبهه؟ لماذا تزوجت؟ لماذا تركني مسعود أواجه التعاسة وحدي؟» مازال طفلها يبكي وأمها تناديها، خرجت من دورة المياه مستشيطة غضباً، حملت الطفل بعنف وألقته بين يدي أمها.

___ خذيه، ألسنت جدّته؟ لن أهتم بأحد هذه الليلة، لدي صداع شديد.

___ هل يُحمل طفل صغير بهذا الأسلوب الفظ؟ اذهبي لبيت الله

لا يسامحك، صرت أخاف على ابنك منك!

— إذن خذيه إلى الأبد، هو لك.

— سأخذه ولن تريه مرة أخرى، حسبي الله ونعم الوكيل، فتاة
حقيرة عديمة الرحمة.

«أنا فتاة حقيرة عديمة الرحمة! أنا حقيرة لأنني لست جميلة
مثلهن، أنا حقيرة لأنني لا كرامة لديّ، دهسن كلهن على كرامتي
عندما عايروني بقُبْحِي، وبعنوستي، وبسمنتي، حتى أنا، فعلت مثلهن،
دهست على كرامتي عندما تذلت لمسعود كي يتزوجني ولا يتركني..
تركني!» كانت الأفكار الخبيثة تتزاحم في عقلها. تنظر لرزان وللنساء
السعيدات بدون أن تسمع أصواتهن، لا تسمع الآن إلا صوت عقلها
الصارخ: «كلّهن سعيدات، وأنت تسبحين في بحر حزن لا نهاية له..
لا نهاية له، لا.. ربما يمكنني أن أضع نهاية لسعادتهم، وتعاستي!»
اشتعلت النار الرابضة بداخلها وتمددت.. ثارت وأحرقت أحشاءها،
تعرّقت وشعرت بحرارة شديدة، ظلت تمسح العرق المتصبب من وجهها
بمنديل ورقيّ، حاولت أن تكتم براكين النار بداخلها قدر الإمكان،
غلّفت النار بطوق الصمت والجمود، مثلت دور الثلجة التي لا تشعر؛
كي تتغلب على النار بداخلها، تذكرت كلام عمته فتحية: «أعلم ما
ينمو بداخل قلبك يا بتيّ، اعلمي أنها لو وجدت الفرصة للخروج،
سوف تؤذيك قبل أن تؤذيهم... النار يا جذوة».



دقت الساعة التاسعة ليلاً، ودقت مزامير الفرح في أرجاء القاعة المزينة بالورود البيضاء والأنوار الصفراء، وقف الحاضرون صفين أمام الباب في انتظار أن يهّل القمران، ملوك الليلة، مؤمن ورزان، فُتِح باب القاعة على مصراعيه، وصوت ماجدة الرومي قد انهار مُغرِقاً مسامع الحضور «وأميرك ماسك إيديك.. وقلوب الكل حوالياك.. والحب يشتي عليكِ ورد وبيلسان» دلف- رزان ومؤمن- القاعة مغمورين بأمطار الورود التي نثرتها عليهم صالحة، وكانت الابتسامة لا تملّ وتفارق وجهيهما. وقفنا على رقعة منيرة بأنوار زرقاء وبيضاء مخصصة للرقص، ورقصا معاً على أنغام الأغنية.

لم تشعر جذوة بنفسها! صارت جسداً أكثر منها روحاً، سحبت زوجها كاظم من يده ورقصت معه، كانت كالمُغَيَّبَة سارحة في اللاشيء، ناظرة للفراغ، وشوشته:

___ لا بد أن تذهب وتبارك للعروس، إنها ابنة خالتي.

___ بالطبع سوف أبارك لها، ولكن ألا ترين أنها ترقص مع عريسها الآن؟ سأبارك لهما عندما يجلسان.

نظرت له نظرة أروعته وجعلته يشكُّ في سلامة عقلها:

___ قلت اذهب وبارك لها الآن، امسك يدها وارقص معها ثم بارك لها، لا يصح أن نكون قرييين منهما إلى هذه الدرجة، ولا نبارك

لهما، هيا اذهب، وأنا سأبارك لمؤمن ثم أبارك لرزان بعد أن تفعل أنت.

دفعته بيدها في اتجاههما، لم يجد نفسه إلا واقفاً أمامهما كالأبله، اضطر أن ينفذ ما قالته جذوة، ابتسم لمؤمن مُستأذناً أن يرقص مع رزان ويبارك لها، لم يرتح مؤمن لهذا الأمر، ولكنه لم يرفض، ظلّ كاظم يردد لرزان كلمات يحفظها ولا يعرف ماذا يقول غيرها: «مبروك، جعل الله بينكما مودة ورحمة، بارك الله لكما...» ولكنه وجد رزان متجاهلة كلامه قاطبة الحاجبين ناظرة خلفه مباشرة، استغرب قليلاً ولكنه فهم سبب غضبها الشديد بعد أن استدار ليرى ما الذي تراه ويزعجها إلى هذا الحد، وجد جذوة وقد رمت نفسها في حضن مؤمن تراقصه وتجذبه إليها حد الالتصاق، نفرت عروق رقبتة، ترك رزان وسط القاعة وذهب بغضب الكون ليشدّ جذوة من ذراعها بقسوة ويبعدها عن مؤمن، قالت متأففة بعد أن سحبها من يديها حتى ركن بعيد غير مزدحم بالحضور:

__ ماذا تريد؟

__ أترقصين مع العريس، وترتمين في حضنه يا ملعونة، دون أن تحسبي لي حساباً؟ ثم بكل بجاحة تسأليني ماذا أريد؟ ما هذه الوقاحة؟

___ وما المشكلة؟ أبارك له!

___ أنت عديمة الأخلاق وقليلة الأدب.

___ شكراً.

كانت ترد عليه ببرود شديد، كأنها لا تهتم، ولا تكثر لغضبه..
لا تخشاه، تركته غاضباً ساخطاً ولا عنأ اليوم الذي تزوجها فيه،
واقتربت من رزان، ابتسمت لها ابتسامة لؤم وكأنها تقول: «لا تظني
أنك نجوت مني إذا تزوجتيه، يمكنني أن آخذه منك بسهولة» توجهت
لها رزان بكل هدوء وقالت:

___ أحب أن أراك تحاولين أن تسرقي زوجي مني، كما سرقت

أشياء أخرى فيما سبق، ولا تفلحين، أنت تثبتين لي أنه يحبني بشدة
كل يوم!

___ لا تثقي بنفسك كثيراً، صدقيني سوف أسلب منك فرحتك،

والليلة!

قالت رزان مستاءة:

___ أخبريني.. ماذا سوف تستفيدين إذا سلبت فرحتي؟

___ سوف أستفيد أنك سوف تشعرين بالنار المستعرة بداخلي.

___ لماذا يا جودي؟ طالما اعتبرتكِ صديقتي! بحت لك بأسراري
فاستغلتيها ضدي! لماذا كل هذا الحقد الساكن بقلبك؟ ماذا فعلت لك
كي تردي لي الإحسان بإساءة؟

فاجأها سؤال رزان: «ماذا فعلت لك؟» ارتبكت، في الحقيقة هي
تعرف أن رزان لم ترتكب في حقها أي خطأ، ردّت بصدق:

___ لم تفعلني شيئاً يا روزا، الناس من حولنا هم الفاعلون، في
حياة أخرى كنت سوف أحبك بصدق، ولكنني في هذه الدنيا لا أقوى
أن أراك أمامي في منتهى السعادة، بينما أموت أنا من فرط التعاسة،
وأنتِ وأمثالك هم سبب تعاستي.

___ لم أفهم، لماذا أنا سبب تعاستك؟ طالما أنني لم أؤذيك كما
تقولين؟

___ لا تهتمي، لم يعد الكلام ذا معنى بعد الآن.

___ لدي استعداد أن أسامحك على كل شيء. ولكن عودي كما
كنتِ عودي صديقتي المحببة.

___ فات الوقت يا روزا، فات الوقت..

تركتها جذوة مُبتعدة، تمشي دون أن ترى أمامها كمن أثقل في
شرب الخمر، جلست وحيدة على طاولة بعيدة، لا تسمع من صخب

الأغاني شيئاً، لا تسمع أي شيء ولا ترى أي شيء سوى حقيبتها التي وضعتها أمامها على الطاولة، ظَلَّت تدقّ في حقيبتها وتُفكّر، بعد عشر دقائق من التفكير الطويل فتحت الحقيبة وأخرجت ورقةً وقلمًا، كانت سوف تبدأ في الكتابة لولا أنها تراجعَت في اللحظة الأخيرة، قررت أن تتصل بمسعود، سوف تحاول محاولة أخرى قبل أن تُنفذ أي شيء.

— أنت محق! قبل عامين من الآن، وقبل أن أتزوج، قلت لي أنني لن أحبه مثلك، أنا لم أحبه مثلك، بل لم أحب غيرك، أنت محق.. هل تعلم؟ أنا لم أحاول أن أحبه قط؛ لأنني أعلم أنها ستكون محاولة فاشلة، لا يخفق قلبي إلا لك.

— اشتقت إليك يا أنثى النار! اشتقت إليك، وإلى دفء أنفاسك! اشتقت لأيام كنا فيها لا نفترق إلا وقت النوم، مازلت أحبك! — إذن عد إليّ يا مسعود.. لا أقوى على الحياة بدونك.

— لا أستطيع أن أخون زوجتي يا جذوة، إنها إنسانة محترمة..

— ألم تقل لي فيما مضى أنك سوف تقضي الوقت معي حتى

وإن تزوجت؟

— الوضع الآن تغيّر، أنتِ تزوجتِ.. ماذا عن زوجك؟

— لا يهم.

___ بل يهـم! قلت لك لا تتزوجي وسوف أكون لكِ إلى الأبد، أما الآن، أنت لست من حقي. لست لي.

___ لم ولن تتغير أبداً، ستظل تقول: «أحبك» وأفعالك تقول: «لا تصدقيه» إذا أحببتي بصدق كنت ستحارب عائلتك من أجلي.

___ تعرفين أنني لا يمكنني أن أحاربهم، قدرنا يأبى أن نكون معاً.
___ سوف أحرق قلبك.

___ لا قلب لدي!

___ إذن سوف أحرقك أنت!

أغلقت الهاتف وبكت دماً، كلما مسحت دموعها انهمرت غيرها،
«من أين أتى هذا الفيضان؟»

شرعت في الكتابة مرة أخرى، حاولت أن ترى الحروف من بين ستار الدمع، وعندما انتهت من الكتابة، لم يكن الفيضان قد انتهى. قامت مترنحة كأنها سوف تفقد توازنها في أية لحظة، خرجت من القاعة متوجهة إلى غرفة الفندق.



كان الجميع سعداء، مهيضة وطائعة كانتا فرحتين لفرحة رزان رغم حزنهما على فراق ظافر، وموته مدهوساً تحت سيارة جبان هارب، كان حفلاً رائعاً، استمتع الحضور بأجواء الحفل الراقية وبالعشاء الفاخر. وعندما دقّت الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل، كان الحضور قد أدخلوا القاعة بالتدريج، حتى لم يعد موجود إلا أهل العروس، بدأ الحضور في ترك القاعة حتى خلت القاعة إلا من أهل العروس، كان كاظم مازال مسودّ الوجه، كاظمًا الغيظ، قاطبًا. قال بحنق:

— أين جدوة؟

أجابت راجية:

— لم أرها منذ ساعة أو أكثر، لا أعلم أين ذهبت؟

قالت مهيضة:

— أين ستذهب؟ ربما ذهبت لترتاح في الغرفة.

استأذنت رزان من مؤمن:

— اسبقني إلى غرفتنا يا حبيبي، سوف أذهب معهم لأطمئن

على جودي وأتي إليك.

قال مبتسماً:

— حسناً، سأنتظرك.

كانت رزان غير مطمئنة، شكّت أن جذوة تُخطط لإفساد ليلتها؛ لذلك قررت أن تذهب لتعرف ماذا تفعل بالتحديد حتى يطمئن قلبها وتستطيع أن تفرغ عقلها من كل الأفكار السوداء، وتستمع بصحبة مؤمن، هذه أول ليلة سوف يقضيانها سوياً لحالهما بدون أن يزعجها ثالث، توجّهت النساء ومعهن كاظم إلى غرفة الفندق الخاصة بالنساء، فتحو الباب وبحثوا عن جذوة فلم يَجِدوها، قال كاظم:

— أين ابنتك يا راجية؟ ابنتك أخرجتني أمام الجميع ورقصت مع العريس، يكون في علمك أنني سوف أحاسبها حساباً عسيراً على ما فعلته.

— اهدأ يا ابني، معك حق، أنا أيضاً لي كلام معها، المهم الآن أن نجدها.

كانت صالحة قد بحثت في شرفة الغرفة ولم تجدها، بينما ظلت رزان متفرجة في صمت تفكر في الطريقة التي ستتقم بها جذوة منها، لاحظت راجية أن باب الحمام نصف مفتوحاً، فتحت الباب ودلفت لتصرخ مصعوقة.

— جوووووووودي! ابنتي!

خفق قلب رزان وارتعدت مهيضة رعباً، بينما ركضت صالحة لتسند راجية التي وقعت على الأرض مغشياً عليها من هول الصدمة. دخل كاظم مهرولاً إلى الحمام ليجد جذوة غارقة في حوض الاستحمام، بكامل ملابسها.. حملها وأخرجها حتى وضعها على السرير غارقة

في ثيابها، حاول أن يسعفها، ضغط على صدرها بقوة عدة مرات دون جدوى، لا تتنفس، كانت قد فارقت الحياة منذ ساعة أو أكثر!

صرخت رزان صرخة مرتعشة، استسلمت لألم روحها حتى هوت على الأرض باكية، افترش فستان زفافها الأبيض الأرض لتبدو وكأنها فراشة حزينة طلّت من بين جناحيها الأبيضين مكسورة، سمع صراخهن المقيمون في الفندق، ومنهم مؤمن زوج رزان، وثري زوج ذكاء. دخلا الغرفة مذهولين، اتصل ثري بالإسعاف، بينما جلس مؤمن القرفصاء بجانب زوجته. ضمها إلى صدره محاولاً أن يهدئها، ولكنها ظلت تبكي وتصرخ غير مُصدقة ما حدث، ذاب الكحل في عيون النساء وانسال خطوطاً سوداء على وجوههن، ظل كاظم ينظر إلى جسد جذوة المبلل بالماء في زهول، لمح ورقة ملقاة على السرير بجانبها، فهم على الفور أنها خطاب منها، اقترب متلهفاً ليقراً ما في الورقة، بكى، ثم بكى، ثم صرخ.

أشرقت الشمس غير آبهة بحُزن عائلة الجد الأكبر محمود، تلك العائلة التي انفطرت قلوبها مساء أمس، وجفّت دموعها التي اعتصرت من أحداقهم طوال الليل، لم ترفض الشمس أن تشرق اليوم! لم تتطفئ حداداً وكأن الكون برمته لا يعينها.

لم تكن راجية، بعد أن عادت لوعيتها، قد نطقت بكلمة واحدة؛ لذلك تفاجأ الجميع عندما سمعوا صوتها الواهن المبحوح:

__ اقرأ يا كاظم.. ماذا قالت ابنتي الحبيبة في الخطاب؟ أريد

أن أسمع صوتها.

خطاب جذوة

«هل تعلمين يا أمي؟ أنا لا أكره أحداً منكم، لا أكرهكم، في الحقيقة أنا أكره نفسي، أكره شكلي القبيح الذي يؤذي بصركم، أكره أنفي العريض، أكره لون بشرتي، أكره الدهون المتراكمة حول بطني وأردائي، أنا أكره نفسي، هل تعلمون؟ أحياناً كنت أنظر لنفسي في المرآة برضا، لا يلبث هذا الرضا إلا أن يتحول إلى سخط وحققد، عندما أسمع تعليقاتكم الذابحة على قُبْحِ خلقتي ومظهري، كنت أكره معاييركم لي بـ (عانس) طوال الوقت؛ لذلك قررت أن أتزوج من كاظم، تزوجته فقط كي أثبت لكم أنني يمكنني أن أتزوج، لست كما تقولون عانساً، أنتم جعلتموني أكره نفسي، أفعل أشياء لا أريدها دائماً لكي أبرر لكم أشياء أخرى لا دخل لي بها، هل تعلمون؟ أنا لم أقتل نفسي، ألسنتكم هي التي قتلتني مع سبق الإصرار، أنتم تملؤكم العيوب، ولكنكم لا تكفون عن السخرية من عيوب الآخرين! سخرتم مني.. حتى أنت يا أمي تكرهيني، كنت أحاول أن أكون جميلة في عينيك! هل تذكرين عندما بالغت في وضع مساحيق التجميل على وجهي حتى تبدلت ملامحي؟ فضربتيني وقذفتيني بطوب الكلام؟ كنت أقصد أن أتجمل كي تمدحين جمالي كما تمدحين جمال بناتك وجمال رزان! ولكنك لم

تفعلي، ولن تفعلي أي شيء بعد الآن، تستحقينها يا أمي، تستحقين أن تموتي بذنبي وأنت حية، تستحقين أن تعلمي أنك قاتلة، لم تقتليني بالكرياج وبالملاعق الحامية التي كنت تحرقين جلدي بها، بل قتلتيني بلسانك، تستحقين زوجاً يمقت وجهك الجميل، تستحقين عذاباً لا ينتهي؛ لذلك تألمي، تألمي الآن وتألّمي غداً، وتألّمي حتى تموتي، كنت تطالبيني بأن أكون حنونة على ابني، وتتعيني بقاسية القلب عديمة الإحساس، ابني الآن لك، ابني الذي عجزت أن أعطيه حناناً لم أذقه من قبل، لك، أخبريه أنني لم أتخلّ عنه، أخبريه الحقيقة، قولي له أنك قتلتيني وحرمتيه مني.

أراكم، بينما أكتب هذا الخطاب، سعداء. يعزّ عليّ أن تسعدوا وترقصوا فوق جثتي، يجب أن تشعروا بي، يجب أن تذوقوا النار التي تشوي كبدي كل يوم، أنا تعيسة يا أمي، لم أحب غيره وتركني! تركني يا أمي وتزوج من غيري، الوحيد الذي رأني جميلة لم يتمسك بي، استغنى عني وباعني، لماذا لا يحبني أحد؟ لماذا تكرهوني؟ لماذا جعلتوني أكره نفسي إلى هذه الدرجة؟ بي نار تستعر، وخوف كبير، هل تعلمين يا أمي، لقد اعتدت على الحرارة المحمومة بداخل جسدي، هناك بركان مكتوم سينفجر حارقاً كل ما حوله يوماً ما، حذرتني العمة فتحية منه، هي تعرف.. تعرف أن بداخلي ناراً، وحذرتني منها. قالت أنها سوف تحرقني قبل أن تحرقكم، ولكني لا أعرف! هل

أصدق العمّة فتحية؟ أم أصدق شجرة الزقوم، عندما قالت لي أن النار لا تحرق ناراً؟ لا أشعر بالأمان.. أنا خائفة. لن أصغي إلى عمّتي فتحية، ولن أصدق شجرة الزقوم، سوف أجعل تلك النار المستعرة بداخلي تخمد إلى الأبد، سأطفئها بماء بارد كالثلج حتى لا تشتعل مرة أخرى، سأغمس هذا الجسد الحار في الماء البارد حتى الفرق، لا أريد أن أكون أنثى النار بعد اليوم. لقد تعبت، سأتخلص من عذابي الليلة. الليلة سوف أنطفئ وأرتاح، وسوف أترككم تتعذبون بذنبي ابتداء من الليلة، وداعاً أيها القتلة وداعاً».



بعد مرور ۷ سنوات

(٢٥)

سمعت ذكاءً أنيناً صادراً من غرفة ابنتها الصغرى جذوة، دلفت إلى الغرفة متوجسة خيفة وقد اعترها القلق:

— ماذا تبكين يا صغيرتي؟

نظرت لها جذوة بعينين دامعتين ولم ترد. استمرت في البكاء بحرقة.

— جودي ماذا بك؟ لقد أخفتيني.

قالت جذوة وقد قررت أن تبوح بما في قلبها:

— كل أصدقائي في المدرسة ينعنونني بالقبيحة، حتى أنت تفعلين ذلك، أسمعك دائماً تمدحين جمال مي أختي للناس وتتعجبين أمامهم من بشاعة خلقتي، كلكم تكرهوني، لا أحد يحبني..

قالت ذكاء وقد انفطر قلبها من كلام الصغيرة:

— لا أقصد ذلك أبداً يا صغيرتي.. أنا.. لم أقصد أن أقول

ذلك، لقد فهمتي كلامي خطأ. هل تعلمين؟ أنا أراك أجمل من مي، أنت أجمل مني وأجمل من أصدقائك.. لا تصدقي كلامهم.

غضبت جذوة الصغيرة؛ لأنها فهمت ما تحاول أمها أن تفعله،

قالت صارخة والدموع تتهمر من عينيها:

— أنا طفلة ولكني لست غبية، لقد سمعتك بأذني تقولين لأصدقائك: «جذوة وُلِدَت قبيحة لا تشبه أباهها ولا تشبهني، إنها تشبه خالتها جذوة، رحمها الله وغفر لها خطاياها» لقد سمعتك، وكنت تضحكين وتمزحين وكأن الموضوع بالنسبة لَكُنَّ نكتة، كلكم تكرهوني، أنا لا أريد أن أعيش.

صُعقت ذكاء من كلام ابنتها، وندمت أنها قالت كلاماً كهذا، لم تكن تقصد به سوءاً، أثناء وجودها في المنزل، لم تقصد أن تجرح مشاعرها، هي فقط كانت تقول ذلك على سبيل الرفض، تثرثر مع أصدقائها ليس إلا، هذا لا يعني أنها تكره ابنتها، بل تحبها أكثر من نفسها.. كل ما في الأمر أنها لم تكن جميلة مثل أختها الكبرى مي.

حاولت ذكاء أن تضم جذوة إلى صدرها، ولكن جذوة رفضت وأبعدتها وظلت تبكي، فضلت ذكاء أن تترك طفلتها وحدها حتى تهدأ، خرجت من الغرفة، استدارت لتغلق الباب وراءها، فتلاقت أعينهما، وقالت الأعين ما لم تقله الألسن، لمحت ذكاء- في عيني جذوة- نظرة نارية تحمل حقدًا ولهبًا، نظرة كالأسهم الحارقة، صوبتها في صميم عيني أمها!

منذ هذا اليوم، لم تفكر ذكاء سوى في نظرة جذوة الملتهبة لها، تلك النظرة المجنونة في عيني ابنتها، نظرة مشحونة بالوعيد والتهديد والخطر!



شكر خاص:

إلى زوجي، الذي تحمّل أيام شرودي، وانشغالي، ونوبات جنوني؛
من أجل إخراج هذه الرواية لكم بأفضل صورة ممكنة.

إلى زوجي الذي شجعني وآمن بي عندما مرّت عليّ أيام كفرتُ
فيها بنفسي، واستسلمت لليأس.

إلى محمد حسّان، القارئ النهم، الذي تكلّف عناء قراءة الرواية
عدة مرات- بصدر رحب- من أجل إعطائي ملاحظاته الدقيقة بأمانة
تسمح لي بتقيحها بشكل أفضل.

إلى قرّائي الأعماء الذين انتظروا خروج هذه الرواية للنور.

للتواصل مع الكاتبة:

<https://www.facebook.com/noha.elshazly2>

obeikandi.com

نبذة عن الكاتبة:

- نهى الشاذلي.. كاتبة وروائية مصرية.
- تخرجت في كلية الآداب، قسم أدب اللغة الإنجليزية، جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية.
- تُعدُّ رواية أنثى النار هي العمل الثاني لها.



حقوق الطبع محفوظة للناشر



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر